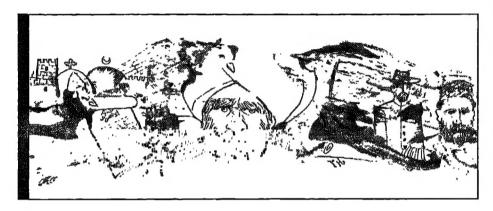
الفصل الاول

الثانتين الماريت في المستدن المالا



- الأهرام صحيفة قومية منذ الزمن الأول؟
- الخصوصية المصرية تنعكس على الأهرام
 - ■ عبق التاريخ: محافظة لا جمود
 - الإبحار وسط أمواج السياسة

Prince the second of the secon

عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين عندما وضع مقدمة لكتاب «جريدة الأهرام - تاريخ مصر في خمس وسبعين سنة» آثر أن يوصف الأهرام بد «ديوان الحياة المعاصرة» وهو التوصيف الذي رأينا بدورنا أن يكون عنوانا لهذا الكتاب ولهذا الايثار أسبابه..

فالتسمية تحمل فى جانب منها عبق التاريخ، ولما كان هذا الكتاب سوف يتعامل بالأساس، ليس فحسب مع تاريخ الأهرام، وانما مع تاريخ الأهرام، وانما مع تاريخ الأهرام، يصبح لهذه التسمية مبررها وجاذبيتها.

وليس المقصود هنا التاريخ السياسى فهو مجرد جانب محدود من الحركة التى رصدها الاهرام، وانما المقصود جوانب عديدة من التاريخ يمكن استقراؤها قبل قراءتها، فاذا كانت الصفحة الاولى التى تحمل المانشيتات الكبيرة تقدم زادا لا ينفد للتاريخ السياسى فان صفحات أخرى من ذات العناوين الصغيرة أو حتى الخطوط السوداء تقدم بدورها معينا لا ينضب للتاريخ المصرى والعربى بل والعالمى!، فالاعلانات تاريخ، والبريد تاريخ، والوفيات تاريخ!

(الاعلانات) التى كانت تعنى فى أواخر القرن الماضى وبداية القرن الحالى بأمور مختلفة جد الاختلاف عما تعنى به الآن مما يشى بحجم المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية..

ودعونا نقرأ أول اعتلان صدر فى الاهرام فى عدده الثانى المؤرخ فى ١٢ اغسطس عام ١٨٧٦، وقد جاء فيه: «يوجد فى أرض كوم النادورة (الناضورة) ملك الخواجات كندينكو اصطبل للأجرة يسع نحو عشرين عربية وأربعين رأس خيل وفيه طلومبة ماء فمن يرغب ان يستأجره فليخاطب بذلك الوكيل فى الأرض المذكورة والاجرة متهاودة».

ونرى أن الفارق هائل بين هذا الاعلان الذى يكشف عصرا بكل مفرداته وبين الاعلانات المماثلة التى صدرت بعد ذلك بقرن مثلا، مما سيكون محل قراءة نقدية فى فصول تالية.

(البريد) فهناك فارق كبير بين خطابات القراء التى كانت تشكو من الوجد أو تمتلي، بالتعبيرات البلاغية فى مديح «ولى النعم» وبين البريد الحديث الذى يحفل بعالم متحرك له مشاكله وقضاياه مما ينم عن حجم التحول الذى حدث فى البنية الاجتماعية فضلا عن تغير القيم وتنوع المشاكل.

(الوفيات) ويكفى ان نشير فى هذا الصدد الى دراسة تم اعدادها منذ بضع سنوات عن «النخبة الحاكمة فى مصر بعد عام ١٩٥٢» وقد اعتمدت الى حد كبير على صفحة الوفيات فى الاهرام التى اخضعها الباحث للدراسة فخرج بنتائج مذهلة عن شبكة

القرابات التي تربط بين أبناء هذه النخبة!

**

هذا عن عبق التاريخ.. التاريخ الحقيقي وليس التاريخ المسطح! وأن كان العبق وحده لا يكفي!

نأتى بعد ذلك للتسمية التى اخذناها عن العميد، وهى تسمية تحمل كما تتحمل مدلولات عديدة بعضها ثقافي وبعضها اجتماعي وبعضها سياسي..

المدلول الثقافي ان التسمية لا بد وان تكون قد ارتبطت في ذهن الدكتور طه حسين «بديوان الانشاء»، وهو ديوان عرفته شتى الدول الاسلامية والذي كان يقوم رجاله باعداد الرسائل الرسمية التي كان يتبادلها الخلفاء والسلاطين مع سائر الملوك والأمراء، وكان يشترط في المشتغلين في هذا الديوان ان يكونوا على قدر رفيع من ثقافة العصر، حتى أن عددا من أشهر الأدباء العرب جاءوا من بين هؤلاء المشتغلين.

المدلول الاجتماعي جاء من أن الديوان هو المكان الذي تنتشر فيه الارائك التي يتجالس عليها الناس ليتباحثوا أحيانا وليتسامروا أحيانا اخري، وبين الحديث الجاد والمسامرات تأتى افكار وتذهب اخرى ويكتسب الديوان مكانته الاجتماعية الخاصة.

اما المدلول السياسى فقد صدر من أن الديوان كان دائما المركز الذى تدار منه شئون الناس، حتى انه فى مصر عندما نشأ النظام الادارى الحديث فى عهد محمد على خلال عشرينات القرن الماضي، فقد نشأ تحت مسمى الديوان الذى تحول فيما بعد الى النظارة فالوزارة التى بقيت لفترة غير قصيرة فى حى الدواوين!

ومن على اربكة في الديوان نقدم تصورا لهذا العمل..

«العراقة» تمثل الملمح الأول «لديوان الحياة المعاصرة» فالأهرام من الصحف الفريدة في العالم الثالث التي قارب عمرها القرن والربع، ومن الصحف القليلة في العالم كله التي عاشت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وتدخل غير هيابة للقرن الحادي والعشرين!

ولسنا ندرى هل المصادفة وحدها هى التى املت على أصحابها لدى استخراجهم لرخصتها عام ١٨٧٥ اختيار هذا الاسم لأعرق الآثار العالمية أم أن بعضا مما صنع اهرام الجيزة صنع فى النهاية الاهرام الديوان!

عموما فقد خصص «الاهرام الديوان» في أعداده الأولى مجموعة من المقالات تتبع فيها تاريخ «الأهرام الأثر» مؤكدا ان اختيار الاسم كان مقصودا.

وعموما فان نشأة الاهرامين في مصر كان لا بد وأن يضفى طابعا خاصا عليهما.. طابع الاستقرار والرسوخ، وهو من سمات الحياة المصرية. ونسجل فى هذا الصدد حقيقة مؤداها أن التقلبات السياسية فى مصر أقل منها كثيرا فى بلدان العالم الثالث، بل فى بعض البلدان التى كانت محسوبة على العالم المتقدم، الأهم من ذلك أن تلك التقلبات لم تكن لتحدث تغيرات انقلابية على المؤسسات المصرية.

وفى مجال الصحافة على وجه التحديد بينما يلاحظ المراقبون ان التقلبات السياسية كانت كفيلة باختفاء صحف وظهور صحف اخرى فان ذلك قد حدث فى مصر على أضيق نطاق، وكان ذاك الاختفاء أو هذا الظهور يرتبط فى العادة بظروف خاصة بالصحف نفسها وليس نتيجة لقرارات سياسية.

يؤكد هذه الملاحظة ان الاهرام قد عايش بامتداد عمره خديويين وسلاطين وملوكا ورؤساء جمهوريات، كما عرف عصورا تراوحت بين التبعية للدولة العثمانية والوقوع تحت الاحتلال البريطاني وسنوات الاستقلال الوطني، فضلا عن الثورات الثلاث الكبرى في التاريخ المصرى الحديث، ١٨٨٢ و ١٩١٩ و ١٩٥٢، وهي مجموعة تقلبات كانت كفيلة بالقضاء عليه، خاصة وانه كان دائما في قلبها، بيد أن ذلك لم يحدث!

واذا كانت طبيعة مصر.. بلاد المؤسسات التى صمدت للتاريخ بدءا من الازهر ومرورا بالدواوين ووصولا الى الاهرام وراء عراقة «ديوان الحياة المعاصرة» فان ما استنه الاهرام يقدم تفسيرات اخرى لهذه العراقة..

نعتقد أن رحابة الديوان كانت من أهم أسباب العمر الطويل.. اذ يشير تقليب صفحات الجريدة بامتداد هذا العمر أنه لم يحدث ان سياسيا ذا قيمة او مفكرا ذا شأن لم يجد مكانا في الديوان.

ولقد كانت لفتة ذكبة من «مركز الاهرام للترجمة والنشر» عندما اصدر عام ١٩٨٦ سجلا لمئة وعشرة من الكتاب الذين وجدوا مجلسا في الديوان بامتداد المئة وعشرة عاما التي كانت قد انصرمت وقتذاك من عمر الاهرام، وجاء هذا السجل تحت عنوان «شهود العصر».

ويلاحظ المتأمل فى أسماء هؤلاء الكتاب هذه التنويعة المدهشة من رجال السياسة والأدباء والمفكرين والمؤرخين والشعراء والقصاصين والفنانين وكبار رجال الدين والصحافة.. باختصار لم يكن الديوان حكرا على أصحابه من الصحفيين فقد توافرت فيه دائما الآرائك لكل ذى رأى او صاحب موقف.

وليس من شك في ان «رحابة الديوان» كانت وستبقى من اهم اسباب طول عمر الاهرام، فهى باختصار شديد تعنى أن هناك دماء جديدة تصب في عروق الصحيفة العتيدة الامر الذي لا يجعلها معرضة للتيبس أو التصلب مما كان سببا في نهاية صحف عديدة اخري، ويصبح طول العمر في هذه الحالة رصيدا مضافا لحساب الجريدة وليس مسحوبا منه!

ورحابة الديوان تؤكد حقيقة اخرى بالنسبة للاهرام ألا وهي اكتسابها للطابع المؤسسي لا الطابع الشخصي، فالمؤسسات تدوم طويلا والاشخاص يذهبون مهما طال بهم العمر!

ونظن أن الأستاذ محمد حسنين هيكل قد ادرك هذه الحقيقة عندما تولى المسئولية في الاهرام وكان من بين أهداف اعادة تنظيمه «على قاعدة مؤسسية قابلة للبقاء والتطور والتجديد» على حد كلماته في كتابه الذي سجل فيه تجربته في العمل في الصحافة.

التقاليد تمثل الملمح الثالث من ملامح الاهرام ، وديوان بلا تقاليد يتحول الى أى شيء إلا أن يكون ديوانا!

ويمكن القول أن أية مؤسسة تحمل على كتفيها تاريخها ، ويقينا فان النشأة المبكرة للاهرام قد أرست مجموعة من التقاليد كانت من أسباب الطابع الخاص جدا الذي حظيت به الصحيفة العريقة..

هذا الطابع دفع البعض الى توصيف الاهرام بالجريدة المحافظة وهو أمر صحيح.. وان كانت المحافظة هنا لا يقصد بها الجمود بقدر ما يقصد بها الاصالة.

وتشبه الاهرام فى هذا الجامعة ، فكلماطال عمر هذه المؤسسة أرست مزيدا من التقاليد تضفى عليها الاصالة وهو الأمر الذى مهما بذلت المؤسسات المحدثة من جهود لارسائه فانه يبقى متطلبا لعنصر الزمن الذى لا تستطيع أن تصنعه، لكن تستطيع أن تنتظه!

فكمبردج وأكسفورد فى انجلترا والسوربون فى فرنسا لا تستطيع ان تعدلها جامعات اخرى فى غرب اوروبا، والفيجارو والتايز لا تستطيع ان تباريهما ايضا صحف أخرى فى نفس هذا العالم.

واذا كانت الاصالة تنصرف في جانب منها الى الشكل فهي تنصرف في جانب آخر الى الموضوع..

فى الشكل يبقى الشكل الوقور الذى تحافظ عليه الاهرام فلا ألوان صارخة ولا نكات خارجة، فضلا عن ان أية تغييرات فى الشكل تحدث تدرجا ودون إشعار للقارىء انه قد صحا ذات صباح فوجد بين يديه صحيفة غير تلك التى اعتادها !

فى الموضوع يبقى التدقيق معيارا اساسيا من معايير الجريدة العتيدة، وينسحب التدقيق على الخبر بنفس الدرجة التي ينسحب بها على الصياغة وعلى المقال وحتى على العناوين ، فالاثارة لم تكن ابدا بضاعة للاهرام!

وهذا الطابع المحافظ والذى قد لا يلقى هوى فى نفوس نوعية خاصة من القراء ، إلا أنه فى النهاية يلقى الاحترام من جميع القراء، وذلك بحكم ما يضفيه من قدر عال من المصداقية التى تظل أحد أهم أسباب المكانة المتميزة لديوان العالم الحديث.

بعنى آخر ان مجموعة التقاليد التي أفرزها الأهرام في عمره المديد بدلا من ان تحوله الى صحيفة «عتيقة» ،والفرق كبيرا

الملمح الرابع من ملامح الديوان وكان محل اختلاف بين الباحثين ذلك المرقف الذي آثر الأهرام الالتزام به اغلب سنى عسمره، وهو مسوقف قائم على عدم التسورط في الصراعات السياسية الداخلية خاصة اذا ما كانت صراعات حزبية ، وهو موقف دعا البعض الى النظر الى الجريدة باعتبارها صحيفة لا لون لها أو على الأقل بلا موقف!

وباستثناء فترة قصيرة اعتبر الاهرام نفسه خلالها الناطق بلسان الوفد المصرى ابان احتدام احداث ثورة ١٩١٩، وهو موقف قومى اكثر منه موقف حزبى ، فان الاهرام قد حرص على ان يفسح فى ديوانه مكانا لكافة الفرقاء ، يدلى كل منهم برأيه فيه ، حتى لو كان هؤلاء الفرقاء ينتمون الى حزب واحد.

سجل هذه الحقيقة الدكتور محمد حسين هيكل في مذكراته عن شهر ديسمبر عام ١٩٢٧، وكان الدكتور هيكل وقتئذ رئيس تحرير اشهر صحيفة حزبية في مصر .. صحيفة «السياسة» الناطقة بلسان الاحرار الدستوريين.

يروى الرجل أنه قد حدث آنئذ أن كان يتنازع الحزب اتجاهان، اتجاه يرى فض الانتلاف الذى كان قائما مع الوفد وقد انضم اليه رئيس تحرير السياسة، واتجاه آخر يسعى الى الابقاء عليه وكان يمثله وكيل الحزب محمد محمود باشا..

وعندما أراد الاخير أن يعبر عن ذلك في جريدة الخزب رداً على مقال كتبه رئيس تحريرها تحت عنوان «نريد ائتلافا خالصا ، وأساس الائتلاف الخالص الصراحة»، ورفض الدكتور هيكل نشر مقال محمود باشا، فما كان من محمود الا ان ذهب بمقاله الى الاهرام الذي نشره له.

وعزوف الاهرام عن التورط فى الانحيازات الحزبية، سواء كان الحزب الذى تنحاز له فى الحكومة أو فى المعارضة ، وإن حد من الطابع المثير الذى تحظى به الصحف الحزبية والذى قد يروق لنوعية معينة من القراء ، إلا أن الاثارة عمرها قصير فى العادة، ثم انها تترك بصمات سلبية فى اغلب الاحوال على الصحيفة التى تنحو هذا النهج، بحكم ما يؤدى اليه من تقليل درجة المصداقية ، وهو الامر الذى استمر القائمون على «ديوان الحياة المعاصرة» حريصين عليه، اكثر من حرصهم على زيادة مؤقتة فى التوزيع تأتى على حساب هذه المصداقية.

واذا كان التوصيف «بالقومية» و«الحزبية» هو توصيف جديد ظهر فقط في اواخر سبعينيات القرن العشرين، وبعد ظهور الصحف الحزبية الجديدة التي نشأت مع آخر التجارب الحزبية المصرية، وبعد قرن كامل من ظهور الاهرام ، فانه يمكن القول أن الاهرام كان صحيفة قومية قبل ذلك بكثير.

فى التجربة الحزبية الأولى السابقة على عام ١٩١٤ لم يحسب الاهرام على الحزب الوطنى أو على خصومه ، ثم فى التجربة الثانية الممتدة بين عامى ١٩١٩ و ١٩٥٧ وباستثناء فترة قصيرة خلال الثورة فقد حافظ الاهرام على نفس النهج، ولم يحسب للوفد أو لخصومه ، واستمر الجميع يلجأزن اليه فى الوقت المناسب كما فعل محمد محمود ، الامر الذى يضفى على الصحيفة العربقة الصبغة القومية منذ هذا الوقت المبكر!

يبقى من التسمية التي اختارها الدكتور طه حسين للاهرام توصيفه بأنه ديوان «الحياة المعاصرة».

واذا كان العميد قد عنى من التسمية ان الاهرام قد عبر دائما عن عصره فإننا نضيف الى هذا القول أن الاهرام قد عاش اكثر من عصر، بدءا من عصر الخديو اسماعيل وحتى عصر حسنى مبارك!

وقد ارتبطت مؤسسات كثيرة بالعصر الذى نشأت فيه واختفت مع أفول شمسه ، الأمر الذى انطبق اكثر ما انطبق على الصحافة.

عصر اسماعيل اشتهرت فيه «التجارة»و «الوطن»، الثورة العرابية ارتبط باسمها «المفيد»، فترة الاحتلال عرفت «المقطم»و «المؤيد» و «اللواء» و «الجريدة»، فترة ما بعد ثورة ١٩١٩ وحتى ثورة ١٩٥٢ عرفت «السياسة» و «البلاغ» و «الجهاد» و «كوكب الشرق»و «المصرى»، وهو ما لم يحدث بالنسبة للاهرام الذي بقى قائما رغم تعاقب العصور، الأمر الذي يتطلب تفسيرا..

واذا كان البعض قد عزا هذا لأسباب سياسية فيما تمثل في نجاح الاهرام في الإبحار وسط أمواج السياسة العاتية فان هذا التفسير وحده لا يكفى!

فالانتقال من عصر إلى عصر كما يتطلب مهارة الابحار يتطلب أيضا إدراك معطيات العصر الجديد والتلاؤم معها، وهو ما نجح فيه الاهرام.

وبأى المقاييس ولمن يتابع مسيرة «ديوان الحياة المعاصرة» يجد ان الاهرام جريدة لا تهرم ولسبب بسيط وهو ان القائمين عليها كانوا يأخذون أولا بأول بأسباب الحداثة..

ومنذ العدد الاول ، بل العدد السابق عليه والذى أصدره أصحابه تحت عنوان «مثال الاهرام» والذى صدر يوم ١٥ يوليو عام ١٨٧٦ قبل صدور عدده الاول بثلاثة اسابيع، فان الاهرام قد حرص على التأكيد على أخذه باسباب الحداثة التى تلاثم مصر : «كيف لا ولمصر حقوق البلاد المتمدنة الغنية بالعلم وبالمال»، وهو فى هذا لم يجد ضيرا فى التشبه بالعالم المتقدم فيما عبر عنه فى أواخر العام الاول الذى صدر فيه وهو يحدد النهج الذى قرر ان يسير عليه بقوله:

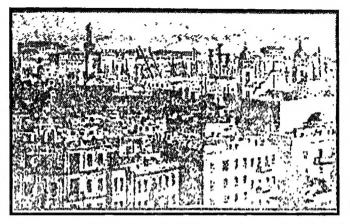
«فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاح».

والحداثة هنا لم تقتصر على شكل الصحيفة او على تحريرها واغا امتدت الى أن اصبحت جسرا من جسور التحديث في مصر ، وبل وفي المنطقة العربية..

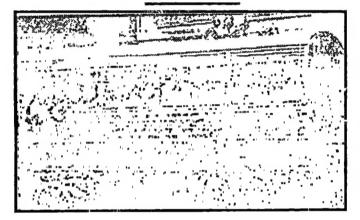
علاقتها بالعالم المتقدم تبدت في عنايتها الخاصة باخبار اوروبا ، وهي عناية لم تقتصر على افساحها مكانا ملحوظا «للتلغرافات» التي كانت تصلها من رويتر وهافاس (وكالة الانباء الفرنسية)، واغا امتدت الى تقديم اهم ما يصدر في المجلات والصحف الغربية فضلا عن تناول اهم ما كانت تخرجه المطابع في تلك البلاد.

وبين العراقة والحداثة تمتلىء مجالس «ديوان الحياة المعاصرة» بالصور التى تروى تاريخ مصر والعالم بشكل شديد الامتاع وجزيل الفائدة ، الامر الذي يستحق المتابعة!

- مراجع القصل الاول
 - الامـــرام:
- المثال ١٥ يوليو عام ١٨٧٦
- العدد الثاني ١٢ اغسطس ١٨٧٦
- مركز الإهرام للترجمة والنشر.
- شبهود العصير الاهرام ١١٠ مقالات و١١٠ أعوام، القاهرة ١٩٧٦
 - محمد حسنين هيكل
 - بين الصحافة والسياسة الطبعة السائسة بيروت ١٩٨٥
 - 🗨 د. محمد حسين هيكل
- مذكرات في السياسة المصرية ج ١ ١٩١٧ ١٩٣٧، القاهرة ١٩٣٧



مدينة الاسكندرية



عربات سوارس



هيكل باشا

طه حسین

تحمد محمود

الفصل الثاني

تاریگ آلیگان: تقمی آلمحظانیل



- الصحافة تعيش بالأزمات وتقتات بالمتغيرات!
- الاعيان والافندية قاعدة قراء الصحف في مصر
 - الشوام انبثوافي قرى ودساكر الريف المصرى
- دور خريجي الحقوق ودار العلوم في الصحافة المصرية



من مواليد العام الثالث عشر من عهد الخديو اسماعيل، أى قبل نهاية هذا العهد بثلاث سنوات والذى انتهى بخلع الخديو الشهير فى عام ١٨٧٩.

واذا كانت هذه النهاية المأساوية لحاكم من أبناء أسرة محمد على تنم عن شيء فانها تنم عن طبيعة الفوران السياسي والاجتماعي والفكرى الذي عرفه عصر اسماعيل، والذي قدم عصرا نموذجيا لظهور الصحافة التي تعيش بالأزمات وتقتات بالمتغيرات!

وبينما يعتبر محمد على ـ جد اسماعيل ـ مؤسس «الدولة» الحديثة في مصر، فان اسماعيل هو صاحب الفضل في الخطوة الثانية. . خطوة بناء «المجتمع» الحديث في البلاد.

وبلغة أصحاب النظرية البنيوية فانه بينما تفرز عمليات التغيير الاجتماعى الاقتصادى (البنية الفوقية)، فانه فى مصر قد حدث العكس، فقد قام محمد على بتشييد البنية الفوقية من خلال بناء الدولة المركزية، الأمر الذى جعل الدولة محور كل النشاطات بما فيها النشاط الثقافى، فيما تبدى من احتكارها للتعليم الحديث، وبما فيها النشاط الاعلامى حتى أن أول صحيفة ظهرت فى مصر وقتذاك كانت صحيفة حكومية هى «الوقائع المصرية» العتيدة التى كانت توزع على كل موظف فى الحكومة يتقاضى راتبا لايقل عن ألف قرش شهريا، بشرط أن يدفع الاشتراك!

ويأتى عصر اسماعيل لتتم خلاله ترجمة عملية التحديث التى جرت على مستوى «الدولة» الى عملية تحديث تجرى على مستوى «المجتمع»، وهى عملية لم تكن الدولة بأى حال بعيدة عنها ممثلة فى شخص الخديو نفسه، وإن كان ذلك لايعنى أنها من صناعته فهذه العملية لم يكن ليستطيع أن يوقفها حتى إذا شاء، الأمر الذى حاوله عباس الأول وفشل فيه تماما.. كل ما فى الأمر أنه عجل بها.

والتعجيل صنعته في جانب فروق بين محمد على وحفيده، فالأول رغم عبقريته التي لا يختلف عليها إثنان، كان أميا حتى سن الأربعين مما أدى الى أن يقتصر جل اهتمامه بالغرب على الأخذ منه في جوانب التنظيم العسكرى والتقدم العلمي، أما اسماعيل فقد تلقى هذا اللون من التعليم الراقى الذي يحظى به أمثاله من الأمراء، والذي أتاح له أن يقضى ثلاث سنوات منذ نعومة أظفاره في بعثة في فرنسا، الأمر الذي ترك بصمته على تفكيره وجعله شديد التأثر بالغرب، مما لايستغرب معه قولته التي نقلها عنه المؤرخون: «أريد أن أجعل بلادي قطعة من أوروبا».

التعجيل صنعه في جانب آخر سعى أوروبا الى مصر، وهو سعى أضحى حميما بعد شق البرزخ وبناء القناة المشهورة.. قناة السويس، مما وضع مصر في بؤرة الاهتمام الأوروبي، وفي حمأة العصر الذي عرف بالعصر الامبريالي.

وصنع التعجيل فى جانب ثالث البذور التى رماها محمد على فى التربة المصرية، وكان جيل أو يزيد قليلا كافيا لتطرح هذه البذور واقعا جديدا غير ذلك الذى خيم على مصر طيلة قرون الحكم العثمانى الثلاثة السابقة، بكل ما فى هذا الواقع من جوانب اجتماعية وثقافية وسياسية كانت لاتسمح فقط بظهور الصحافة الأهلية، التى كانت الاهرام أحد معالمها، بل تتطلبها!

على المستوى (الاجتماعي) فإن التغييرات التي حدثت خلال عصر اسماعيل قد وفرت عنصرين أساسيين لوجود الصحافة. أولئك الذين يصدرونها وأولئك الذين يقرأونها!

أول هذه التغييرات بدت فى نشوء تلك الطبقة التى استمرت تلعب دورا اساسيا فى التاريخ المصرى ولنحو قرن، وحتى قيام ثورة ١٩٥٢ على وجه التحديد . . طبقة كبار الملاك بالتوصيف الاجتماعى. وهم الملاك بالتوصيف الاجتماعى. وهم أنفسهم الباشوات والبكوات، أو غالبيتهم، اذا ما تم الأخذ بالألقاب السائدة!

ففى عصر اسماعيل استكملت هذه الطبقة مقوماتها بعد أن تحولت ملكية الانتفاع التى حصل عليها أبناؤها فى عصر محمد على إلى ملكية كاملة، أو على حد التعبير الاقتصادى ملكية عين، ومن هنا جاء توصيفهم بالأعيان!

ومع التسليم بأن أغلب أبناء هذه الطبقة في بداية تكونها انحدرت من أصول غير مصرية إلا أن المصريين ما لبثوا أن دخلوها وأخذت المساحة التي يحتلونها تتسع مع الأيام.. سواء أولئك الذين اقتنوا ملكياتهم من خلال الوظائف الرفيعة التي تولوها، ويقدم على مبارك ومحمد سلطان وأحمد عرابي نموذجا لهذه الشريحة ، أو أولئك الذين بنوا صنعوا ملكياتهم من خلال وجودهم في الريف من شيوخ العائلات الكبيرة الذين بنوا ملكياتهم باستثمار «مسموح المصاطب» وهو ما كان يعادل ٥٪ من زمام كل قرية والتي حصلوا عليها نظير قيامهم بأعباء الادارة واستضافتهم لعمال الحكومة وعابري السبيل!

ولما كان كبار ومتوسطو الملاك الذين اقتنوا ملكياتهم من وظائفهم من قراء «الوقائع المصرية» بالضرورة فانه قد تربت عند هؤلاء عادة قراءة الصحف ، أما الآخرون من أبناء نفس الطبقة المنحدرون من الريف فهم وان لم ينخرطوا في هؤلاء فان أبناءهم الذين أرسلوهم للمدارس الحديثة أو حتى للتعليم خارج مصر كان لابد أن يأتوا معهم بهذه العادة.. عادة قراءة الصحف.

على نفس المستوى ظهر «الأفندية» وهى فئة اجتماعية بدأت محدودة فى عصر محمد على الا انها أخذت فى التكاثر على عصر اسماعيل ويقول مؤرخ التعليم لهذا العصر أن المجتمع المصرى «أخذ يتحول بالتدريج الى طبقتين متمايزتين طبقة الافندية وطبقة الفلاحين، وقد عاون على تجسيم هذه الأدوار أن أفراد الطبقة المتعلمة لم يعودوا إلى بيئاتهم التي نشأوا بها ليرفعوا مستواها بل تحولوا إلى بيئات أخرى».

ومع مرور الوقت كانت تتسع قاعدة أبناء هذه الفئة ففضلا عن العاملين في سلك العسكرية كان هناك الموظفون المدنيون والمعلمون وأصحاب المهن الحرة وما لبث أن انخرط بعض من هؤلاء في العمل بالصحافة وشكلوا شريحة هامة من شرائح هذه الفئة، وكان أحد هؤلاء أول من أصدر صحيفة أهلية في مصر هي صحيفة وادى النيل التي أصدرها عبدالله أبو السعود افندى عام ١٨٦٧.

على المستوى الاجتماعي أخيرا فان عصر اسماعيل قد عرف هجرة عريضة من الشام الى مصر كان باعثها في جانب منها حوادث الستين في جبل لبنان وسعى أبناء الجبل لتلمس أسباب الأمان التي وجدوها في أرض الكنانة، ثم أنها قد تشجعت في جانب آخر بالحاجة لعناصر تجيد العربية جنبا الى جنب مع اللغات الأجنبية ، خاصة الانجليزية والفرنسية، بعد أن تزايدت العناصر الأجنبية في الادارات الحكومية، فضلا عن كل ذلك فان دخول مصر السوق الرأسمالية العالمية أتاح فرصا عديدة للعمل لهؤلاء الذين كان لديهم من الخبرة المالية ما لم يكن يتوفر للمصريين آنذاك.

وقد تفرد الشوام واليونانيون بميزة لم تتوفر للآخرين من غير المصريين، وهي قدرتهم على الانبثاث في كل أنحاء مصر حتى أصغر القرى والدساكر.

واذا كان مؤسسا الأهرام، سليم وبشارة تقلا ، قد جاءا من أبناء هذه الفئة الاجتماعية فان كافة وكلائها في مصر قد جاءوا منها أيضا، الخواجا موسى بطايني وكيل الأهرام في الاسماعيلية، والخواجا حبيب بولاد في المحلة الكبرى، الخواجا جبرائيل لباد في المنصورة، الخواجا دهان دهان في طنطا، الخواجا اسكندر غريب في كفر الزيات، الخواجا جرجس روم في سمنود. الخواجا مترى موسى في رشيد ، الخواجا جبرائيل رطل في زفتي وميت غمر، والخواجات ميخائيل وطنوس خورى في بورسعيد!

يلى ذلك فى الاهمية المتغيرات (الثقافية) التى أفرزت الظاهرة والتى تعددت جوانبها بدءا بالتعليم الحديث، ومرورا بحركة الترجمة وانشاء مؤسسات ثقافية لم يكن لمصر عهد سابق بها، ووصولا إلى انتشارالطباعة، والتى تشكل فى مجموعها الركائز التى قامت عليها الصحافة فى مصر وفى مقدمتها «الأهرام».

ففضلا عن المدارس العليا القديمة التى كان قد أقامها محمد على وأعاد فتحها بعد أن كان عباس قد أغلقها، فقد تم فى عصر اسماعيل إنشاء مدرستى الحقوق ودار العلوم وكان لهاتين المدرستين دور هام فى خلق مناخ ثقافى يفرز الصحف ويروجها.

مدرسة الحقوق نشأت عام ١٨٦٨ تحت اسم مدرسة الادارة والألسن ، وقبل أن ينتهى القرن كان غالبية العاملين في السياسة والصحافة من خريجي هذه المدرسة بحكم ما

يقومون بدراسته من مواد «البوليتيقا»!

مدرسة دار العلوم التى أسست عام ١٨٧٢ والتى تخلت عن تقليدية الازهر وفتحت المجال واسعا لتحديث اللغة والآداب العربية، ووفرت بذلك الكوادر من الكتاب والمصححن الذين تحتاجهم أية صحيفة.

بدت الركيزة الثانية في حركة الترجمة، وهي الحركة التي نشأت مع عملية بناء الدولة الحديثة، وان كانت قد اقتصرت في البداية على الجوانب التعليمية ويشكل فردى، إلا أنها منذ عام ١٨٣٤ بدأت تتخذ شكلا مؤسسيا بعد افتتاح مدرسة الألسن التي لم يقتصر دورها على اعمال الترجمة، والها الاهم من ذلك تخريج المترجمين.

وقد تحدث أحد المعاصرين عن أثر المدرسة فقال ان خريجيها «بأنفسهم وبالكتب العلمية التى ترجموها ساعدوا على نشر أفكار الرقى والمدنية بين أهل البلاد، وانتفعت بهم الحكومة في المناصب الادارية العالية، وفي وظائف الترجمة، ومنهم من انقطعوا للتعليم، وبفضل مجهودهم تعلم آلاف من اهل البلاد الفرنسية أو الانجليزية أو الايطالية».

ويقينا فان هؤلاء مع الشوام شكلوا القاعدة العريضة للعمل فى نقل الثقافة الحديثة ليس من خلال الاشتغال بترجمة المواد ليس من خلال الاشتغال بترجمة المواد الصحفية، الامر الذى يمكن رصده بسهولة من تقليب صفحات الاعداد الأولى من صحف العصر، خاصة الأهرام.

يثبت هذا التقليب أن جانبا كبيرا من تلك الاعداد قد قام على الاعمال المترجمة إما على شكل ترجمات من على شكل ترجمات من على شكل ترجمات من الصحف الانجليزية والفرنسية والايطالية والالمانية والروسية تحت عنوان «حوادث مختلفة»، وإما على شكل ترجمات لأمهات الكتب التي كانت تنشر على حلقات.

وكما اتخذت الترجمة طابعا مؤسسيا فقد اتخذ النشاط الثقافي نفس الطابع وعرف عصر اسماعيل نشأة عدد من المؤسسات الثقافية حين أقام على مبارك أول دار كتب عامة في مصر المعروفة بالكتبخانة الخديوية بالاضافة الى عديد من الجمعيات العلمية كان أهمها جمعية المعارف (١٨٧٨) والجمعية الجغرافية الخديوية (١٨٧٥) والجمعية الخيرية الاسلامية (١٨٧٨) فضلا عن ظاهرة الصالونات الثقافية التي تبناها عدد من رجال الاسرة الحاكمة أو من ابناء طبقة الأعيان الصاعدة، والتي صنعت في مجموعها مناخا ثقافيا كان يمكن أن تظهر في اطاره الصحف وتعيش!

تبقى قضية الطباعة والتى عرفتها مصر أول ما عرفتها على أيدى الحملة الفرنسية التى احضرت معها مطبعتين، إلا أنها قد اخذتهما معها لدى رحيلها من البلاد عام ١٨٠١.

وفى عملية بناء الدولة الحديثة التي قام بها محمد على ادرك الرجل ما للطباعة من

أهمية في هذا البناء الامر الذي دفعه الى انشاء مطبعة بولاق المشهورة التي عرفت بالمطبعة الاميرية، واهم من ذلك الاهتمام الذي أولاه لتوفير الكوادر الفنية لهذه المطبعة حتى ان اول بعثة تعليمية الى الخارج كانت البعثة التي ارسلها الى ايطاليا خلال العقد الثانى من القرن لتعلم فنون الطباعة والتي كان على رأسها «نقولا مسابكي» أبو الطباعين في مصر.

الا أن أهم المتغيرات التى حدثت فى عصر اسماعيل تلك النقلة التى عرفتها الطباعة من شأن تعنى به الحكومة وحدها الى عمل يقوم به الاهالى سواء بصفتهم الشخصية أو كمؤسسات ثقافية. فقد عرف هذا العصر المطبعة التى اقامتها جمعية المعارف والمطبعة الاهلية القبطية والمطبعة الوهبية والمطبعة الوطنية بالاسكندرية، فضلا عن مطابع الصحف، وفى هذا السياق لم يكن هناك ثمة مشكلة فى أن يقيم آل تقلا المطبعة. مطبعة الاهرام!

ولا بأس من الاشارة هنا الى مصنع الورق الذى اقامه حسين حسنى باشا ناظر مطبعة بولاق ملحقا بها، والذى انتج من الورق ما كاد يعطل ما يرد من أوروبا على حد تعبير الاستاذ عبدالرحمن الرافعي.



تبقى المتغيرات (السياسية) حين صنعت سياسات اسماعيل التحديثية عالما غير ذلك العالم الذي استمر سائدا طوال العهد العثماني ولم يغيره حتى بناء الدولة الحديثة الذي قام به محمد على وان كان قد مهد له.

جانب من هذا العالم بدا فى تصاعد التدخل الأجنبى فى الشئون المصرية، وهو تصاعد تبدى أولا فى الهجمة البشرية الاوروبية على مصر والتى تواكبت مع زيادة الدور المصرى فى السوق الرأسمالية العالمية مما نتج عن تزايد الطلب على القطن المصرى خلال النصف الاول من الستينات نتيجة للحرب الاهلية الامريكية وتوقف الولايات المتحدة عن القيام بدورها فى هذه السوق.

وتبدى هذا التصاعد ثانيا فيما ترتب على سعى اسماعيل الحثيث فى توسيع قاعدة الاستقلال المصرى عن الدولة العثمانية، وهو فى هذا السعى قد استعان ببعض القوى الاوروبية مما أدى الى اتساع هامش تدخل هذه القوى فى الشئون المصرية.

وتبدى هذا التصاعد ثالثا فيما نتج عن بناء قناة السويس الامر الذي أدى الى احتدام الصراع الاوروبي حول مصر.

وتبدى هذا التصاعد رابعا فى نظام الامتيازات الذى كفل حماية الاوربيين الذين وفدوا الى مصر، وقبل ذلك حماية مصالحهم، وفى اوقات كثيرة مطامعهم! وهو النظام الذى تم تقنينه بعد انشاء المحاكم المختلطة عام ١٨٧٦ نفس عام صدور الاهرام!

اخيرا فان هذا التصاعد قد بلغ ذروته نتيجة لقروض اسماعيل من المؤسسات المالية

الاوروبية، وما ترتب على عجزه عن تسديد هذه القروض من فرض الوصاية على الادارة المصرية. الى تشكيل اول هيئة للوزارة في مصر شارك فيها وزيران انجليزي وفرنسي.

ولم يكن بالامكان ان يحدث كل هذا دون رد فعل من جانب جموع المصريين، ومن ثم فان نفس هذا العقد المثير، عقد السبعينات من القرن التاسع عشر قد شهد مولد الحركة الوطنية المصرية بمفاهيمها الحديثة وبأدواتها المختلفة.

مفهوم رفض التدخل الاوربى عرفته الحركة الوطنية المصرية فى أواخر القرن الثامن عشر لدى قدوم الفرنسيين الى مصر ولكنه جاء تماما من منطلق دينى، وقد اختلف الامر هذه المرة حين بدأ يسود هذا المفهوم الرؤية الوطنية.

ثم أن هذا الرفض الذي عرفته آواخر القرن الثامن عشر تسلح بأدوات العصر. هبات الحارات، أو ثورات الاحياء لأنه لم يكن قد وجد حتى هذا الوقت ولو الحد الأدنى مما يسمى بالرأى العام، وهو ما قد اخذ في النمو نتيجة للتطورات الاجتماعية والثقافية التي كانت قد شهدتها مصر إبان العقود السبعة السابقة على ظهور الاهرام، والذي عبر عنه ثم ساعد على تطوره ظهور الصحافة.

واذا كان هذا التدخل وراء إنشاء أول هيئة وزارة في التاريخ المصرى الحديث فانه لم يكن بعيدا عن انشاء اول هيئة نيابية في هذا التاريخ ممثلة في مجلس شورى النواب الذي تأسس عام ١٨٦٦.

ورغم أن هذا المجلس عندما تم إنشاؤه بدا وكأنه مجرد تقليد ـ ليس له ما يبرره للأنظمة البرلمانية الأوروبية الا انه مع مرور الوقت تحول لأداة مهمة من ادوات الحركة الوطنية، الأمر الذى بدا في دورته غير العادية التي عقدها في طنطا في اغسطس عام ١٨٧٦، نفس شهر صدور الاهرام، حيث رفض قرار الحكومة بالغاء قانون المقابلة وهو الإلغاء الذى كان يُغَلبُ مصالح الدائنين الإجانب على حساب الاعيان المصريين الذين كانوا يشكلون غالبية اعضاء المجلس.

عام ١٨٧٦ عرف ايضا تحول نشاط جمال الدين الافغاني الذي كان قد جاء الى مصر منذ مطلع السبعينات من النشاطات العلمية الادبية الى النشاط السياسي خاصة مع قيام الحرب الروسية ـ التركية في نفس العام وما خلفته الهزيمة العثمانية في تلك الحرب من ردود فعل قوية على الرأى العام المصرى.

وقد بدا انعكاس تتابع الاحداث السياسية على هذا النحو غير المسبوق على الصحافة الاهلية في مصر.

فالمعلوم ان الصحيفة الاهلية الاولى، وهى صحيفة وادى النيل، التى اصدرها عبدالله ابو السعود افندى برعاية اسماعيل نفسه عام ١٨٦٧، قد صدرت لمتابعة جلسات مجلس شورى النواب لما ارتآه الخديو من انه لا ينبغى ان تكون الصحافة «الرسمية» هى المعبرة عن هذا المجلس «الشعبى».

والمعلوم أيضا بالنسبة لجريدة «مصر» التى صدرت عام ١٨٧٧ أن الافغانى نفسه هو الذى سعى للحصول على إمتياز صدورها باسم أديب اسحق لتكون ناطقة بلسان الحركة الوطنية الناهضة التى تجسدت فى مجموع التلاميذ الملتفين حول الرجل. جمال الدين الأفغانى.

وفى تلك الظروف صدرت الاهرام، ورغم ان سليم تقلا عندما تقدم بـ «العرضحال» الذى طلب فيه ترخيص الصدور قال ان الغرض منها نشر «التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية. وكذا من المقاصد طبع بعض كتب كمقامات الحريرى وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرباضيات والاشيا التاريخية والحكم والنوادر والأشعار والقصص الادبية وما شاكل ذلك من الاشيا الجايز طبعها بدون أن أتعرض للدخول مطلقا في الامور البوليتيقية»، فانه أمام مثل هذه المتغيرات المتلاحقة لم يكن بالامكان أن يوفي بهذا الوعد.. وعد عدم الدخول في «الأمور البوليتيقية»، وهو الأمر الذي لم يتأخر كثيرا.

مراجع القصل الثائي

● د احمد عزت عبدالكريم

تاريخ التعليم في مصر في عصر محمد على

تاريخ التعليم في مصر في عصر اسماعيل وتوفيق والسنوات المتصلة بها ، القاهرة ١٩٤٨

●د ابراهیم عبده،

تاريخ الوقائع المصرية ١٨٢٨ . ١٩٤٢

جريدة الاهرام - تاريخ مصر في حمس وسبعين سنة القاهرة ١٩٥١

🛢 د روف عباس حامد،

الملكيات الزراعية المصرية واورها في المجتمع المصرى ١٨٣٧ ـ ١٩١٤، القاهرة ١٩٨٣

● عبدالرحمن الرافعي،

عصر اسماعيل (جزء ثان) القاهرة ١٩٤٨

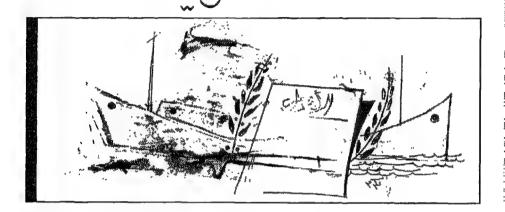
🖷 د. عبدالله عزباوی،

الشوام في مصر في القرن الثامن و التاسم عشر القامرة - ١٩٨٦

د يونان لبيب رزق

تاريخ الوزارات الصرية ١٩٧٨ . ١٩٥٣، القامرة ١٩٧٥

قصة البرلان المسرى، القامرة ١٩٩١



- الأهـرام ولد في شارع البورصة يوم السبت أغسطس ١٩٨٧٦ وفي حي القناصل بالاسكندرية
 - ■ وجود ما يقرب من خمسة آلاف شخص من أبناء الشام في الأسكندرية أعطى الأطمئنان لأصحاب الاهرام
- الاسكندرية عرفت الصحافة الأجنبية في عصر سعيد باشا وظهرت صحف «الاندبندان» و «الجازيت دى تريبينو» وانتشار المطابع المحف



شارع البورصة المتفرع من ميدان القناصل الذى عرف فيما بعد باسم ميدان المنشية بالأسكندرية، وفى مبنى أمام بنك الرهونات ولد الأهرام يوم السبت ٥ أغسطس عام ١٨٧٦.

واذا كانت الاسكندرية المدينة الأكثر فرنجة بين المدن المصرية وقتذاك فإن «ميدان القناصل» كان مركز التجمع الأوربي في المدينة، فبدا من عصر محمد على وخلال عشرينات القرن الماضي بدأ الأجانب يقيمون حول هذا الميدان فنادقهم ومقاهيهم ومحلات طعامهم وشرابهم فضلا عن غالبية قنصلياتهم.

ومعلوم أن التمثيل الأجنبى في مصر بدءا من ذلك العصر وحتى عصر اسماعيل قد أقيم في الأساس في الأسكندرية حتى أن وزارة الخارجية المصرية أول مانشأت تحت اسم «ديوان التجارة والأمور الأفرنكية» قد اتخذت من الاسكندرية مقرا لها.

رغم ذلك فقد استمر «ميدان القناصل» حتى عصر اسماعيل يقدم غوذجا بدائيا للميادين الأوروبية، فقد وصفه أحد الرحالة فى عصر سعيد بقوله «وحتى ميدان القناصل بنافوراته المائية وأنواره الغازية وأرصفته ومبانيه الأوروبية الطراز وواجهات متاجره الأوروبية المظهر كان مثيرا للائقباض بتقليده الرخيص لبعض ميادين باريس أوروما».

غير أن هذا الشكل قد تغير كثيرا خلال السبعينات.. عقد مولد الأهرام، فقد وصفه الرحالة الفرنسى «دى فوجانى» الذى زار الأسكندرية خلال هذا العقد وأصدر كتابا عنها جاء فيه عن الميدان قوله أنه قد «صار مركز التجارة الأوروبية بالأسكندرية، وهناك أقاموا قثالا بديعا من البرونز لمحمد على باشا عام ١٨٧٣ صنعه المثال الفرنسى «جكمون» حيث نصب على قاعدة من الرخام الإيطالي في وسط الميدان، وصار الميدان محاطا بالنصب التذكارية الجميلة والفنادق الفخمة والمتاجر الغنية التي ارتفع مستوى عرضها الفني والنافورات وغير ذلك من الوسائل الترفيهية التي جلبها الأجانب معهم».

واذا كان عنصر المصادفة يلعب دورا فى تحديد محال الميلاد للأشخاص فان الأمر يختلف بالنسبة لمحال ميلاد المؤسسات، فلابد أن تتوافر ظروف موضوعية تحدد فى النهابة تلك المحال.

وبالنسبة «للأهرام» فقد تضافرت ظروف عديدة لتحديد المحل.. ميدان القناصل بالأسكندرية..

ربما يكون أول هذه الظروف وأهمها ماكان يتمتع به الميناء الشهير كمركز متقدم للاتصالات بمقاييس العصر، الأمر الذي عبرت عنه الصحيفة الوليدة في رأس أعدادها الأولى.

جاء في هذا الرأس أن «الأهرام» تقبل الاشتراكات في «مصر وسائر الأرياف

الخديوية»، أى فى القاهرة وسائر الأقاليم المصرية، وفى «الأستانة العلية» وفى «سوريا وسائر الممالك المحروسة» أى سائر أنحاء الامبراطورية العثمانية، وفى «أوروبا والجزائر وتونس»، وفى «بمباى وكلكتا».

ومع ملاحظة أن الصحف كانت تعتمد وقتذاك على الاشتراكات فإن معنى ذلك أن الوصول الى تلك البقاع كان متيسرا، وعلى وجه الخصوص من الأسكندرية.

على مستوى «مصر والأرياف الخديوية» فمعلوم أن أول خط حديدى نشأ فى القطر المسرى هو الخط الذى بدأ بناؤه فى عصر عباس الأول والذى ربط بين الأسكندرية والقاهرة ثم ما لبث أن امتد إلى السويس ثم الى سائر أنحاء الدلتا والصعيد فى عصر السماعيل حيث بلغت أطوال الخطوط الحديدية التى تم انشاؤها حتى منتصف السبعينات، وقت صدور الأهرام، ١٠٨٥ ميلا ربطت الأسكندرية بسائر انحاء مصر.

أما بالنسبة للإتصال مع خارج مصر فهناك التحول الكبير الذى بدأ منذ الستينات وأعاد للأسكندرية مكانها المتقدم فى الموانى المصرية المطلة على «بحر برة»، كما كان يسمى المصريون وقتذاك البحر المتوسط، على اعتبار أنه البحر الذى كان يربط مصر «ببلاد برة»، وهو الاسم الذى كان يطلقه آنئذ المصريون على بلاد أوروبا.

وفى عام ١٨٧٦، عام صدور «الأهرام»، بلغ عدد السفن التى دخلت مينا، الأسكندرية ٧٥٠٥ سفينة، مما يدل على مدى اتساع حركة النقل البحرى التى ربطت الميناء العتيد بسائر الموانى شرقا وغربا.

وقد ارتبطت الاسكندرية بـ «بلاد برة» من خلال البرق والبريد على نحو لم يتوافر لأى مدينة في مصر بما فيها القاهرة نفسها..

ففى عهد سعيد، وفى عام ١٨٥٦ على وجه التحديد، رخص للمستر جيسبورن بانشاء خطوط تلغرافية تربط الخط التلغرافي البحرى الواصل بين الأسكندرية والدردنيل بالخط الواصل بين السويس وعدن.

وفى عام ١٨٧٠ أنشأت «شركة التلغرافات الشرقية» خطا تلغرافيا بحريا من الأسكندرية الى السويس الأسكندرية الى السويس فعدن والهند، ويتصل بخط الشرق الأقصى واستراليا.

أما «البريد» فقد كان للأسكندرية تاريخ طويل معد..

أول ادارة بريد خاصة فى مصر أنشأها ايطالى يدعى «كارلو ميراتى» فى الأسكندرية لتصدير واستقبال الخطابات المتبادلة مع البلدان الأجنبية، فكان يتسلم الرسائل من الجمهور ويحملها الى البواخر القادمة من حيث يتسلم الخطابات الواردة ويوزعها على أصحابها.

استمر هذا المكتب يعمل في عصر عباس وسعيد وتسمى «بالبوستة الأوربية»

واتسع نطاق أعماله بعد مد الخطوط الحديدية من الاسكندرية الى سائر أنحاء القطر حتى عام ١٨٦٥، بعد تولى اسماعيل بعامين فحسب، حين اشترته الحكومة المصرية وصار مصلحة اميرية يلاحظ أنها قد بقيت تتخذ من الاسكندرية مقرا رئيسيا لها.

ويلاحظ فى هذا الصدد أنه قد قام الى جانب مصلحة البوستة الأميرية عديد من مكاتب البوستة الأوروبية، وفى الأسكندرية أيضا!، مكتب البوستة الفرنسية، ومكتب البوستة الانجليزية، واللذان مع اتخاذهما للأسكندرية مركزا لهما فقد كانت لهما مكاتب أخرى فى مدن مصرية، خاصة الموانى، ومكاتب البوستة النمساوية والبونانية والإيطالية والروسية، والتى اقتصر وجودها على الاسكندرية.

وفى تقديرنا أن اختيار الاسكندرية «كمحل ميلاد» للأهرام إنما ينم عن نية مبكرة من جانب أصحابه على ألا تكون جريدتهم ذات طابع محلى مثل سائر الصحف التى كانت تصدر فى العاصمة وقتذاك، والتى كانت تعنى بالأساس بالأوضاع المصرية، وتخاطب قبل أى قارئ آخر القارئ المصرى!

ويأتى هذا التقدير من أنه منذ العدد الأول من الأهرام وقد تكشفت نية القائمين على الا يقتصر التوزيع على الأراضى المصرية وإنما الاتجاه شرقا وغربا إلى أقصى المعمورة التي يمكن أن تصل اليها وقتذاك.

شرقا الى بمباى وكلكتا حيث تواجد مجموعات قوية من المثقفين الذين يقرأون العربية ويهتمون بكل ما يصدر مكتوبا بها، وغربا إلى أوروبا ثم الأهم من ذلك إلى المغرب العربي، الجزائر وتونس الذي استمر رغم كل المحاولات ييمم وجهه شطر الشرق.

كانت الاسكندرية خلال عقد السبعينات من القرن الماضى، عقد مولد الأهرام، مركز التجمع الرئيسى للأوروبيين في مصر الذين زاد عددهم زيادة ملحوظة في البلاد خلال عصر إسماعيل.

ويشير الاحصاء الدقيق الذى نشرته الوقائع المصرية عام ١٨٧٣، أى قبل مولد الأهرام بشلاثة أعوام، أن عدد الأوروبيين فى القطر المصرى بلغ ١٩٦، ٧٩ كان منهم فى القاهرة ١٨,٧٢٠ أى بنسبة تصل إلى نحو ٢٠٪.

وقد أفاض الكتاب في وصف سكان الاسكندرية في تلك الفترة حيث ذلك الخليط من السكان الذي تتنوع فيه الجنسيات والألسن وتختلط العادات والتقاليد الأوروبية والشرقية، حتى أن البعض قد قال وقتذاك «يبدو أن كل أمة تحت الشمس قد أرسلت من يمثلها الى الاسكندرية»!!

وقد انعكس هذا الطابع على اختيار الأسكندرية محلا لميلاد الأهرام في ثلاثة أمور على الأقل:

الامر الاول: ان هذا المجتمع قد تمتع خلال تلك الفترة بما عرف بنظام الامتيازات، وهو نظام ذو تاريخ طويل يهمنا منه هنا مااتصل بالصحافة، فقد استخدم الصحفيون هذا النظام للتمتع بقدر من الحماية من محاولات البطش من جانب الحكومة المصرية، وعلى وجه الخصوص من جانب الخديو اسماعيل الذي لم يكن يطيق الهجوم عليه، خاصة بعد أن أدت تصرفاته المالية وديونه المتعاظمة الى توافر أسباب هذا الهجوم.

وقد أدى ذلك الى أنه لدى تأسيس النظام الوزارى فى مصر فى اغسطس عام المدار الأهرام بعامين بالضبط، تقرر أن يكون من أهم اختصاصات وزارة الخارجية المصرية، وليس وزارة الداخلية، التعامل مع «المطابع والمطبوعات الأورباوية والمحلية». وايكال هذه المهمة للخارجية ناشىء عما تتطلبه من اتصال بقناصل الدول صاحبة الامتيازات.

الأمر الثانى: ان الاسكندرية قد عرفت الصحافة الأجنبية منذ عصر سعيد، وهى الصحافة التى تعاظم شأنها فى عصر خلفه «الخديو اسماعيل» وقد تعددت الصحف التى كان لها تاريخها مع اسماعيل، «ليجيبت، الاندبندان، والجازيت دى تريبينو» فضلا عن صحف عديدة أخرى.

وكان أهم ماترتب على ذلك أن توفر فى الاسكندرية المطابع المتسرسة على طبع الصحف اكثر من تلك الموجودة فى القاهرة، وليس من شك أن مثل هذا السبب الفنى كان يشكل عنصر اغراء، قويا لاختيار محل ميلاد الأهرام.

ويشى الأهرام منذ عدده الأول بحقيقة هامة في هذا الشأن فقد جاء في الصفحة الرابعة من هذا العدد مانصه:

«نعلن للجمهور بأن المطبعة التى تطبع الأهرام مستعدة لطبع ما يرد اليها من كتب علمية وادبية وقصص ونوادر وخلافها. وكذلك تطبع بالحرف العربى والافرنجى جميع أوراق الأفراح وضدها نظما أو نثرا من تأليف مدير الجريدة، ثم مجمل مايختص بأوراق التجارة مع اختلاف أنواعها..».

تقول هذه الحقيقة ان الاهرام قد امتلك مطبعة قادرة حتى قبل صدوره، وهو أمر لم يكن ليتوفر الا في القاهرة والاسكندرية.

الأمر الثالث: ان نسبة كبيرة من الشوام الذين قصدوا الى مصر خلال الستينات قد استقرت فى الاسكندرية، ويشير احصاء عن سكان المدينة فى اوائل عصر اسماعيل إلى انه قد استقر فيها نحو ٤٨٠٠ من أبناء الشام الذين أتى منهم صاحبا الأهرام سليم وبشارة تقلا، ويلفت النظر فى هذا الصدد ان عديدا من هؤلاء كانوا يشتغلون بالطباعة أو الصحافة.

ومن احصاء تم وضعه عن الصحف التي اصدرها الشوام في الفترة بين عام ١٨٧٣ وحتى عام ١٨٧٣ وحتى عام ١٨٨٠ وحتى عام ١٨٨٠ والأهرام والتجارة والمحروسة صدرت في الاسكندرية، بينما صدرت الأخريان وهما مصر ومرآة الشرق في القاهرة.

والمعلوم أن الصجيفة العربية التى سبقت الأهرام فى الاسكندرية وهى صحيفة الكوكب الشرقى كان يصدرها سليم حموى، الأمر الذى يمكن القول معه انها كانت بمشابة الخطوة الأولى التى مسهدت الطريق لاصدار الأهرام بعد ذلك بشلاث سنوات فحسب.

يبقى بعد ذلك النظر الى «البيئة» السكندرية التى عاونت على ان تكون محلا ليلاد الأهرام، فالصحف لاتصدر في اى مكان..

تتطلب هذه البيئة في جانب منها حدا أدنى من المجتمع الحضرى، كما تتطلب في نفس الوقت حدا أدنى من التجمعات الثقافية..

بالنسبة للمجتمع الحضرى شهدت الاسكندرية خلال السبعينات تسارع الخطى لصناعة هذا المجتمع..

وكانت بداية الخطى المتسارعة ماأقدم عليه اسماعيل من اقامة عدد من القصور كان على رأسها سراى الرمل، كما جدد سراى رأس التين وقام بانشاء حديقة النزهة على ترعة المحمودية، وبنى سراى الحقانية فضلا عن حى العمال الذى بنى بجوار عمود السوارى.

ويبدو التحول الى المجتمع الحضرى عما أصاب مجموع القرى مثل الحضرة والرملة والسيوف والمندرة وأبى قير من تحول والتى سمح بتعميرها على نطاق واسع بعد ان كان محظورا الاقامة فيها باعتبارها من المناطق العسكرية من قبل.

فى الوقت نفسه تم شق مجموعة من الطرق التى ربطت أطراف المدينة مثل شارع ابراهيم، الممتد من مدرسة السبع بنات الى ترعة المحمودية، وشارع الجمرك وشارع المحمودية وشوارع أخرى عديدة روعى تمهيدها بشكل جيد، وقد تم رصفها ببلاط جىء به خصيصا من «تريستا »وغرس على جانبيها الأشجار الوارفة.

بدأت الاسكندرية في نفس الوقت تعرف المرافق العامة فقد تم في أغسطس عام المركة التعاقد مع «لوبون» النشاء شركة الانارة المدينة بغاز الاستصباح، كما منح المسيو «كوردييه» عام ١٨٦٥ امتيازا لمد الاسكندرية بالمياه النقية فأنشأ ماأسمى «بالشركة الأهلية لمياه الاسكندرية»، والتي كانت أساسا الانتشار شبكة المياه النقية في المدينة.

على ان من أهم المشروعات التى ساعدت على اضفاء الطابع الحضرى على الاسكندرية كان انشاء الخط الحديدى الذى ربط المدينة بمنطقة الرمل، الأمر الذى بدأ قبل صدور الأهرام بستة عشر عاما، وفى أغسطس ١٨٦٠ على وجه التحديد حين منحت الحكومة التاجر البريطاني المستر فيرمان امتيازا لبناء الخط مالبث ان تحول الى شركة سكة حديد الاسكندرية والرمل وتم فى مطلع ١٨٦٣ افتتاح الخط الذى يبدأ من الاسكندرية حتى محطة «بولكلى» الحالية، ويقطار واحد مكون من عربة واحدة درجة أولى وعربتين درجة ثانية وعربة درجة ثالثة يجرها اربعة خيول! التى استبدل بها فى اغسطس من نفس العام قطار بخارى كان يقطع المسافة فى عشرين دقيقة.

باختصار فقد اخذت الاسكندرية، وقبيل صدور الأهرام بسنوات قليلة، تتخذ قسماتها الجديدة في عالم مختلف، لم تعد المدينة العتيدة تعيش على دار الصناعة (الترسانة)، كما كان الحال في عهد محمد على، ولم تعد مجرد مينا عستقبل السفن، والما أصبحت كيانا حضريا متكاملا يوفر البيئة المناسبة لميلاد مثل هذه الجريدة الطموحة.. جريدة الأهرام.

مع البيئة الحضرية هناك المناخ الثقافي الذي يتقبل صدور صحف من نوعية الأهرام ويكون معينا على بقائها ورواجها..

يصف أحد مؤرخى الصحافة فى مصر الأسباب التى أدت الى بدء الفرق المسرحية لعروضها فى مصر فى الاسكندرية عام ١٨٧٦، عام صدور الأهرام، يصفها بقوله انه بعد وصول سليم نقاش وأديب اسحق ويوسف الخياط الى مصر فضلوا ان يبدأوا عملهم فى انشاء الفرق المسرحية فى الاسكندرية على اساس «أن مجتمعنا سيكون أكثر تحررا من مجتمع القاهرة، وان نظرة الناس الى الممثل باعتباره مهرجا ستكون اقل فى الاسكندرية عنها فى القاهرة».

ونتوقف هنا عند قوله «المجتمع الأكثر تحررا» وهي حقيقة استمرت تفرض نفسها على المجتمع السكندري لفترة غير قصيرة..

ويمكن ان يعزى هذا التحرر فى جانب منه الى أن الاسكندرية مع كونها من أقدم المدن المصرية تاريخيا فهى من أحدثها اجتماعيا، ذلك ان أغلب سكان الاسكندرية الحديثة قد وفدوا إليها سواء من سائر انحاء مصر او خارجها، ومثل هذه المجتمعات الوافدة تكون اقل ارتباطا بتقاليد المجتمعات القديمة التى جاءت منها عنها لو بقيت فيها، وهى بالتالى أكثر قبولا للجديد من المجتمعات المحافظة التى جاءت منها.

يعزى فى جانب آخر الى غلبة الأجانب فى المدينة فيما سبقت الاشارة اليه بكل مايترتب على الاحتكاك بهم من قبول لأفكار لايسهل قبولها فى المجتمعات الشرقية المحافظة.

يعزى كذلك الى طبيعة الاسكندرية كميناء مفتوح، والانفتاح هنا ليس مقصورا على المتاجر والبشر وانما أيضا يمتد إلى مختلف التيارات الفكرية التى قوج بها سواحل المتوسط.

فضلا عن ذلك فان التعليم الأجنبي في الاسكندرية قد خلق قاعدة من المثقفين القادرين على استيعاب الأفكار والآراء التي تنادي بها الصحيفة الجديدة.

وكانت المدارس التى يقيمها الفرنسيون والبريطانيون هى المدارس الأكثر قبولا للطلاب المصريين عن المدارس التى اقامها اليونانيون والايطاليون والألمان والأرمن.

وفى عام صدور الأهرام كان فى الاسكندرية أكثر من ثلاثين مؤسسة تعليمية فرنسية، منها ماهو تابع للارساليات الدينية مثل مدارس الراهبات والفرير والجزويت، ومنها ماهو تابع للبعثة العلمانية الفرنسية مثل مدارس «الليسيه» ومنها ماهو مدارس خاصة اقامها اصحابها مثل مدرسة الاتحاد الاسرائيلي وجيرار.

وقد شكل خريجو تلك المدارس وطلابها قاعدة صلبة لبناء «الأهرام» خاصة مع ملاحظة أنه قد انحاز منذ البداية للثقافة الفرنسية وكل ماقمثله، وهو انحياز وصل الى حد الاحتماء بالنفوذ الفرنسي مما شكل صفحة مثيرة من صفحات تاريخ الأهرام!

مراجع القصل الثالث:

- الاهرام العدد الأول اغسطس ١٨٧٦
 - . د. ابراهیم عبده

جريدة الاهرام تاريخ مصر في خمس وسبعين سنة القاهرة ١٩٥١

• د. أحمد عزت عبدالكزيم:

تاريخ التعليم في مصر في عصر اسماعيل وتوفيق والسنوات المتصلة بها

- د. سامی عزیز:
- الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي، القاهرة ١٩٦٨
 - عبدالرحمن الراقعى:

عصر اسماعيل (جزءان) القاهرة ١٩٤٨

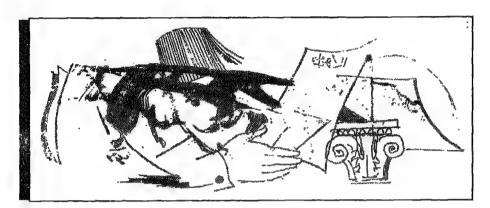
● د. فاطمة علم الدين عبدالواحد

تطور الحياة الاقتصادية والاجماعية والسياسية في مدينة الاسكندية في عهد الاحتلال البريطاني، القاهرة ١٩٨٧. تطور النقل والمواصلات الداخلية في مصر في عهد الاحتلال البريطاني ١٨٨٧ ـ ١٩١٤، القاهرة ١٩٨٩

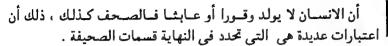
- د. نبيل عبدالحميد سيد احمد:
- الاجانب وأثرهم في المجتمع المصري. ١٨٨٧ ـ ١٩٢٢، القاهرة ١٩٧١.

الفصل الرابع

تشريت قالتشاليدا



- عصر المؤسسات مابين بلاط الحاكم ومجلس الوزراء
- تأى عن الصراعات السياسية الداخلية لكنه واجه القضايا القومية
- تقاليد الاهرام.. فرضت نوعا معينا من القراء تشبهوا بقراء صحيفة التايمز الانجليزية والفيجار والفرنسية
 - قاريء يعقد ربطة عنقه ويرتدى قبعته قبل أن يقرأ!
- الباشوية وأول من حصل عليها من باب الصحافة





من هذه الاعتبارات (العصر) الذى ترعرعت فيه بكل مقولات ، وهى مقولاته قد تدعو فى مجملها الى ارتداء ثياب التقاليد ، كما أنها قد تقود الى خلعها ! ، وقد كان عقد السبعينات من القرن الماضى الذى صدرت فيه الأهرام عقدا حافلا بالأسباب التى تدعو الى الاكتساء بهذه الثياب أو خلعها ، وقد اختارت الأهرام أن تكتسى !

منها أيضا (البيئة) التى خرجت منها ، ولكل بيئة أحكامها التى تقود فى كثير من الأحيان الى صنع جانب كبير من القسمات ، قسمات الصحيفة وقد حدث أن خرج الأهرام من بيئة أهل الشام الذين استوطنوا مصر .

منها ثالثا (الأبوان) اللذان انحدرت الصحيفة من صلبهما (!) ، وكانا بالنسبة للأهرام الشقيقان سليم وبشارة تقلا ، ثم بعد ذلك مجموع ، الآباء الذين تعاقبوا عليها ، فالصحف ليست مثل البشر تكتفى بأبوين فحسب !

ولنبدأ بالعصر..

كان العصر الذى صدر فيه الأهرام عصر قيام العديد من المؤسسات في مصر بكل تقاليدها التي تم ارساؤها ..

ويمكن أن نرصد على الأقل ثلاثا من تلك المؤسسات .. بلاط الحاكم والبرلمان المصرى ثم أخيرا مجلس الوزراء .

• البلاط الملكي The Royal Court

بدأ تأسيسه بكل مفرداته بعد ما شرع الخديو اسماعيل في بناء قصره الشهيرة في عابدين ثم الانتقال من القلعة التي استمرت منذ عهد صلاح الدين مقرا الحكام مصر الى القصر الجديد ، ولم يكن مجرد انتقال من بناية متجهمة تنتمى الى العصور الوسطى الى بناية ذات مستوى فنى رفيع تنتمى الى عصر النهضة .. كانت المسألة أكبر من ذلك بكثير .

كان الانتقال فى الحقيقة من بناية يتمترس الحاكم داخلها ويحيك فيها المؤامرات لضرب خصومه الذين كانوا ينازعونه السلطة ، خاصة من كبار المماليك ، الى بناية تعبر عن استقرار الحكم المركزى الذى صنعه محمد على ، بكل تقاليده الجديدة التى أرساها اسماعيل .

يمثل النظام الذى وضع للقصر جانبا من هذه التقاليد ، سواء ما جاء منه متصلا «باستقبالات ولى النعم» أو الاحتفالات التي تحدد لها مواقيتا بعينها ، وما ارتبط بذلك من تطبيق قواعد البروتوكول والاتيكيت وهي قواعد لم تكن متبعة يقينا داخل القلعة !

قثل الادارة في عابدين جانبا آخر للبلاط الجديد والذي سمى مع نشأته « بالمعية السنية » ، أي اولئك الذين بصحبة الخديوي أو بالأحرى في بلاطه ، وقد بدأت هذه الادارة بالقلمين العربي والافرنجي ثم تعددت بعد ذلك أجهزتها ، خاصة ذلك الجهاز الذي تولى إدارة املاك حكام مصر والذي عرف بالخاصة الخديوية ثم الملكية بعد ذلك .

وقثل الحاشية الجانب الأخير من تقاليد القصر التى نشأت فى عصر اسماعيل والتى تشكلت من مجموعة من الرجال القريبين من الخديو ، أو فيمن أسماهم أحد المعاصرين « الخدم والحصيان والنساء والجوارى » وكان لهم نظام مخصوص .

● كان البرلمان المصرى المؤسسة الثانية التي نشأت وأرست تقاليدها خلال نفس العصر، فان مانشأ عام ١٨٦٦ تحت اسم مجلس شورى النواب لم يلبث ان أصبح خلال السبعينات مؤسسة نيابية كاملة التقاليد .

وقد تضمنت اللاتحة الأساسية للمجلس عديدا من القواعد التي تحولت مع الوقت الى تقاليد راسخة ..

خطبة العرش أو ماأسمى في هذه اللائحة بمقالة الخديو والرد عليها من قبل المجلس كان يشكل أول هذه التقاليد .

لجان المجلس أو ماعرف آنئذ بالأقلام التى تفحص صحة نيابة الأعضاء وتعرض قراراتها على هيئة المجلس كانت ترسى التقليد الثاني .

الحصانة البرلمانية التي يتمتع بها الأعضاء فلا ترفع عليهم دعوى جنائية أثناء انعقاد المجلس إلا إذا ارتكب العضو جريمة القتل كانت ترسى التقليد الثالث.

وقد وصلت العناية بالتقاليد في هذه المؤسسة الى حد تقرير نوع الملابس التي يرتديها العضو في المجلس بأن تكون « بالحشمة اللائقة » وطريقة الجلوس بأن تكون «بهيئة الادب» !

● ويقدم « مجلس الوزراء المصرى » ثالث المؤسسات التي نشأت في نفس العصر (١٨٧٨) .

قبل ذلك كانت الوزارات ، أو النظارات بتسمية العصر ، مجرد وحدات إدارية تقوم كل منها بتصريف الأمور في جانب بعينه ، تحت الاشراف المباشر للحاكم .

أما بصدور الأمر العالى فى ٢٨ اغسطس عام ١٨٧٨ « المؤسس لهيئة النظارة الجديدة ووظائفها » فقد تشكلت المؤسسة الجديدة ، وقد أرسى الأمر المذكور بعضا من تقاليدها ، وتكفل الزمن بارساء المزيد من هذه التقاليد .

« أن يكون أعضاء مجلس النظار بعضهم لبعض كفيلا فان ذلك أمر لا بدمنه » والذي يعنى التضامن في المسئولية الوزارية كان اول هذه التقاليد .

« مجلس النظار يتفاوض في جميع الأمور المهمة المتعلقة بالقطر ، ويرجع رأى أغلبية المنطائه على حسب الأغلبية المنطقة على حسب الأغلبية المنطقة المن

العلاقة بين رئيس النظار وسائر النظار وضع الأمر المذكور تقاليدها سواء فيما يتصل بتعيين كبار الموظفين أو فصلهم ، فضلا عن تحديد الاختصاصات فلا يتعدى ناظر على اختصاصات آخر أو موظفية الذين «لا يجب عليهم طاعة أمر غيره» !

باختصار فقد كان العصر الذى صدر فيه الاهرام عصر إرساء التقاليد فى مناح شتى، ولم يكن غريبا أن يتولى القائمون على اصدار الصحف الجديدة ارساء التقاليد النابعة من احتياجاتهم والخاصة بهم ، وكانت الأهرام فى طليعة تلك الصحف !



نأتى بعد ذلك الى البيئة ..

ولا نظن اننا نضيف جديدا عما هو معروف من أنه بعد حوادث الستينات (١٨٦٠) التى شهدها جبل لبنان فقد خرجت منه أرتال من البشر توجهوا الى حيث يتلمسون الأمان بدأت بشائرهم تصل الى مصر والتى كانت قبل ذلك بوقت طويل موئلا لعناصر شتى من سائر أنحاء الدولة العثمانية . بمن فيهم أهل الشام .

ومع الحركة الدستورية في تلك الدولة في منتصف السبعينات والتي نسبت الى مدحت باشا ، وما تبع ضرب هذه الحركة من سياسات قمعية ارتبطت باسم السلطان عبد الحميد الثاني تزايدت معدلات الخروج من بلاد الشام .

وقد حدث فى نفس ذلك العقد أن كانت مصر تشهد عصرا جديدا خاصة بعد فتح قناة السويس فى اواخر العقد السابق وتزايد أسباب الاتصال بالغرب وتولى باشا واسع الأفق ، ولم يكن سوى اسماعيل .

وقد تميز أهل الشام الذين جاءوا الى مصر عن غيرهم في مناح عديدة ...

فهم لم يدرجوا فى نطاق الأجانب الذين قدموا من سواحل البحر المتوسط الأخرى ، مثل اليونانيين والايطاليين او الفرنسيين ، أو عمن أتوا من غرب أوربا مثل البريطانيين، فقد كانوا فى النهاية رعايا الدولة العلية . مثلهم مثل المصريين.

وهم لم يدرجوا ضمن العناصر التركية التى استمر الحكم فى مصر يستمد منها أدواته حتى أواخر القرن التاسع عشر ، ومن ثم لم يشكلوا مجتمعا متمايزا عن المصريين ، وقد ساعدهم على الاقتراب من الأخيرين وحدة اللسان .. اللسان العربى .

وهم لم يتقوقعوا داخل « جيتو » مثل حارة اليهود . الأمر الذي صنع دائما حاجزا مابين هؤلاء وبين جموع المصريين !

بيد أن هذا التميز رإن صنع قدرا من الاسهام في الحياة المصرية، خاصة في مناحيها الاقتصادية والثقافية، إلا أنه كان اسهاما محسوبا، ولعل هذا الحساب هو الذي صنع بعضا من تقاليد الصحافة الشامية، ومن بينها الأهرام.

العلاقة بالسياسة كانت أول هذه التقاليد، وهي علاقة بدت منذ اللحظة الأولى التي خطاها سليم تقلا لإصدار الجريدة.. طلب الترخيص باصدارها الذي رفعه الى «ناظر الخارجية»، جاء فيه بالحرف الواحد: «.. بدون ان اتعرض لدخول مطلقا في الأمور البوليتيقية»!

صحيح ان الاهرام لم يوف بهذا التعهد على نحو الوعد الذى قطعه منشئة على نفسه، الا انه كان البدأية لإرساء مجموعة من التقاليد التى استمرت تحكم مسيرة الأهرام السياسية..

● «عدم التورط في الصراعات السياسية الداخلية » استمر القاعدة التي تحكم هذه السيرة فالأهرام لم يحسب في أي وقت على جماعة سياسية بعينها من الجماعات المصطرعة على الساحة في مصر.

بالمقابل فان «الأهرام» قد قبل المواجهة في القضايا القومية، وهو تدخل محسوب في السياسة، فبينما تتسم مثل هذه القضايا بقدر من ثبات المواقع، فأن الصراعات الحزبية يغلب طابع التقلب الذي أودى بصحف كثيرة لم يكن القائمون على الأهرام مستعدين أن تكون جريدتهم إحداها!

- «ضبط النغمة» شكل العنصر الثانى من التقاليد التى تم ارساؤها من جانب «الاهراميين»، فهم فى اى الظروف كانوا حريصين على ان يكون صوتهم السياسى «معتدلا» فلم يلجأوا فى أى الأوقات الى «الصياح» الذى استمرت تلجأ اليه بعض الصحف المصرية، خاصة الصحافة الحزبية، فقد كانوا يعلمون ان الصياح عمره قصير، كما انهم وبنفس الدرجة لم يلجأوا الى خفض الصوت الى حد الشحوب او التوارى، لأن هذا كان يعنى ببساطة لونا من الانتحار البطىء، وهو وان كان قد حدث فى بعض العهود لكنه لم يستمر طويلا بعد استشعار خطورته.
- «الحرفية» صنعت العنصر الثالث من تقاليد الأهرام الناشئة عن عدم التورط في الصراعات السياسية، فإن المعارك التي كانت تخوضها الصحف الاخرى ونأى الأهرام بنفسه عنها كان لها معجبوها من الساعين الى تتبعها أوكان على الصحيفة العتيدة ان تقدم البديل، ولم يكن سوى المزيد من الدقة ومنذ اللحظة الأولى لصدور الأهرام.

فى العدد «زيرو» أو ما اسمى به «مثال جريدة الأهرام» الصادر فى ١٥ يوليو عام ١٨٧٦ جاء بالحرف الواحد عن الجريدة المزمع اصدارها أنها «تستقصى عن الأخبار الصادقة الراهنة ولا تترك خبرا مفيدا سواء كان برقياً أو بغير وساطة، وقد أقمنا فى جميع الجهات وكلاء لهم إلمام ومعارف فى جميع الأمور والأحوال لتستند على أخبارهم

الوثيقة».

وعاد العدد الأول الصادر في ٥ أغسطس من نفس العام ليؤكد هذه النية فيما جاء من قول أن الجريدة «تجعل من يتصفح صفائحها واثقا بما يطالعه لأنها تعانى البحث لتقف على الفوائد الصحيحة».

وبمقارنة الأهرام بالصحف المعاصرة والتى قامت بالأساس على الطباعة اليدوية يلاحظ انه قلما كانت تتسلل الأخطاء المطبعية لصفحات الأهرام بينما كانت تحفل بها صفحات الجرائد الأخرى!

● تجنب «البوليتيقا» ادى أخيرا من بين ما أدى اليه إلى إعطاء عناية بالغة للأخبار الخارجية، فقد كانت أكثر أمنا من التورط فى أخبار الأوضاع الداخلية، الأمر الذى نلاحظه فى المساحة الكبيرة التى خصصها الأهرام منذ اعداده الأولى لبرقيات الوكالات الأجنبية ولترجمة المقالات عن الصحف والمجلات الأوربية، وقد استمر الأهرام من اكثر الصحف المصرية اهتماما بالخارج، حتى يومنا هذا!

وقد فرضت هذه التقاليد على الأهرام نوعية بذاتها من القراء مثل تلك النوعية التى عرفتها التايمز والفيجارو، والتى يقال عن قارئها انه يعقد ربطة عنقه ويرتدى قبعته قبل ان يشرع في قراءة صحيفته(١) وهو أمر قد لا يربح الكثيرين!

يبقى الأبوان كرافد في صناعة التقاليد، وأول ما يلفت النظر هنا ان الأهرام وفي كثير من الأوقات لم تكن أكثر الصحف انتشارا الا أنها كانت أطولها عمرا.

فتاريخ الصحافة المصرية يحفل بجرائد اكتسبت شهرة واسعة لكنها انتقلت الى رحمة الله في نفس القبر الذي ضم رفات اصحابها بعد وفاتهم بشهور قليلة.

والفارق بين صحيفة تحتجب بوفاة مؤسسيها ، مهما تكون قد اكتسبت من شهرة وبين صحيفة اخرى تعيش بعد رحيل هؤلاء المؤسسين، هو الفارق بين الارتباط بالشخص والامتثال للتقاليد.

وبينما تقدم صحيفة المؤيد التى صدرت عام ١٨٨٩ وعاشت لنحو ربع قرن، وكانت من أوسع الصحف المصرية انتشارا والتى لم تعش بعد وفاة مؤسسها، الشيخ على يوسف، سوى شهور قليلة، غوذجا للنوع الأول ، فان الأهرام تقدم النموذج للنمط الثاني.

وقبل أن نعرض للدور الذى لعبه الاخوان فى أرساء تقاليد الأهرام ينبغى التذكير، بالوضعية الاجتماعية للعاملين بالصحافة وقت صدور الاهرام، ولفترة غير قصيرة بعد ذلك، وهى وضعية وصفتها أحدى محاكم القاهرة فى حكم شهير عام ١٩٠٤ بانها «حرفة دنيئة!»

ينبغى التذكير ايضا بأن الاخوين سليم وبشارة، كانا إفرازة لتلك النهضة الأدبية التى قادها الشيخ ناصيف اليازجى وبطرس البستاني في لبنان، فهما لم يقر به فقط لهذين الزعبمين من زعماء النهضة وانما أتيحت لهما الفرصة للتتلمذ على أيديهما.

وعيا بهاتين الحقيقتين فانه يلفت النظر حقيقة، ودون انحياز مسبق للأهرام أو لمؤسسيها، ان الاخوين، خاصة بشارة الذي امتد به العمر عن أخيه (سليم توفي عام ١٨٩٢ عن ٤٣ عاما وبشارة توفي عام ١٩٠١ عن ٤٨ عاما)، قد أحرزا نجاحا في إضفاء قدر من الاحترام على المهنة، وهما في هذا لم يبحثا عن الشعبية بقدر ما بحثا عن الاحترام.

وكان بشارة تقلا من قليلين ممن حصلوا على رتبة الباشوية في عمره من باب واحد هو باب الصحافة، صحيح أن الزعيم الوطني المعروف مصطفى كامل حصل على نفس الرتبة، غير أن هذا الحصول قد صدر عن كونه سياسيا قبل ان يكون صحفيا.

وتشير الترجمات التى وضعت للرجل خاصة تلك التى قدم لها خليل مطران فى أعقاب وفاته الى ان أبواب الحكام والعظماء سواء فى مصر او فى خارجها، كانت مفتوحة أمامه دائما، ولم يأت ذلك من فراغ بل صنعه تقاليد تم ارساؤها.

فقد ادار بشارة الأهرام على (نحو مؤسسى) وليس على نحو شخصى فيما سجله خليل مطران بقوله: «الشرقى لا يفطر على التدبير ولا يربى عليه فهو فاقده خلقا واكتسابا ولهذا لا يحسن القيام على المال ولا يجيد ادارة الأعمال إلا أفراد شذوا عن القاعدة كالمترجم فانه كانت لا تفوته شاردة ولا واردة من امره ولا أمر عمله».

ولعل ذلك كان من وراء ان الأهرام عند نشأته صدر كصحيفة اسبوعية ذى مطبعة هزيلة بطيئة، على حد تعبير خليل مطران، غير انه وقت وفاة بشارة (١٩٠١) كان قد تم استبدال تلك المطبعة «باثنتى عشرة مطبعة مختلفة الحجم متناسقة فى قاعة رحيبة بقصر شاهق يدار اكثرها بنفس الغاز المحترق وتعمل فيها أدق المطبوعات وأجملها ويكون الصناع فيها نحو الستين من ذوى العيال الذين يرتزقون»! وصدرت بدلا من الجريدة الاسبوعية جريدتان يوميتان، الأهرام والبيراميد، وكانت ثانيتهما تصدر بالفرنسية.

وألقى التكوين الشخصى لآل تقلا بظلاله على بناء الأهرام، وبالتالى وضع تقاليده، ولعل أهم ما فى هذا التكوين (رفض الانسياقات العاطفية أو الحدة) فى اتخاذ المواقف، وهو تكوين صادر فيما نرى، عن الانتماء للأقلية الشامية بكل التحوطات النفسية التى تمسك بتلابيبها !

تروى مجلة الضياء غداة وفاة بشارة قصة عنه فتقول ان بعض أخصائه كتب اليه كتابا شديد اللهجة يستعجله بشأن مطلب من المطالب فتأثر من ذلك ولما اجتمع به قال بالحرف الواحد: «لا يرتقى الانسان هكذا ولو كنت بحدتك وسرعتك لما قدرت أن أعمل شيئا بل كنت اليوم حيث كنت أمس بلا زيادة ولا نقصان».

ويقدم احد محررى الاهرام شهادة فى هذا الصدد فيقول أنه «كان يأنف كل طعن فى الأفراد فكان اذا تولت الحدة أقلامنا للرد على معتد نختلس لذلك فرصة غيابه او غفلة منه فنكتب ما نكتب ونحن نتوقع منه توييخنا » !

(التعفف) كان تقليدا آخر سعى آل تقلا الى ارسائه منذ ذلك الوقت المبكر من تاريخ الأهرام.

ومع انه يمكن استقراء هذه الحقيقة من تقليب صفحات الأهرام خلال ربع القرن الأول من حياته فان احد العاملين فيه يقدم شهادة اخرى فى هذا الشأن جاء فيها انه لدى توليه لعمله فى الصحيفة الشهيرة استدعاه بشارة تقلا وكانت أولى وصاياه له: «إذا رأيت أن كلمة تقولها يخسر معها شخص قرشا وتربح الأهرام آلافا فلا تقلها ولو خسرت الأهرام فوق الربح المنتظر اضعافا».

(تغليب العام) على الخاص، الأمر الذي وعاه بشارة جيدا فيما جاء في وصيته وهو على فراش مرضه الأخير للمتحلقين من حوله من هيئة تحرير الأهرام، قال: «تحروا المباحث المفيدة للأمة ولا تخشوا في الخدمة الصحيحة والحقيقة المفيدة احدا واجتنبوا المثالب واسكتوا عن المطاعن ولو كانت على »، مما استمر أحد التقاليد الراسخة للجريدة العريقة يصعب الخروج عنه حتى لو أراد له البعض ذلك!

(الاستمرارية) كانت تشكل تقليدا دائما وأخيرا من التقاليد التى ارساها آلا تقلا فى الأهرام، ونعود مرة ثانية الى شهادة خليل مطران التى قال فى جانب منها: «كنت استقرى كل حادثة من بدئها الى نهايتها كأننى اقرأ قصة لذيذة وعندى ان المترجم بما أوده من الأنباء المتسلسلة التى لم يقطع موردها عن القراء يوما واحدا فى ربع قرن لا يضارعه اخبارى فى الغرب فضلا عن الشرق».

وتأسيسا على هذه الشهادة فلا نجد ثمة غرابة فيما رواه القريبون من الرجل لحظة احتضاره من أن آخر كلماته كانت: «أديروا المطابع»!

• مراجع القصل الرابع

اعداد الأهرام

رقم العدد التاريخ

المثال ١٨٧٦/١/١٥

الأول ١٨٨١/١٨٨١

د.ابراهیمعبده:

جريدة الأهرام. تاريخ مصر في خمس وسبعين سنة القاهرة ١٩٩١

```
جرجيزيدان:
```

تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ـ القاهرة ١٩٣٢

خليلمطران:

بشارة تقلا ١٨٥٣ ـ ١٩٠١م، مطبعة الأهرام، القاهرة ١٩٠٧

د. سعیدة محمد حسنی:

المجالس النيابية في مصر في عهد الاحتلال البريطاني ١٨٨٧ ـ ١٩١٤، القاهرة ١٩٩٠

د.عبداللەعزباوى:

الشوام في مصر في القرنين النامن عشر والتاسع عشر ـ القاهرة ١٩٨٦

قۇ ادكرم:

النظارات والوزارات المصرية ١٨٧٨ ـ ١٩٥٤، القاهرة ١٩٦٩

د. پونانلېيبرزق:

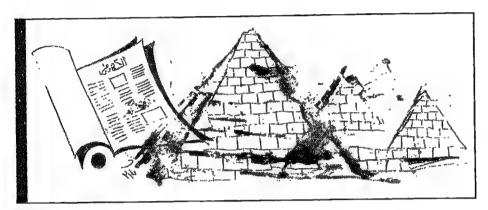
تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ ـ ١٩٥٣، القاهرة ١٩٧٥

قصة البرلمان المصرى، القاهرة ١٩٩١



الفصل الخامس

نأسس نانه و فأسس نانها لا



- اعظمأثر موجود في القطر المصرى وفي سواه أيضا!
 - التمثال العظيم المدعو أبوالهول
 - الأهرام تكفى لبناء سور حول فرنسا
 - = خزانة علوم المصريين
 - انحيازات الأهرام الوطنية

أهوام بعيدا في أي وقت عن الأهرام الصحيفة.

كان «أهرام الجيزة» مستقرا دائما في وجدان القائمين على صحيفة الأهرام، سواء في موقعهم في ميدان القناصل بالاسكندرية أو في مقارهم بالقاهرة، في شارع مظلوم أو في شارع الجلاء، الأمر الذي استمر بامتداد الـ ١١٧ عاما التي انصرمت من عمر الأهرام، وهو استقرار لم يظهر فحسب من الشعار الذي اختارته الصحيفة.. اهرامين بينهما أبو الهول في العدد الأول، والاهرامات الثلاثة في العدد الأخير، والها ظهر فيما هو أهم من ذلك.

قفى شهر فبراير ١٩٩٣، وبيتما كان الرئيس مبارك يفتتح المبنى الثانى من مبانى الأهرام لم ينس الأستاذ ابراهيم نافع، رئيس التحرير ورئيس مجلس الادارة، فى خطبة الترحيب بالرئيس، أن يربط بين المبنيين اللذين تمت اقامتهما، وبين الاهرامات، وان إدارة الاهرام بصدد إقامة المبنى الثالث حتى تكتملا إهراماتها الثلاثة!

وقبل ١١٨ سنة، وفي شهر أغسطس عام ١٨٧٦، شغلت الأهرام جانبا من صفحات أعدادها الخمسة الأولى بتاريخ «اهرام الجيزة»، مما يشكل قصة طريفة من قصص الديوان.. ديوان الحياة المعاصرة!

بدأت هذه القصة في العدد الأول من الأهرام الصادر في ٥ اغسطس عام ١٨٧٦، وانتهت في العدد الخامس الصادر في ٢ سبتمبر من نفس السنة.. جاء في العدد الاول:

«بما اننا اخترنا تسمية جريدتنا هذه باسم أعظم أثر موجود في القطر المصرى وفى سواه ايضا وهو الاهرام رأينا من باب الافادة ان ندرج فى كل عدد بالاستقراء تاريخ هذا الاثر نقلا عن اشهر المؤرخين المتأخرين ـ يقصد المعاصرين ـ الذين تكلموا فيه مدققين ليكون معلوما عند كثيرين الذين الى الوقت الحاضر نظروه وسمعوا عنه لكنهم لم يدركوا تاريخه».

تبع ذلك بالمقالات الخمس التى تشى بمجموعة حقائق، بعضها متعلق بالعصر، والبعض الآخر متصل بالانحياز للوطن الذى صدرت فيه الأهرام، والبعض الأخير مرتبط بالمنهج الذى ارتضاه الأهرام منذ أن صدر.

الذى نقصده (بالعصر) ما دخل على علم والمصريات»، أى علم البحث فى آثار مصر الفرعونية وتاريخها.. ما دخل على هذا العلم منذ أواخر القرن الثامن عشر وحتى صدور الأهرام والذى جعل اختيار الاسم طبيعيا وجعل الأخطاء التى وقعت فيها المقالات طبيعية أيضا (!)، فعلم المصريات لم يكن قد استكمل بعد كل معارفه!

معلوم أن البدايات الأولى للاهتمام بالمصريات في التاريخ الحديث جاءت مع قدوم

الحملة الفرنسية الى مصر أواخر القرن الشامن عشر (١٧٩٨)، وهى البدايات التى استهلها نابليون بقولته الشهيرة لجيشه قبيل الموقعة المعروفة باسم موقعة الأهرام. أو امباية . : «ان اربعين قرنا تطل عليكم من هذا المكان»، وأكدها علماء الحملة الذين منطلقوا في سائر أنحاء مصر يبحثون وينقبون ليضمنوا ماوجدوه في كتابهم الشهير «وصف مصر»، وتوجت هذه البدايات بالعثور على «حجر رشيد» وتمكن العالم الفرنسي شامبليون من فك رموزه والتعرف على «الهيروغليفية» التى كانت مفتاحا لصندوق الأسرار الذي ضم كل ذخائر الحضارة المصرية القديمة.

وقد ارتبطت زيادة الاهتمام بعلم المصريات بتطورين تاريخيين هما بروز الدولة الحديثة في مصر وتشعب اهتمامات السلطة المركزية، ومزيد من الوفود الأوربي الى البلاد، وكان من بين شواغل الوافدين، فضلا عن الأسباب الاقتصادية، أسباب ثقافية فقد وجدوا أمامهم كنرزا أثرية لاتتوفر في أي مكان من العالم، ولم يجدوا بأسا في الجرى وراء تلك الكنوز ضمن الكنوز الأخرى التي جاوا الى أرض الكنائة للحصول عليها.

وانطلاقا من هذا الاهتمام أنشأ محمد على أول دار للآثار «بجهة الأزبكية بمنزل الدفتردار»، وفي عهد سعيد انتقلت دار الآثار الى بولاق، وكانت طوال ذلك الوقت أقرب الى مخزن منه الى متحف، ولم يحدث تطويرها الا في اوائل عهد اسماعيل عندما افتتحت بعد تنظيمها في أكتوبر عام ١٨٦٣، وقد استمرت في هذا الموقع حتى نقلت الى الجيزة عام ١٨٩٣، ثم الى موقعها الحالى بعد ذلك بأحد عشر عاما.

انطلاقا من هذا الاهتمام أيضا توافد علماء المصريات الى البلاد، ومن شتى أنحاء العالم الغربي، فرنسيين وبريطانيين وألمان وأمريكان، وإن كان الأوائل قد احتلوا مكانة خاصة في هذا المبدان.

يذكر من هؤلاء المسيو ماريبت الذى نال رتبة الباشوية لدوره فى مجال المصريات، فقد جاء الى البلاد عام ١٨٥٠ وقام بحفائر هامة وتولى ادارة المتحف حتى توفى فدفن فهه!

انطلاقا من هذا الاهتمام أخيرا تم انشاء أول مدرسة للدراسات الأثرية في القاهرة عام ١٨٦٩، قبل صدور الأهرام بأقل من سبع سنوات، وهي المدرسة التي أسسها العالم الألماني «هنري بروكش» وقامت بتخريج الفوج الأول من الأثريين المصريين على رأسهم أحمد كمال الذي يتفق المعنيون بعلم المصريات على توصيفه «بأبي الأثريين المصريين»، ولم يقتصر اسهام الرجل على العمل الوظيفي في المتحف أو ما كان يعرف باسم «الأنتيكخانة المصرية» والتي وصل فيها الى منصب أمين مساعد المتحف، أو بالاشتراك في عمليات التنقيب، والما ترك لنا مجموعة من الأعمال أشهرها «كتاب العقد الثمين في محاسن وأخبار وبدائع آثار الأقدمين من المصريين»!

وجاء الاهتمام بالاهرامات في اطار تزايد الاهتمام بالمصريات، فظهر الساعون الي

!!- قسب حولها كان أشهرهم الايطالي كافيليا الذي قام بفحص الأجزاء الداخلية للهرم الأكبر عام ١٨٨١، والانجليزيين هو ارد فير وبرنج اللذين قاما بفحص شامل للهرم بين عامي ١٨٣٧ و ١٨٣٩.

وقد أدى تزايد الاهتمام الأوربى بأعظم مبانى العالم القديم الى أن يقوم اسماعيل عناسبة افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ بشق طريق بين القاهرة وبين الهرم، وقد سعى الخديو من وراء ذلك الى توفير وسيلة مواصلات مريحة لضيوفه من الأوربيين، وكان يعلم مدى حرصهم على زيارة أعجوبة العالم الأولى!

كل هذه المتغيرات والتى تتالت بسرعة ملحوظة خلال الربع الثالث من القرن التاسع عشر (١٨٥٠ م ١٨٧٥) لاشك انها وفرت مناخا ملائما ليشد الأهرام اهتمام جموع المصريين، خاصة المثقفين، ولم يكن ثمة غرابة مع هذا أن تتخذ احدى صحف العصر من هذا الأثر الضخم اسما لها؟

اذا لم تكن هناك حقيقة يقينية فى العلوم، خاصة الانسانية منها، فان هذه اليقينية تشحب كثيرا في علم الآثار، اذ يصحب كل كشف اثرى ليس فقط اضافة معلومات جديدة، ولكن فى كثير من الاحوال اعادة النظر فى معلومات قديمة.

ومع شحوب اليقينية تتكاثر التفسيرات ويلجأ صاحب كل تفسير الى ترجيح مايراه بسوق الأدلة أو اللجوء الى الاحتمالات التي تتكاثر على نحو غير مألوف في العلوم الأخرى.

وكان من الطبيعى أن ما ينطبق على علم الآثار عامة ينطبق على فرع المصريات، مع ملاحظة انه بينما بدأ هذا الاهتمام فى أوروبا منذ وقت مبكر، القرن الرابع عشر مع بدء الحركة الانسانية Humanism التى عنيت عناية خاصة بالتنقيب فى آثار اليونان والرومان، فانها تأخرت بالنسبة للآثار المصرية نحو خمسة قرون، الى القرن التاسع عشر كما سبق القول، بكل ما يعنيه ذلك من أن علم المصريات عندما صدر الأهرام كان لازال يحبو، مما لا يستغرب معه ما حفلت به مقالات الأهرام الأولى عن الأهرام معلومات ثبت فيما بعد عدم صحتها!

يتحدث كاتب المقالات، وهو سليم تقلا، في مستهلها عن اهرامات الجيزة الثلاثة، ثم ينتهي منها وقد رصد أربعة!

ويخصص القسم الأكبر من هذه المقالات عن الهرم الأكبر، وتختلف المعلومات التي ساقها بشأنه عن المعلومات التي أصبحت بديهية بعد ذلك.

يقول أن حجر الأساس وضعه «سوفارس» سلف الملك «شيوبس الأول» من الأسرة الرابعة، وقد استخمل بناؤه في عهد الملك «شيوبس الثاني»، وقد استغرقت عملية البناء ثلاثين عاما!

والواضح أن صاحب الأهرام قد نقل معلوماته عن الترجمة الفرنسية لكتاب «هيرودوت»، الذي تحدث عن «كيوبس» وليس «شيويس»، كما ترجمها سليم تقلا، وهو نفسه الملك خوفو بعد أن تم ضبط اسمه بعد كشف اسرار الهيروغليفية.

المعلومة غير اليقينية الثانية التى قدمتها هذه المقالات متصلة بتعدد بناة الهرم الأكبر ومدة بنائه، فقد أكدت الحفريات التى أعقبت ذلك أن بانيه واحد هو خوفو وأنه قد تم بناؤه فى عشرين عاما أو ما يقل، وهو مالم يكن قد تم التوصل اليه وقتئذ.

يذكر كاتب مقالات الأهرام أن مدة حكم خوفو تراوحت بين ستين وسبعين عاما على غير ما اثبتته الدراسات التى أعقبت ذلك انها لم تتجاوز ثلاثة وعشرين عام بنى خلالها الهرم الأكبر، وبينما يذكر كاتب المقال ان الهرم قد بنى فى الفترة بين عامى ٣٠٠٠ و ٢٠٠٠ قبل الميلاد، فان الدراسات التى أعقبت ذلك قد حددت أن الأسرة الرابعة التى خرج منها بناة اهرامات الجيزة قد حكمت مصر بين عامى ٢٦٨٠ و ٢٥٦٠ قبل الميلاد، وتفاصيل كثيرة أخرى ليس هنا مجالها!

افتقرت مقالات سليم تقلا أيضا للحديث عن ماهية «أبو الهول» رغم ان شعار الأعداد الأولى من الأهرام قد تضمنت صورته

كل ما جاء فى هذه المقالات عن أشهر تماثيل قدماء المصريين ان «الصنم العظيم المدعو أبو الهول يقع الى الجنوب من الهرم الأكبر على مسافة نحو ستماية قدم منه وهذا الصنم من غرائب أبنية المصريين» ذلك أن الحقيقة حول هذا التمثال الشهير والعلاقة بينه وبين الهرم الثانى، هرم خفرع، لم يكتشفها الأثريون الا من خلال الحفائر التى أجريت بين عامى ١٩٢٦ و ١٩٣٦، أى بعد صدور الأهرام بخمسين عاما أو يزيد

إذا كان بعض من كتبوا عن التوجهات السياسية للأهرام في فترة تاريخية لاحقة قد سجلوا أنه كان من أولى الصحف التي نادت بأن تكون «مصر للمصريين» فيما سوف نعرض اليه في فصول قادمة، فان الأخذ بهذا التوجه قد أخذ في النضوج منذ ذلك الوقت المبكر من تاريخ الجريدة العتيدة، وفي نفس الفصول الخمس التي نطالع ما بين سطورها هنا،

بدا هذا (الانحياز) في البحث عن أصول الكلمة الأوروبية للأهرام. «البيراميد»، وكان امام سليم تقلا وهو يكتب سلسلة مقالاته تفسيران التفسير الأول يرجع التسمية الى أصل عبرى بينما يرجعها التفسير الثاني الى أصل قبطي اللغة المصرية القديمة

ولأول وهلة وبدون تردد استبعد الرجل التفسير الأول وأخذ في سوق الأدلة للتأكيد على صحة التفسير الثاني، وهو في ذلك قد استند الى جذور لغوية واضح انه قد أجهد نفسه في إلاستقصاء عنها من مصادر عديدة.

ولعل الأهرام كان يرد بذلك على ما تضمنته الأدبيات الاسرائيلية من دور «يهودى» في بناء الأهرام (!).

بالعكس فقد حرص كاتب المقالات على أن يؤكد ان العبرانيين قد تأثروا بالمصريين فى بناء مقابر ملوكهم على شكل الاهرامات، «وتشبهوا فى ذلك بعوايد المصريين» على حد تعبيره، وحدد فى هذا الصدد مقبرة الملك ابيشالوم، وان كان قد رأى أنها لم تطاول بالطبع الاهرامات المصرية.

لم ينس كاتب المقالات ايضا في معرض تنويهه عن عظمة الأثر المصرى أن يذكر أن أحجاره لو تم تفكيكها تكفى لبناء سور ارتفاعه ١٠ اقدام وسمكه قدم واحد حول جميع فرنسا (!).

وقد نقل سليم تقلا هذه المعلومة عن بعض الكتابات الفرنسية التى اشارت الى أن نابليون عندما كان فى مصر حسب انه يوجد فى الهرم الأكبر، وماجاوره من اهرام، أحجار تكفى لاقامة سور حول فرنسا ارتفاعه ثلاثة أمتار وسمكه متر واحد، وان أحد الرياضيين من علماء الحملة الفرنسية قد أيد هذا التقرير. فضلا عن ذلك فان سليم تقلا قد انحاز لفكرة أن الأهرام قد بنيت لتكون «خزانة لعلوم المصريين» التى كان يحتفظ بها الكهنة، وأنهم أرادوا من بنائها الاحتفاظ بثلك العلوم لذريتهم، فيما جاء فى مقاله الرابع.

وزاد الرجل هذه الفكرة تفصيلا فى مقاله الخامس، فأشار إلى أن المصريين القدماء كانوا يؤمنون بأن العلوم التى كانت عندهم فى ذاك الوقت «لم تكن توجد عند سواهم قط ولا يمكن أن توجد أبدا ومخافة من حدوث طوفان على وجه الأرض مرة ثانية حصنوا هذه الأبنية وشيدوها على هذه الهيئة ليجعلوها خزانة علومهم فلا تفقد إذا حدث طوفان ثان وهذا هو السبب فى بنائها ».

وليس من شك أن سليم تقلا قد أخذ الفكرة عن المؤرخ العربى عبد اللطيف البغدادى (المولود عام ١٩٧٩م) والذى وضع كتابا عن مصر تحت عنوان «الافادة والاغتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر» جاء فصله الرابع تحت عنوان «فى اختصاص ما شوهد من آثارها القديمة» بالحرف الواحد:

«وعلى تلك الحجارات كتابات بالقلم القديم المجهول الذى لم أجد بديار مصر من يزعم انه سمع بمن يعرفه وهذه الكتابات كثيرة جدا حتى لو نقل ما على الهرمين فقط الى صحف لكانت زهاء عشرة آلاف صحيفة».

**

يبقى بعد ذلك (المنهج) الذي اعتمده الأهرام في الكتابة عن موضوع لمعلوماته هذا الطابع الاحتمالي.

فرغم ما حفلت بها المقالات من معلومات غير يقينية، ورغم التوجهات المصرية

لكاتبه الشامى (!)، فانه قد اعتمد منهجا يليق بالتعامل مع تلك المعلومات التى لم تكن صحتها قد ثبتت بعد.

أولى مفردات هذا المنهج ما أشار اليه كاتب المقال من انه اعتمد فى المعلومات التى وردت فيه على «النقل عن المؤرخين المتأخرين الذين أضافوا الى بحثهم الخصوصى بحث من تقدمهم».

المفردة الثانية تفسر الأسباب التى دعت كاتب المقالات الى الاقتصار على اهرامات الجيزة الأربعة، وليس الثلاثة، رغم ما تمتلى، به مصر من اهرامات أخرى، وقال فى ذلك «اننا قد ضربنا صفحا عن تاريخ الأهرام الباقية اكتفاء بالأربعة المذكورة لأنها أشهر من غيرها».

غير أن أهم مفردات هذا المنهج ما اتصل بأسباب بناء الأهرام التى كانت حتى صدور تلك المقالات محل جدل شديد فيما يبدو، وقد ساق في هذا الصدد مجموعة من الأسباب..

ونرى انه قد انحاز لبعض هذه الأسباب لاعتبارات موضوعية وانحاز لبعضها الآخر لاعتبارات مصرية، أما التي افتقرت لهذين الاعتبارين فقد استبعدها!

الاختيارات التى انحاز لها لأسباب موضوعية ان الاهرامات قد بنيت كمدافن للملوك «تدل على عظمتهم وقدرتهم وتخلد ذكرهم»، وقد ساق لتأكيد هذه الحقيقة عددا من الأدلة: رغبة المصريين في الخلودمن عنايتهم بالتحنيط، كثرة الأهرامات الصغيرة التى وجدت فيها توابيت للعديد من ملوك وعظماء المصريين، وان العبرانيين عندما قلدوا المصريين في مدافنهم فقد بنوها على شكل هرمي.

انحاز سليم تقلا أيضا الى احتمال ان تكون الأهوامات قد بنيت كمعابد للمصريين، ورغم ما أعوز هذا الاحتمال من دقة، الا ان الحفائر التالية قد أكدت هذا الطابع الدينى للأهرامات من خلال المعابد الجنائزية التى ألحقت بها.

الاختيارات التي انحاز الأهرام لها لأسباب مصرية كان أهمها ما سبقت الاشارة اليه من أن المصريين «أرادوا أن يكون لهم بناء عظيم يوافق عظمة علومهم فيكون خباء لها وكنزا محفوظا من صروف الزمن»!

بقية الاعتبارات رفضها الأهرام..

فقد رفض القول بأن الأهرام قد بنى ليكون خزينة للغلال إذا حدث قحط، كتب: «نحن لا نصدق بذلك لأن هذه الأبنية نفسها تبرهن على سمو أفكارهم وكان من الواجب أن يعملوا أبنية غير هذه لاتحتاج الى أتعاب ومصاريف وتكون أيضا بغير هذا النمط».

رفض أيضا القول بأنها بنيت لرصد الأفلاك «وهو ما يصعب القبول به لأن الرصد لا

يتطلب كل هذا البناء».

باختىصار فانه رغم انحياز كاتب المقالات لبعض الاعتبارات فانه لم يسقط من مقالاته ما يوافق عليه، بالعكس فقد أتى به ثم عمل على تقنيده.

ونرى ان هذا المنهج الذى اعتمده «الأهرام» فى أولى دراساته الما حاول أن يلائم بين حقيقتين.. التناول بدرجة معقولة من العقلانية دون شطط يصل الى حد الجفاف الذى يلائم الدراسات العلمية لكنه يقينا لا يلائم قارى، الصحيفة السيارة، وعدم التغاضى عن مشاعر الانتماء التى تمسك بتلابيب هذا القارى،، خاصة إذا كان مصريا من أبناء ذلك الجيل الذين لابد وأن يكون قد أسعدهم غاية السعادة ما أخذ العالم يكتشفه من حضارة بلادهم التليدة، ونعتقد أن المنهج المذكور استمر أحد التقاليد المعمول بها فى الأهرام، ربما حتى يومنا هذا!

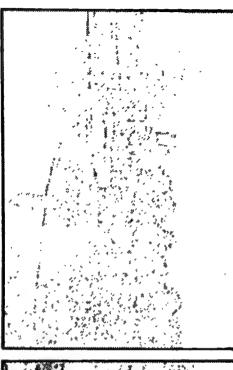
• مراجع القصل الخامس

● اعداد الامرام

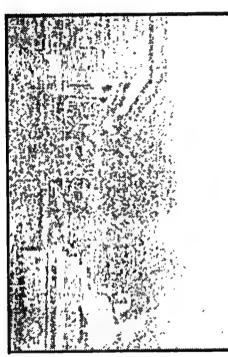
التاريخ	العدد
\AY\/A/a	١.
14/1/4/14	۲
14/1/4/19	۲
14/1/4/1	٤
1447/4/4	9

- احمد فخرى. الاهرامات الثلاثة، القاهرة ١٩٨٢
- عبدالرحمن الرافعي: عصر اسماعيل (جرَّه ثان) القاهرة ١٩٤٨
 - عصر محمد على، القاهرة ١٩٤٧
 - عبداللطيف البغدادي في مصر القاهرة

منطقة الإهرامات في القرن الماضي



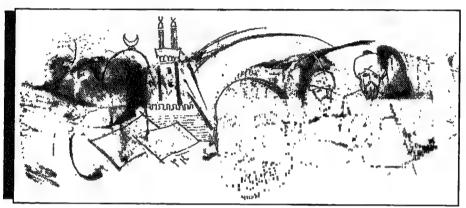
مبنى متحف بولاق، وهو اول متحف فى مصر وكان يضم جمع الإثار المحتشفة منذ عام ١٨٦٣



شارع الهرم عندانشائه

الفصل السادس

«رَيْتُون لَاكُونَى لَاكُونَى اللَّانِيَ الْكُونِيَ لَاكُونَانِيَ الْكُونِيَ لَاكُونَانِيَ الْكُونِيَ لَاكُونَانِيَ الْكُونِينِ لِمُسْتِكِينِ لِلْكُونِينِ لِمُسْتِكِينِ لِلْكُونِينِ لِمُسْتِكِينِ لِلْكُونِينِ لِمُسْتِكِينِ لِلْكُونِينِ لِمُسْتِكِينِ لِمُسْتِينِ لِمُسْتِكِينِ لِمُسْتِينِ لِمُسْتِكِينِ لِمُسْتِينِ لِمُسْتِكِينِ لِمُسْتِينِ لِمِنْ لِمُسْتِينِ لِمُسْتِينِ لِمُسْتِينِ لِمُسْتِينِ لِمِنْ لِمُسْتِينِ لِمُسْتِينِ لِمِنْ لِمِنْ لِمُسْتِينِ لِمِنْ لِمُسْتِينِ لِمُسْ



- تنوير البصيرة وتطهير السريرة وتحريك حمية الغيرة!
 - التمدن يعود الى مصر بعد رحلة الى الغرب
- الدعوة الى نبذ جميع التعصبات الدينية والاختلافات المذهبية
 - الدماء المصرية تضخ في عروق الاهرام
- الدعوة الى ان يقف كل من بني النوع على أفكار الآخر التي كابد عليها وثابر



العدد الأول من الأهرام توجه محرره بالدعوة إلى أصحاب «الأقلام البليغة أن يزينوا من وقت إلى آخر جريدتنا بما يسطرونه من بديع الكتابة والحكم والفوائد التي يلتذ باجتنائها كل ذي ذوق سليم»!

ولم يمض وقت طويل حتى بدأت صفحة الرأى تفرض نفسها على الجريدة الوليدة التى كان مكانها المختار في إحدى الصفحتين الثالثة أوالرابعة أو كليهما، في وقت لم يكن عدد صفحات الأهرام يتجاوز الأربع.

ومن بين الأعداد الأربعين الأولى إحتل «العالم العلامة والأديب الفهامة الشيخ محمد عبده أحد المجاورين بالأزهر »،كما وصفته الجريدة، مكان الصدارة في الصحيفة، فقد كتب في إثنى عشر عدداً من الأعداد الأربعين، ولم يكن هذا المجاور سوى الأستاذ الامام الذي لعب دورا مؤثرا في التاريخ المصرى بعدئذ.

وبينما كانت كتابات «مجاور الأزهر» علامة بارزة بالنسبة للأهرام، خاصة صفحة الرأى فيه، فانها كانت الباب الذي دخل منه محمد عبده لعالم الصحافة الذي اكتسب فيه مكانة رفيعة، فقد إنتقل بعد سنوات قليلة الى مجلة «الوقائع المصرية» ليحررها ثم برأس تحريرها في مطلع الثمانينات، تبع ذلك وبعد نفيه في أعقاب الثورة العرابية أنْ أصدر من باريس، هو وأستاذه السيد جمال الدين الأفغاني، مجلة «العروة الوثقي» التي اكتسبت صيتا عريضا.

باختصار فقد كان الأستاذ الامام أول من دخل الديوان وتربع فيه قبل أن يصبح أستاذا أو إماما، وإن كان على وشك (!)

كان عمر محمد عبده حين بدأ في الكتابة في الأهرام لايتجاوز السابعة والعشرين (١٨٤٩ _ ١٨٧٦)، وكان على وشك الحصول على العالمية التي نالها بالفعل في العام التالى (١٨٧٧)، غير أن الأهم من ذلك أنه كان قد إنخرط قبل ذلك في الحياة العامة من خلال انضمامه الى المجموعة التي تحلقت حول السيد جمال الدين الأفغاني بعد أقل من عام من وصول السيد الى مصر (١٨٧٢)، أي قبل أربع سنوات من كتابته في الأهرام.

معنى ذلك أن محمد عبده قد جاور بالثلاثة (!) ، الأزهر بوجوده، ومقر السيد جمال الدين بعقله، وديوان العالم الحديث، أي الأهرام، بقلمه. وبينما تكثر المعلومات عن مجاورته للجامعة الاسلامية العتيدة، أو للمفكر السياسي البارز، فإن المعلوم عن مجاورته «لديوان الحياة المعاصرة» قليل رغم أهميته!

تصدر هذه الأهمية، فيما نراه، عن أن القالات الأربع التي كتبها الشيخ محمدعبده في الأهرام، بين العدد الخامس والعدد الأربعين كانت ذات دلالات بالغة الأهمية بالنسبة للطرفين، الأهرام والكاتب.. بالنسبة للأهرام لم يجد القائمون عليه ما يمنع من أن يحتل مجرد «مجاور بالأزهر» يراسل الصحيفة من القاهرة.. من أن يحتل كل هذه المكانة في الجريدة الوليدة، وقد رأى هؤلاء منذ المقال الثاني للرجل أنه أكبر كثيرا من أن يوصف «بالمجاور» لما تعنيه من أنه لازال في مرحلة «التلمذة»، وأخذت تصفه بعد ذلك «بأحد أهل العلم بالجامع الأزهر»، كما فتأت تسبغ عليه الألقاب المناسبة، العالم العلامة، الأديب الأريب، وما إلى ذلك.

لم ير هؤلاء ايضا بأسا من أن ينشروا مقالات محمد عبده مهما بلغ طولها حتى أن أحد هذه المقالات تم نشره على ستة أعداد، بين العدد الثانى والعشرين الصادر فى ٣٠ ديسمبر عام ١٨٧٦ والعدد السابع والعشرين الصادر فى ٣ فبراير من العام التالى، وهو مالم يحظ به أى كاتب من أولئك الذين شاركوا فى صفحة الرأى خلال تلك الفترة.

وإذا كان ذلك يدل على شئ فإنما يدل على التقدير البالغ من جانب الاخوان تقلا لما كان يكتبه الشيخ محمد عبده، وهم هنا كانوا يتعاملون مع الموضوع قبل أن يتعاملوا مع الشخص فلم يكن الشيخ قد اكتسب بعد كل تلك المكانة التي أصبحت له بعد ذلك.

فضلا عن ذلك فإنه كان يعبر عن رغبة واضحة من جانب الديوان بأن يكون القاعدون فيه أساسا من المصريين، حيث أن طبيعة الأمور كانت تؤدى الى غير ذلك.

فالمجتمع الذى خرج منه أصحاب الأهرام من الشوام، وفيهما نتصور فإن أغلب المستركين الأوائل فيه كانوا أيضا من الشوام، الأمر الذى يرجحه أن كل وكلائه فى سائر انحاء القطر المصرى كانوا منهم، فضلا عن ذلك فإنه كان لدى هؤلاء جمهرة من حملة الأقلام المقيمين بالاسكندرية والمستعدين دائما لتغذية صفحة الرأى، فيما بدا فعلا فى عدد من المقالات التى وردت فيها.. كل ذلك كان يؤدى بالطبيعة الى أن يحتكر الشوام الصفحة، وهو فيما يبدو مالم يرق لأصحاب الأهرام الذين أدركوا منذ ذلك الوقت المبكر أن صحيفتهم لن تعيش دون أن تضخ فى عروقها الدماء المصرية، ومن هنا جاء إعطاء كل هذه المساحة «لمجاور الأزهر» الذى أصبح بعد قليل «أحد أهل العلم»!

أما الأهمية بالنسبة للطرف الثانى، الشيخ محمد عبده، فتصدر من ان الأهرام قد أفسح له كل هذه المساحة التى أعطته الفرصة لأن يقدم لونا جديدا من الأفكار لم يكن معهودا من المصرين أن يعتنقوه ناهيك عن أن يعبروا عنه...

صحيح أن يعقوب صنوع وجريدته «أبونظارة»، وصحيح أن أديب اسحق وصحيفته «التجارة» قد خاضا في أمور من تلك التي خاض فيها الشيخ من مجلسه في الديوان، ولكنهما كانا في نهاية الأمر من غير المصريين، فضلا عن أنهما وسواهما كانوا من غير المشايخ الذين كان يفترض فيهم دائما أنهم من أصحاب الاتجاه المحافظ.

ونرى أن مجمل الأفكار التي عبر عنها الشيخ محمدعبده في مقالاته التي نشرت في الأعداد الأولى هي التي لفتت الأنظار للرجل ووضعت الأساس لشهرته العريضة التي نالها بعد ذلك، الأمر الذي يتطلب إعادة قراءة هذه المقالات وبعد مايقرب من قرن وربع من الزمان!

ربما يكون المقال الأول من المقالات الأربعة التي كتبها محمد عبده أكثر المقالات شهرة، مع أنه أصغرها، فقد نشر على عدد واحد، وهو ما لم يحدث لأى مقال آخر..

مصدر هذه الشهرة أنه قد أتيح لهذا المقال فرصة إعادة النشر فى «مركز الأهرام للترجمة والنشر» عام ١٩٨٦، والذى وضع هذا المقال فى صدر المقالات التى تضمنها، والتى اعطاها عنوانا من عندياته: «الأهرام.. جريدة مؤسسة على أحكم قواعد الأحكام» لأنه كان فى أصله من غير عنوان!

غير أنه فى تقديرنا أن المقال الشالث الذى حظى بمساحة واسعة من الجريدة، ستة أعداد كما سبقت الإشارة، هو أهمها، وهو مقال غير معنون شأن مقالات الصحف فى ذلك العصر، وإن كان الأستاذ أحمد أمين فى كتابه المعروف «زعماء الاصلاح» قد أعطاه عنوانا من عندياته وكان «المدبر الانسانى والمدبر العقلى الروحانى».

ونرى أن هذا المقال يمثل العمودالفقرى ليس فحسب بالنسبة لسلسلة المقالات التى أسس من خلالها الشيخ محمد عبده صفحة الرأى فى الأهرام وإنما فى وضع القسمات الأساسية لطريقة تفكير المصلح الكبير والتى لم يحد عنها كثيرا مابقى من حياة، وكانت قصيرة إلا أنها كانت عريضة (توفى محمد عبده عام ١٩٠٥ ولم يكن قد أكمل السادسة والخمسين)

أخطر القضاياالتي طرحها «مجاور الأزهر» النجيب كانت قضية العلوم النقلية والعلوم العقلية التي كانت محرما حتى ذلك الوقت دراستها في الجامعة الاسلامية العتيدة، ويروى الشاب صاحب المقالات قصة في هذا الشأن واضح أنها قصته شخصيا، قال:

«من عجب ما رأيناه في هذه الأيام أن بعض طلبة العلم الكرام قد تحركت الى المعالى همت عجب ما رأيناه في هذه الأيام أن بعض طلبة العلم التى كان قد صنفها بعض أفاضل الملة الاسلامية لما انه قد علم كما هر الواقع أن العلوم المنطقية قد وضعت لتقويم البراهين وتمييز الأفكار غثها من السمين..

فلما سمع بذلك بعض أصفيائه وأقربائه الذين يؤثرون خيره ولايرتضون ضرره اهتز لذلك وأخذه من الحزن على ذلك الطالب ماشاء أن يأخذه ثم أنه أوسع لذلك الطالب النصيحة ويالها من فضيحة قائلا كيف تدرس الضلالات حتى تقع في الشبهات ألا فارتدع وبجهالتك إقتنع وكن كما كان الأب والجد وجّد فيما كانوا عليه فمن جد ويسترسل الشيخ محمد عبده في القصة، وبنفس الاسلوب الساخر، فيروى كيف أن أباه قد هرع اليه لما علم من قريبه بما أقدم عليه وأنه أخذ «يندد ولده بالويل والثبور ان كان لتلك الأقاويل صحة فأجابه الطالب ان ذلك من كذب الناقلين وبغى الحاسدين وانني من يوم سعيت في منعى وقطع نفعى لم تقر عينى بنظرة في رياض تلك العلوم ولم أشف قلبى بأخذ منطوق منها ولا مفهوم»!

وبعد هذه القصة الطويلة المليئة بأسباب السخرية المريرة يتساءل الشيخ الصغير انه اذا كان هذا هو الحال بالنسبة لعلوم ظلت تدرس فى المعاهد الاسلامية لأكثر من ألف سنة فما هو الوضع عند الاقدام على تدريس علوم «جديدة مفيدة هى من لوازم حياتنا فى هذه الأزمان وكافة (بمعنى تكف) عنا أيدى العدوان والهوان»!

ويسفر الشيخ محمد عبده في موقع آخر من المقال عن كونه من أول دعاة الحركة العقلانية Rationalism في مصر التي كانت قد استوت تماما في أوروبا خلال القرن السابق، القرن الثامن عشر.

وللحركة العقلانية مجموعة من السمات المعروفة: عدم الاستسلام لأفكار الأقدمين دون وضعها موضع النقد وما يتبع ذلك من غلبة الفكر السببى على الفكر القائم على القبول بأفكار السلف مهما كان كنهها، تحكيم العقل، باعتباره أعظم هبة للانسان، دون الجرى وراء الغيب، وأخيرا علوم الطبيعة قبل «علوم ما وراء الطبيعة ـ الميتا فيزيقا » وهو ما عبر عنه محمد عبده بالضبط في هذا المقال الطويل.

وإذا كان صاحب المقال قد رفض فى الجانب الذى أشرنا اليه الأخذ بالعلوم النقلية على حساب العلوم العقلية وسخر من تقييد ما يتلقاه طالب العلم فيما ورثه عن آبائه وأجداده، فأنه كان بذلك داعية للجانب الأول من جوانب الحركة العقلانية.

الجانب الثانى الخاص بالترويج لعلوم الطبيعة على حساب علوم ما وراء الطبيعة خصص له «مجاور الأزهر» قسما مستقلا.

ويثير الاهتمام في هذا القسم انه قد اختار نفس نقطة البداية للاهتمام بتلك العلوم التى استهل بها الأوربيون حركتهم العقلانية، التطلع الى السماء ورصد النجوم وحركتها واستخراج أسرار الطبيعة ونظامها البديع الذي كان زادا لا ينقطع لعلماء الرياضيات والفيزياء، باختصار كان الفلك هو الباب الذي دخلت منه أوربا الى عالم الطبيعة وهو ما نبه اليه شيخنا بقوله «ان المقصد الأعلى للعقل هو استشكاف أسرار الوجود وذلك مقام لا يعلو كعبه»!

ويدلف من هذا الى الحديث عن أن «العقل» لو لم يستعمل حس البصر «هل كان يتمكن من استقبال وقد الضيا واستطلاع سكان الفضا حتى يحدد دائرة ارانوس ويهاجم العقرب بالقوس ويجمع بين الأسد والثور على الجوار بلا تعد ولا جور..»!

يتحدث بعد ذلك عن الفوائد الكبيرة من معرفة «تراكيب الحيوانات علي اختلافها وتناسب أعضائها وائتلافها » وينتهى من كل ذلك الى التنبيه على أهمية التواصل العلمى مع العالم المتقدم فيطالب بأن « يقف كل من بنى النوع على أفكار الآخر التى قد كابد عليها وثابر فتكون ميدانا تجول فيه فكرته ومحجة تمتطيها حجته فتكثر بذلك العلوم ويتسع مجال الفهوم »!

ويبدو أن الاقتراب من هذه القضية.. قضية الأخذ من العلوم الحديثة من الغرب كان يتطلب من محمد عبده اقناعا لمجتمع جبل على كراهية هذا الغرب، الأمر الذي أفرد له شيخنا الشاب مقالا بأكمله!

الأطروحة التي قدمها محمد عبده في هذا المقال الصادر في الأهرام يوم ٢ سبتمبر عام ١٨٧٦ تقوم على ثلاث ركائز..

الركيزة الأولى تقوم على أساس ان «التمدن البشرى» أول ما بزغ فقد ظهر فى مصر، وقال فى هذا الشأن: «ان مملكة مصر كانت فى سالف الزمان مملكة من أشهر الممالك وكعبة يؤمها كل سالك وناسك. اذ كانت قد اختصت بتربية العلوم وبث المعارف المتعلقة بالخصوص والعموم وانفردت بالبراعة فى الصنائع والابتكار فى انواع البدائع. فكان أبناء العالم اذ ذاك يتندون نداها ويستجدون جداها ويستمطرون من الغيث قطرا فكان التمدن فيها نهرا حين كان عند غيرها طفلا»!

وليس من شك ان هذه الركيزة قد وجدت أساسا قويا مما حدث خلال السنوات السابقة من تقدم ملحوظ في علم المصريات كشف عن لون من المدنية أصبح مصدرا لفخر المصريين المحدثين، ومنهم محمد عبده بالطبع!

الركيزة الثانية تدور حول فكرة انتقال هذا «التمدن» الى الغرب حيث «عم انتشاره وبدت آثاره وتلألأت أنواره وقضى مدة السياحة وباء بغاية الراحة».

ونصل الى الركيزة الثالثة التى ارتأى معها ان التمدن البشرى الذى صنعته مصر عاد اليها بعد أن قضى مدة غربته، أو فيما قال:

« استدار الزمان كهيئته ورجع الأمر الى بدايته وأقل التمدن الى مسقط رأسه ومقر تربيته . فورد ديار مصر ورود الأهلى وتمكن بها تمكن الأصلى فاستقبلته الديار بغاية المسرة»!

باختصار لقد طرح محمد عبده فيما كتبه هنا مقولة مؤداها: «هذه بضاعتنا ردت الينا» وقد اعتقد انه بذلك يهيىء المصريين الى القبول بتلك العلوم الحديثة.

+++

يثير التأمل في مجموع تلك المقالات أن هذا الطالب الأزهري الذي أسس صفحة

الرأى في الأهرام قبل ١١٧ سنة قد توصل الى حقيقة لازال كثيرون عاجزين عن التوصل اليها.. حقيقة التمييز بين الحضارة الغربية باعتبارها حضارة انسانية وانطلاقا من كونها «بضاعتنا ردت الينا» وبين الاستعمار الغربي الذي أفرد الشيخ جانبا من عقاله للتنبيه الى خطورته والدعوة الى مقاومته.

قال في هذا الصدد أنه: «لما جمعت الشوكة أسبابها وتوجهت نحو المغرب وتركت الشرقيين بحمى يثرب قويت من الغربيين المهاجئة ويطلت من الشرقيين آثار المقاومة فبات عدو بلا معادى ومبارز تصده الدواعي والغوادي»!

وقد ارتأى أن ما أوصل الشرقيين الى هذا الحد «تفرق الآراء واختلاف الأهواء» الأمر الذى دعاه الى المطالبة بنبذ «جميع التعصبات الدينية والاختلافات المذهبية لحماية أوطانهم ووقايتها من وطأة اعدائهم الذين لا يرومون من الاستيلاء علينا معاشر الشرقيين الا توسعة عالكهم والتمكن من استعبادنا بالدخول تحت حوذتهم».

ولعلنا نلاحظ من هذا المقال الصادر في الأهرام يوم ٣ فبراير عام ١٨٧٧ ان الطالب النابه كان كأنا يتنبأ بما سوف يصيب مصر بعد أقل من ست سنوات، الاحتلال البريطاني في سبتمبر ١٨٨٧، فضلا عن انه سبق الجميع في التنبيه على قيمة «الوحدة الوطنية» على أمن مصر. وهو ما لا يدركه البعض، ربما حتى يومنا هذا!

أخيرا فقد كان محمد عبده واعيا للهدف من مقالاته، وهو هدف استمر يتوخى الوصول اليه في كتاباته بعد ذلك، في الوقائع المصرية وفي العروة الوثقي.

يقول الرجل في أحد هذه المقالات ان هدف منها هو بث الأفكار بين الناس لتكون سببا «لتنوير البصيرة وتطهير السريرة وتحرك فيهم حمية الغيرة»!

وبلغة العصر فقد كان وراء الرجل فكرة بناء الرأى العام المصرى وتنويره، وقد رأى ان سبيله لذلك هو الصحافة، واختار من بين الجرائد الوليدة «الأهرام» وكانت لديه أسبابه في هذا الاختيار.. الذى عبر عنه في مقاله الأول المنشور في العدد الخامس من الصحيفة وجاء فيه أن جريدة الأهرام «مؤسسة على أحكام قواعد الأحكام الكافلة بارشاد المسترشدين بما فيها من المباني الرقيقة والمعاني الدقيقة والأفكار العالية المؤيدة بالبراهين الشافية القائمة بنشر العلوم بين العموم».

وليس أفضل من تلك العبارة توضيحا لما ابتغاه الرجل من الاهرام وتأكيدا علي الرسالة التى قررت الجريدة أن تحملها منذ أعدادها في «صفحة الرأى».. رسالة «تنوير البصيرة وتطهير السريرة»!

مراجع القصل السادس .

اعداد الاهرام:

التاريخ	لعدد
1471/1/1	
1441/1/11	٨
1471/1-/4	١.
WY/YY/r.	YY
14W /1 /1	77
1444/1/18	37
1444/1/4.	۲o
1444/1/44	41
1444/1/1	YV
12/3/4481	44
۸۲/3	74
\AYY/•/•	٤.

- عثمان امن: محمد عبده القاهرة ١٩٤٤
- د. سامي عزيز: الصحافة للصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي، القاهرة ١٩٦٨

الكرم عبد رجوس الموعد الديار وسكرم الدخار ما مفعظ الكرم عبد رجوس الموعد الديار وسكرم الدوان المالية وسناه المرار المحار المحار في المالية عن ربون ونعلق على ما بنولون الاشار في الدارة العارة وها إلى المالية العارة المحار في المالية عن المودن ونعلق على ما بنولون الكر المارة العارة العارة المحارة المودن المارة المحارة والمحارة المحارة والمحارة المحارة والمحارة المحارة والمحارة المحارة المحارة والمحارة المحارة الم

المماليم وكان من ذك أن حفط فولى الفائل من جبل الى جبل

على نحوما ذال من اجمال وناصيل. فكان بذلك افكار الازمة

المتتالبة مجنمة في ننطة وإدنة وكدلك افكار اهل زمان وإحد على

وردت الينا هذه الرسالة من فلم العالم العلامة . الادب الشيخ محمد عبد احد الخباورين بالازهر وموضوتها

في ان فن الثلم والكتابة من اللوازم الضروربة الني. ليس للما لم عنها مندوحة في تعيشهم الحقيقي

ان ما اسطت يه ايدي المم ررات وأنته مندمات الحاجات امنا لدان التلم مائها عن المنكم فيها يتكم رذلك انه الما انتصى المنالم الالمي ان بحلق الانسان شناجاً في ان بنتم مدنة مذه ما محددً ما من الراحة الى ان بخذ ما خان الله له في الارض ما لم يكن حاصاً لا

وإن يكني سنه ما لم يكر يكنك شد العمة المصل وتب ديم اللوة المنذ والعانة الدكر والهيها أمو برنسا عا عداحون ال انجاذب ن المتلم بل شرب يل للس بلاء أن تناديهم التكرة الى اثناة الصائم يإزرا لل عسد استدعاء العادات ومقص اجا واصطرح داك اله الإجراع شدول اسالان المدور وإمة وإن حو ان قوم كل فيص معمل من الإعال والعالمة . وو ما الآت المدنية فابس في أرةً كل اعد ان - كون محاريًا حبكمًا إنا بالجالية ارماب الاعال في الالحرين الأولوم المعرورية الوالا دولت المسهياية الوبال يوبكون صلاح ذات ١٠٠٦م في الماملات وقصل الامر سيبرتند الخصومات على ما بندنه، و انتظام الاحزاع الانساء بشمال استا الان تصدده ايصًا بل ذاك ١٥١ ينوم ، و ارساب انتكرة الوقادة والنسلة المقادة ومن البين أن محرد صفا الجومر لا يكني في ترتب الاثر عليه ال لابدني ذلك من انهائه وتربينه وإعدادم لذلك الامراا مظير ونحليته عنجمع الاشفال على فإن النوة الواعة الأنكفية لي الراءة : مور متمددة فاحتج اذن الى انحاذ الراب التعالم ليتوسل لهم بالعلم والارشاد الى طريق اللل وينوم ارساس الانال باخراج ذالكسن الذوة الى الدمل ننام كل واحده واشاس كل من صاحه وكان نسرة ار ماب النما ام الى اوليا الاعال سبة الاب الشابق والحني الرابق لمسلم فكرالافي ترقبته ولاعلمالافية بكوردا الاسعار عماساسا الراحيم وإذراط ذلك منهم تعناط ما فرمن اسمة والفاط لانبام بشكرم بكر ماة فالمتعلق از در أفكرم وارتاسه المنارم وانسمت دائرة المعرنة وسدت ايأت النفاش سكمنة معسرعليم حنظ ما السوة وعثام تابيم ان مودواً كما ابن أكثاره المندمات وتنفت الجرنبات وصعونة مانحتاج ليهاتمها دايا لابتيم محظ

(تابع رسالة العالم الدلأمة الاديب الذيخ تمهد عبد،) والحكم الديءا بالمعول ولولاثل تحدا ضرود لم برنق معهود ولم بل الفي حنة بل منح الجال المعالم وتعد الناموا الشروع الاساري

ايازيد ما المرح المثردي سروا أنكد لح المسك باعرامات واحد 11 عنادات وجمع أنه الناق وشن عمى الوفاق وغيدلك مد والمجالات والمحالات والله معامج النعائل من والمجالات والمحالات والمحالات والمحالات والمحالات والمحالات على العالم وودانات الاسرار والمحمد على الاحمال من العالم وودانات الاسرار والمحمد المحالات المحالات وطلب وطر المافدول المحمد عا قطع به البرهاس في باب العنائد كهلا بأوت كرير مدالكا المحرد وبنف علم من اللنات وبنت منهم المكرا المكون منائم ومنافون المحرد وبنبون مدالك من عملاتهم و بمنافون من سنانهم ولمنافون المحمد وبناوي المحمد وبناوي المحمد وبناوي المحمد وبناوي من سنانهم ولمنافون المحمد وبناوي المحمد وبناوي المحمد وبناوي من سنام والمنافون المحمد وبناوي من سنام والمحمد وبنافون المحمد وبناوي المحمد وبناوي المحمد وبناوي المحمد وبناوي من سنام المحمد وبناوي المحمد وبناوي من سنام المحمد وبنائي من سيم المحمد والمعدل وتعلم من سيم المحمد والمعدل وتعلم و المعدل وتعلم والمعلم و المعدل وتعلم والمعلم والمعدل وتعلم والمعلم والمعدل وتعلم المعدل وتعلم والمعدل وتعلم والمعدل وتعلم والمعدل وتعلم والمعدل وتعلم والمعدل وتعلم والمعدل وتعلم المعدل وتعلم والمعدل وتعلم المعدل وتعلم المعدل وتعلم والمعدل وتعلم المعدل وتعلم والمعدل وتعلم المعدل وتعلم وتعلم

يميرا إراك إر ومالين من الراد كالأماه نما لا محمر و يستولون من "التم أو يود لل ما له التج لن سكر " ومدركة الوالب السار على المالى وازيا لمان سراك والمه فتوس ما مرافي الله باللي وتراور والمرار والماوات المارة والمارة والمسام وزير، ما في صنام من أنزح إ حدوما في العمالم من الاحتلال ومانع ما الدواس المام الحاج ومواد الاصلاح رحمط الادراح وارد احادث اح ومااشت سله صور السائط سون عدل بزين وطل بنيس ويرشده إلى ما عب أن إللك سالمنولي عليه . وا برول امره ال ملكوا عرة اليه وسري وتحدر وتندر وتدرماد ذاك بنبه انداطون ومجترس المستشارن وبغرم الفعف اللذق وسالمين الخاق بالملاصي والجافي وبهرع الحناون المدحالم وامرا علم ونخنف اغالم ومرتدع الفاللون وسيط المسطون وذالت كنامع نادي الاقطار وتباعد الاسار والنول الواحد يدلع الجمع في للل زمال وكانا النائل بالسامع في كس فيعتض العص ماله ض بي أغروج من الذلة وشعا العلة والما مالي صاحب الحرمال على عيد به ألم على سعر العالم وإسلك بدء ور اسرادل و ادى بالحذم وإبألول فشفانحين وثلمة تبست وشائز تصرب وأحرى نابعت المراجب على كل ذي درابة ان مكوراة ، . . امة هذه التسااب عابة ليكون على اهبرة في ادن ومصباك سبرة الفاذ المبره حذرًا من س متمركا نحر المالبطال ما عهنز النو المعالي وذب على حمات المنائق ورقائق الدقائق وعرح الى دما المردة والالتي من على ؛ الجهالة والسنه لن هذا ألا مامناد مناد اعلم وجرياء إميدان ترجة | الام ولا قان الليفات من ملاد شد را ن دارس من ملاد ١٠٠ أ وفارس اذ بقوم عام رفيكا وفيهم حسابكا بمعلهم بالموعظة المحسة ويحذرهم عزة السه وللد سنباط اسزاله عام امرالعا لم كُ من إ وليس الديكة از بعلل مة الى. ره بان حار اللم عادا اليولي إ ادى المهات وإهن الألك وخصابي حميم المارعات وحكم الدي الممكان حتى لرسق للدان الاخاورات باليلة وموارد اخسارها يبرطلة فاقرا ومك الكروالي لم المراز المعلى مالم علم

إ العظر الغير أن و عند ما من في الدارل والعين مع عامم و من ألذا أبيدونني بالمنط يباهد وإللي العاطية يشوهو يهرج المفرات بم و المدار "مم فكن المان المرمل الأوالنال والخالس الدردوما درك هل مداما ديرالمرسل وما موشوال حده على عمر لي الدخوام و دوران من اوير و اي و المريب ا - غرصه الله الداكم من يه ول الله له حديث معاول او ساي معاول المحريب في مد الأساس وتعمير المرملي ومع داك كان حاذف المرام ورميأس ومواميل كري كالمالموسل ماينتائه ومالاوراد يؤس عسه والدول درر عده المار وتحسالها وصرب الول حرامه فالخاط الى المنعال رنم اله لم ووكوا الامراله ، فيها يوينكم مكارسلها ارعى من رامع وهاجها احرى من لامع وأروعا اللب من ملاءم وصاحها المان من مامع مادى الفول كماسمع وحكى الصبح كا صع واتى على المراد من- اد او سناد لرر ما كان ارعن للنالة من الفائل وإحاظ الذالة من المالك الحامل بوحيث حقيقة اللمان وغيرة عاز مه في البان فكم ن معانب تنار المدوس من عنام ال مواعنب هم حطَّهُ وَلَكُمُ أَن رَبِّم أَنَّى بِالرَّفِيقِ وَبَادِي نَمَّا النَّفِيقِ مَاسَهُ لِلَّ الننبق بالمناق ورفع الما ورسع الزفاق فهوال نكلم كلم وإن رتم شق ۱۷ أم ركم من موا ب م علايد تعليم تمر بك أبه جائيتني الإجهد المستايد ولاراني مراماله مهدولكة ساحرى الفاراطي المكروع والمرحل وا دم راسي ياسم فرو وان لم على ماسانه قد فطق برماته وسانه فلم تدة الدياة البان ول يتفاله عصة اللمال وكم من خطيب نجيب ورنبه حسب أن نكم اللق راطن راعال وإلك ساعب ورغب إردب وأرب لامد وحم وافرد لايئد بمان الاطه وتندروابط الأنه إلى رة في السنبه ردفيق النسم ومن احل الاراتفل اذ بعد من اعدم الدم ومن الثوارم الرم الحرائد والجرالات التي في المل تنابع لعرقب الملل واعطام امور الدول اما الارك فالابها نواعب المال على مشانتها الموجه لفائد الرؤام لم اساب الترفي وما ٠٠ بكور) ال وأبه وتشر سنهم اخهار غبرهم من سلهم وحيراتهم وما مو كانت عرة الله ردية احرى وإن اي الامور لم ما لفي لك احرى رندو: الم يجه الناج إن ارتكوه ونعدلم لم امر الجميل ان ترهكوه ون - والد الدادات الذي م علماً كالجواة والكامل من الصلة

الريا المرأ يرا الاثار الاساراء على استاراها عصب الحصاص الندمية وإنبازتها في العابات النوعة مستامار بي العدمة الانساعة تنسيل على مديرين عطيب أحدها أندير أخواني معرما يساحة مرس حمم الاحساسات الطاهرة والماطة وإلا مرهو المدرا غل الروحالي الكلي ولكل وإحد سها ادا اوحط ومدة عطع السا. عن صاحبه غابة بطلها وجدود في ساره لامحاورها فالمدمر الحمايل لمس لذمن هابة سوى حاط تركيب الحيواري ال دد معلوم وال من عصوم فهو سوط باللوارم الكاملة لمذا المرص من حلب ما تزم رواله ٤٠ ووقع ما فيو مضرة اولما عه عية على تدر الاسكار - تي منهم هذا المراج سالمامدة مامر الرمار ودلك ابماً ه وحال سائر انحووا أب التحر برندك الى ذلك المامل في ٢١ بها المدية وإنارها الح اسه وان 4 وإما س الحيول الم مكل لموحه ارادته الى مرى ماينوم عدم ار دفع ما بعتري عليهما بوه، قال رجله لم نكل نسبي ١١ لعالمها لا يي او للبرب من قاصدا بلام او للاستناس حراول او ابوام مادا لخذلة من موه اولادال لاشعور له بهذا الاخرر وإماء و ليدبع من بدم ماكان بمالا بالناحبر ولا سكنت الاللاستراءة من قدم ال لبارى حبث اعبار الطلب ولا غرك ساحبال لنبر ما ذكرا ال اي حال ديداً ، طهم بطره وقصاري امره أن سير واس نا في ١-١ السعر سوى مدهة الطهمة ومساءنتها باقام تركيب المالج الصدري واستذا البراعة واستكيال اناره السبطة معدعات أن الاحداد ل مراحد أراد لدبر من الحبوليات وليس بدار فود عما سي من حية من أثمي شد وإدا المدير المنالي وبو من حرمد هو لس لا من دارة سرى كسب المعنى وأن بعد المرى على وجه لا المحقلة برد الرب ولا علم البردان عمم وأنحلي مالكات الماضاء وإثنن عن الصمان المعر الْعَامَةُ وذلك بان ياحد بالنسط وينف على الحد الاوسعة مها تجمد أن نم من تصرفانه مع اخباره او في حد ذاته وإن يتيمن مل الدير ما الدعة

وإن شع اتعاج و مربع اللسادو قرر نباع الرضي معاسلي الدرق وإنسة أي وكل دلك مل مقدار فوه وبا بيُّكَ من يكبه مهوا! بتح فيرمدا الوسودانيو أنام من المتود و اب على ادول الشان ومأ دنيا هنها لويا دهند لون ويكشف عن وحوه أ نامر إبر برامم أه الر والايدع مدمة الاقرع ما وطع طعمها واستي شايها ولاحدا الا كنت غاما ويفف رصام أراة هيئا الاواند على تران ولاء سا إد الي عاو تصاره وقل عدا الدوال عن عدم وقد المدم عن الدلم العداره واكس عن محربة حره والتمي ما احددا وال كلية مدا و شهدا والطوك في وحدو الكاثبات وانحمث في دا ، الحنا أت الرمحم العالم في واحد والن على الله مسكر تحيينا فبرطهم ميارمه ليحكم فواجه دفاه عرسه المادي من الكابدان ومبترأ تشميح من العالمة فالحق عا السعالب و دم ماسا استراب الا بدوة اردة من المصائل الا اقدمها ولا ناشرا من الحكام ١٦ امن أبه هبا ولا دبيا من الحاسف الااسرة ولا حليمنا الا أماما علما وسويه وإدرزه ولاشدة الالولاط الدار وولاما الادبار ولابستدي ميلة من السعامات ولا يتصبو عرمه عن المالي وان دونها التهاسف فلا بكان غال المارولا بمنكب الاحذ مالنار ادا دهت البو داعية اكن وإن جل المعطب وإنسم انحرق وحبده بم تسبع مدارم امثااء لبه: هم من سؤله و بعرس ميهم انجار النداح لجسوا سها لمار الد ح

و إنه برية الانحلال و إذه ملم ما يمعرون عليو في تحتج ١٠١٠ كل

وه و عي الاالر الي تداخل مها الاسل من الراك والله والار من

كل المسرالعالي هو الإنسان اكتابلة

نامع رسائة جباب العالم الدارنية الشيخ يحبه عبده أحد اهمر إلدلم بالحامع الارهر

فالما فندسا أن المنسد الاملى للمغل الما مواستكناف اسرار الوجود وإرازما استنر في عالم المهود ودلك منام لا بعان كعبه ولا ياتي عليه هار، ونعبه عنداسنداد، فما:،وصرف الوحية عن الانه مل العلرينة المالي في ذلك ولم طك الوحمد من بين المسالك هو استمال هذه الالات المجدانية لونوسل منها الى ما بنطلبًا من الدَّائق الحمية فانها نندم اليو من صور الكانيات ما لم بكن محض ولم بكن ببلنة خبره فأنا لوفرمنا ان المغل قد فطر مل احسن الفطر ومشابلي غابة من صا الجودر ولكا لم يسمل حس المصر فهلكان بنيكن من اخلبا لرند الصبا اراخطلاع سكارح النصاحق تجدد دائرة ارا بوس و بهاج العترب بالتوس ويجبع بب11سد والتور على انجوار `` بلا نعد ولاجور وبعبن ما لبدرنا من المازل وابرت حوب لمالي وصكة وهريه مازل وامين سيرالكانب ويستكنف ما مال المسترى من العجائب ويسيءن ذى الحلتين ويمتق ما بين السأكين ويتف على ما المسنا مراك ميرني مذا المالم الكبير وكيف ان كل من العط لم البها نابر ومن مركزه المنابئ بسنهد النهسكرلي المدر وبندرما منها من الاماد وما بشنطة كل كوكب من الامنداد ومن ابن كانت نائيه ها الصور -نى نحدثة بما لدبها من المهر. وملكاث ينف على حنينة الالمان وما الفيا من الاخاراق والسربان وكينية وصواء من المعرات الى الارض وإنشارة في الطول والعرض وهلكان بدرك سبرالاساء وحوادث المواءمن برق بخسائك الانصار ومدرات المبان دل نمات العمار خي بنف بذالك على اسراركبر، وينتني مماند خربرة رالكان بخدرة نراكب الحيوابات على احتلانها وتباسب اعضانها ، بانلامها وارتباط الاحصاب وإله فسلات وجلب طلهات الشرايين مادة الغذا الى حميع الجهاك وغير ذلك ما تحار فيو الامكار وتغيم ده الانصار حنى بنف دلي عن سرائمانة وبال من الرائم حنه رەلكان بىنىلىغ احكام الاند ائخابل خى يىنىتىن الاصال ئے عالمالدكيب من العربل الا ان نسائل المبصرادى العنل لاشكر و نواتن الجلوة مذالية لاغمر ولوانا لم بصرف وجهة الالمنات الى ما باتي بالسم من الاصرات لكان اول ما بفند من الهمائل المصلة التي لمِس لما من معادل وفي تنطيع العموت بالحروف على وجه معروف لكوث علائم حاكمة عانكه العدوروما حو ورا عجب الطواحرا سنور نيةنسكل من بني الموع على انكار الاخر التي تدكاع هايها 🦿 وثار ننكون مدانا نجول فيو فكرته وتعجه شطبها يجب فنكثر بذلك العلوم وبسح مجال النهوم فان الامر على ما يساة في مقالة فلمية ابديناها سانكا وهوان مثل انكاركثيرة نفدمت او تاخرت مثل لجية قد انعادت الارناء في حقيقة امر خفيت والمستبصر المافد كرئيس لتلك الجمعية برسخ بين الانوال ويمنق بعين بصيرته ما اليو امركل كَلُّ لندنع من رسَّاو الم وتبل اليو عرائدة و بشرق له في من شي

من البرهان وباحد بالالباب من ايانه تعرب الياني فلان المكفة أن يبدر في صور مصباحه وإلى بضرب نسلاحه الطلب صلاحه فرضع الدواحد واقع بالمتدى من جن الجماحد (ام) و فوائد السبع حوى هن كليرة وكذلك حاسة اللغ قد فدمت اليه امراع المنهومات وحاسة الذرق انواع المنهومات وحاسة اللسمي ارشدنه الى مدا السلابة واللين فارشت كل ذلك البحث في اسرار هذه الاحتلامات ولمبابها وعظها الدالة والانتهام وحطمه جمع ولوال المدرك لمنافي وبيا وقل عامة واحدة وانحذ لى عبرواع على حدة هلاكان بقوته كلير من الملومات و بعوزة الاطلاع على جمين الكائنات على فلا بد من الانتقال من ابن الى اس والابتقال من ابن الى اس والابتقال للهارود بحرم حين شفم علي في البون والدن والاستحار فيا براء كلا يعود بحرم حين شفم علي له الرن والدن والاستحار فيا براء كلا يعود بحرم حين شفم علي له الرن والدن والاستحار فيا براء كلا يعود بحرم حين شفم علي المراكل الارب غريات كان الاوراشه والمدلكال الارب غريات كلياله الاوراشه والمدلكال الارب غرياله كالهورواشه والمدلكال الارب غرياله كلياله الاوراشه والمدلكال الارب غرياله كالهورواشه والمدلكال الدينة غوالعلك يالاد المدلكال الارب غرياله كالهورواشه والمدلكال الارب غرياله كالهورواشه والمدلكال الارب غرياله كالهورواشه والدياله كلياله المدلكال الارب غرياله كلياله الإيالة المدلة الاستحداد المدلة الإيالة المدلة الايوراك المدلة المد

ال العالم حدث مي وهي صادعة - عيم خدت ان العبر في اعزاج المهارح التميس سأعارة الخراية أروار المشرف الماري ملوغ مي ا - مورث من هذا ان ليس للمغل من نبي من هنا ادارات عام والا الأدارم فنون سنبها جبيء فدأ هوالاندمارار المثل الي الحريل وا كَوْنَا تَهُ الادراكية وجدير مان يكون كسالك في كم لانه المصافحة كا الم والاعجام أريسا ونام أو نقرير بعالم أو دام عار أو تابس وار أو ويدم هدائة أو الغاذ من وبل حمالة أو أمائة بالبوف له معاصبة منه و و- رفالك ما محسان تكون العام عاله ولا راءة للكون المالمان الساراله وتكلك الحواتي في الاندان العطر أن المنار في المامة ما من الرمان فل الانسان لما شفانه عرائب الأكوار ير حداود عدا كوصُلها هل قرما تنكب عن مقامه والمرع في اعداد و در الربا قدل من تسيح له ايدي الأسر لباسايف أو تصدم لله مدا السدر بها ترحد من حدة اللب وتود الحالب ما و تحدي من ١٠٠٠، ربده ن بن مقاحمة ولم عهد من التوق الدابيعية ما عميش مدم عملان المبالية أمل بأدى البشرة عافه الثائم تجروا عرب الان انتحب والدواع معرما لصع البلايا وهدفا لسهام المبايا بوهه الحراب ودى به الترا والما الاصطرار لدلول تمارالا أجار أبو ماحر المير نشاعتوزته القدرن النادس ولس في حمد الجرواني ما بني معهد الاني فادن عرض على الله بي حاله وقدم الوما نالة علم بجد الدقل بدا من أن بنيد هذا العرش على كيامل الصائع يسنديم حنمنة بالواع المدائم فاذل غو ذراب ١١-اب يستدرها البان الارزاق فسكبت اليها مروءوا .ن -. م الاماق وعفياً بايدي الالات فاستخلص منها .! لا من مر الممايات فالسالمات انجمت حاملة لمادة سذانه وشخمة بما بكمه من درسير. د.انه والمعادن والانجار والانحار استفاء بوحه لم تنات الدار زارته ها نحن لك دائخة ما تريد لما تريد من حلمه دارتم أو دوج راس للدرد فاستمال فن سها للعض والسط ساءاته سيدالمآبول بإلارس المحذمها الان لجهيع الاعزل جاعان الند الاحساسة أراث الرجر قالت انجادمة كما أداخل انتصراه و أن روي نائد مستاد المرا جا عليان القدر وكانت الشابة ويما وترخي المراوش ادمي الدرسة ولا على القدرائق الشاخة في القدر والكالها المستاخ ادف ساراتي الدرسة الماراتي الشاخة في القدر والكالها المستاخ الدارسة المساور المال فلس للم آلمزة عدما كأدت ماركات بالرحود أسفرة وأستوى على عش المرامة وإطالتي من فيدنانه أسياسه كثي ذلك معيدالمثل الرتبد وتدره الوحيد مندكل الس عاسا في قباء والى ما ينتضرو العنل من حكمونة . . كر يُمل من له يا ي والمغلى منغراني بيل عابنو الى الاحرومين نه: للك المامر وي حالها أن حهة برى أن المقل قد أفرع مهد و مذل غابة مارين في السبناء لوارم الدون وإنشا المائذ ما مابر مها وما سأن ومركم في ذلك الصاعب وتجدل انواع الناتب وبرت مند.ات اءً ل للوصول الى ال فل مها وجل فيمان ال لس وراء لمرات أ . وابس سوى هذه اللذائذ من عابه و بدامت الى أن الاسان به ال لان یآکل رید یب و مابو و بلحب وهذا مظرادین و من حزه بری آن كليمًا بمن لاعمدي عردم ولاغدر افرادم بعر تون كورس النداند و بكذين محالمة الدوائد تخاني عومهم عن الساحع وإن لمد المسش وعز المصاحع بخخلون المهاد ويتممانون على الاماد ومكسهن ثياب الحول و يمنرصون حد البف الملول بحو ون الممار راكف بنون الاسفار؛ ومدون ما لابوسد رباكان ريدر ون ما ١٠٠، وذلك كالم المجلف الواحد مهم ارتاع حل م الحبال اولدنين

> النام للابه نام رسالة جناب العالم العلابة النبج عمد ديده احد اهل العلم بالجام الارهر

ان سلسة جال قد اخلت في أمندادها كر من ١٧مبال او العلم ان مناطعة علىكم تحنوي من افراد الانسال ارابم عدسون اي دس من الادبان أبولا قد هجروا أوطامم وإنعبوا الدانهم لحديق الرجرتي خطره في ذانة بسير وإنكان ما بعرنب عليه من الانار في حيث الما ا كنبرو مران كنبرا من اللي نداينك خزائر بن ١٧٠٠ إل و وتحمن بفلاع من فران الرحال مجمع بكور لا مَرُهُ مَن الرَّا . النامة البدية وانساجهم اللذائذ المبهانية ومع دلك الدل لمل المكن ربعف لحبة ننسه كن معدكن بتمثل البه انحمير بالولدان فيغض هم ساحا ذيل السيان وربا غنل الرمن الداويل عن شَدَانُو الذِّي يهِ دَوْلُمْ نُونُو لِلسَّامُ مِانُو لِلكُّبِّ مِنْ لِلدَّارِ فَمَا مِنْ اوراق الشعائر لينف على افكار 14 وإنل وإلا وإحرو بنسع نسه * الميزان ين ١١ را كانا ١٤ كم ين ١١ كدودارا حتى اذا المذة الحدة برى ركى حبراما والملا كرارا قد اكنني بسلاف الماؤيس سلاف الدراب رالمنفني اعمادته المغول عن مسامن الاحباب و غرع اقداح الكالم عن مرم حامات المدام وإن تذفين عوا، وإح > الوله : لي الدل المرنة وإنشعت عنه ظالت الترهام واسترالة سمح انحق ابنه الى مقرمة وإداما حرته وحملك والرورؤعن وسأليلموك المجور في ذلك حسد استعرا ، العكمة مع ان احمري كان ند في معا ندره تهنأ والمد الشامام ولرجود وأمران وصوع المالية وفالفا لمربع ولي المعتج مَا يُعْمُ مَا فِي لِلْمُعْمُونَا مِنْ وَلِينِسُوا لَمَا الْأَرْوَالِيَ لِلْمُ بِلَدِ مِنْ مُ

م العربيات حيال العالم أنه أنه الأستان عند معا العدامل العلم بالخام المرادر

المراحة المراحة من حركة راداً ويحد صافح و مرود المساح المدائل من والمساح المدائل و مرود المساح المدائل و مرود المساح المدائل و مراحة المدائل و مراحة المدائل و مراحة المدائل المراحة المدائل المراحة المدائل المدائل

وي ذا الذي س غدا برسا خواه ل والحق س راد ويم موه في ذا الذي ورس الام ويطاون الرادة مر ما والاها م من الوطن وهو في ذلك كورس الامن عدام ولا يدكن في طلعه السادم الوطن وهو مع ذلك لا سنى عدام ولا يدكن في طلعه السادم المدان ولا ما راه مرس مكن الى مكان ولك ل بغيل المنتخون محال بنده والس مر يعلم الكان مددم و مرى و بعلم ان كترام ان الملس رائد و مرس عدام المدان فدون حمالة لا تقاو وقاية عائد ولا يحدل الله أنه أو والا من مراف مرد و مرد المنا المناف الما الله والدي والدي الله المدان والدي الله والدي الله والدي الله والدي والدي الله والدي الله والدي والدي الله المناف الله والدي المناف والدي الله المناف الله والدي المناف الله والدي المناف المناف

الامة فضلاً عن الدية فإطلك بدار الحق صاح والسادور عدون سهانه و يكتف قذاته حصومًا ال اودم هاون الدماء اكبي عبر. من الاول للاحر فهاك تبلغ اللي حسائماء بن ساء و م حيدة شرف الانسانية على راسة حتى بأملص ما لحنة الربلحق برس ــ نا وهو في ذلك عاندذ عاسات الـــان كامها عمران حور ما ا وس هیلاکندرور) والم بهم عالمون نمن همه اشههٔ بسل بل موتس ال أبس المتعد الاعل والمانة التصوى من هذه الشاة الاسابة سور البمل بهدم المصائل المسوية وإنسائك الفدانذ الروحابة ولاعدة يذ مسالى ان الاسان باكل لان بعيش و اميش لان برى ريري لان يمنل وبمتل لان بكبل وهذا موالمارالادق رايتول الاحق مان قال فالل ال حميم ما دكرته فاست لا يكر رايكن أن حميم مايرنكا اوليك الدين عددتهم من نرك اللذانذ المدنية ومبايم أعوما ترقت من الحسائص المفلة ليس لاكال الله الذارة الدانها ل لتكمل لم الاول بجمع حهامها فان ارباب الداوم تعدا والدلازاني - الراابة والراحة ولا يستوفي حميم ما بنوم و الدر سالما عن حميم الامات الا بالدلوم وإلممارف وكثرة الخبارب نستفون في تحديلها لسعدل مبل تاقنة امرها ولى الذمن قد استنبوا راحتهم سينح نشر الكارم و مد نفاتام لم بكل داعنم الى دلك سوى حسال ال ليستندوا غيرهم ويحاهما مآكاموا سالونا من الذل والماسة وار ارماب المنهم العالية لم يحروا المنخررولم محفظول وماراله عبرالاخواكا من أن بند البم عد التماهل أم حواتهم بد المعلمن درنم كرون مي مواحبهم فيسمون من لدائم الحسانية ومة ضات حبائهم المدن و انجملة ما نشرهٔ فهو اما لسل نقمه او دفع لکه دانول نه ۲ دفق ۴ النظريا هدا في احوال الدس.خدار!"اريآحم في طاب اكا لات البابع لأبابع

عين ولي مل من الم ترمل إرتراب العارة أرعا تر دومال ما ريا وتدار لازك. ق اك حَكَم أن علك اللزار الك الدس قد والها المنهجي بالمالحة ألم والأثرة بمأجوده المنابر والمطامع بالمارين بن إواء اللوف وحالوا تلك الدار الدسالسيم له با وهاي وسايل ساره وسايا أو تردنوا قائلاً أبل وإحد مايا شعر ولست مطار الى حالب الدي الداكة مساله الجير حاسر الغر أول سيت أرياة أد اربات الى صلاح حال او نع مال الاسد ال معيد إراها عدما الولك المصلا وإحصاف عالب موردا عوم عواد الدائم عد رسول إلى مروح حسير وعمالون أو أرأب عر عيريم مهلكان دلك سميل ألا ما ناراد وامنة على الدائد منعدد، ل عبر ساعية وهي لغة الدوسة والصفات الحابة في خاصة الانسان اللي شما منا الماره وتملي الواره فادن لاعرم علم ألامسان الى تديرن فيم أردا الحائن إشارا فالمنابة بالمذيا أتوم المستعلق يملت من الديال إلى الزولاجيع لله عامروسم دند أرقي الي فرق الاسابة عنم المنح الدائي الموساماء و ما رواه الكا قوى في قعارة المنص حاسب الاسلية على ملة عوالمصرفات العللة عام النالم ولا عارف في المحكم ولا منبي يحر الله و ولا بعد ال صد ال ألم إمير الكن ل تركم حباة بدارة من المعالة ارفع الارائموالة وديم معرة الدارة باحد بالمدهال ولاسكس اذا استحكم الوان وداك لا الى حد شصوس ولا الى حكال شعوص ولا في ردان عصوص الم الافرب الى الدر اولى عام والدون الما بال من عقل المتمان ومن تُم ترى أن أول قارة أوريا بنا أرتفت لديهم المارب الي ذراعا ركت قربراك لات نصاراه فواتت الرماسة البهرمامها وموصف السارة المم احكام الأصح مورالمثل في احداثهم الإرسا الندل في أنسارم بمالي تساعد عمم الى بث مقصيات الاساية في الحاجي الكروة لارصة وإخصال عادة الدوحش والحييرا لارس مرحصال المجرير وما استعنى على في دلك من عوا عبات المرابع المعالم في اللو

فاسما مركاتهم اي فاسع

على رسالة حدلب الدائم الدائمية (التي ومدسمة أحد الحل الدلم بالجامع (الرور

الدَّلْمُ مَعِ النِّالِيمِ أَمَا يَعُونُ هَذَهِ اللهِ أَمُدَ الْحَدَّةِ أَوْ فَعَمَ عَرِقَ أَنْهُ أَ مَالَكُلِهُ الله مِن لَم بَكُن مسعام سوى على الكَنَّارِم وإلله دا. إلى مَا دون ذلك مهولة من الوسائل فاله لوكان لهرعالة سوى الله .اأد لان لأمل دوبها ولم بنحآوز و ما الى اصدادها بل بى احوال عرم مامك قلائم السام لا عدى علدة سبة لسل روحة والتي أن عدت لك اصافيم أساب ااي لا تعتد درمة افرادها عن ذلك على الملامها بطول المقال و عسم الحال ، فعم اسالا سكر الكثيرًا من الار اد بنحد الماصد سأدي ولم بمالوا من الاسابة موى المشاعة في المرحل والابادي اشرسواني فلومم عل النموات ووسماحهم الانارالاسابة بالمندمات ونكالبوا على الموارد الحمسه نكالمم الدباب على الدرب وال منام في بها ما وكرمنل المعنلس بغربا مرى ارباب ١٧٠ : كيلا يفرك الاس ولابحترس مان اني موع ولوية ون على مفاحد م النب لم مراهوم شيئًا مما نهول، تلك الهمم الارسية الا من هم . إ مشرم بار'هـ را من ندی ایم و سم من رسب تی ارض حورایه ایا و را . وهه طراة عوسا ١٧١ سابة مطره النا كهال انجار بركة كل راكب لبن سائد دائب وحدًا مع ما قلة سوا في الماصد وشركا في المعدر والموردلات بي لحركام موكده آرب حموات ال بانية ولا يعتم : حد مهم أن أرى نسة أرقى من للعلب بروع من الخارب ويحمال الله . المواب على صعب الدماج وإلاراب وم كل داك لانقال عمي أمم تعردون من الله السالدوجانة ماين علمم على ولك وماتهم وإعضت من مد منهم ولا الل أيم تحول ال تجميل عالم عملواً الوسط ما موم مولادتم عصا ال اسادم له اعراضم حهاد دون اب العصول و الما تلك اللدات او يكون لم المها السعة تم الي النداة اله الها أنَّا إِنَّ أَنَّ الدَّا تَعْلَمُتُ الانصابُ فِي أَحْكُمِ وَإِمَّا أَيَّ في من رسمه أو از الله نوس الهاس مطالص الاستأن كاليوا . أ أمر شر الترصاح بم إلى إله الهالم من عماد وحوار المالية من والله التكنيف الى مها أسل ويو مرخ ولا

الناح لتابع

نابع رسالة سداب المالم الدارسة السيح عود عند احد احل الدلم بالجامع أنزم

الا أن مم من يُعنَد هذه الدنمائل أمَّا و يَشَادُهَا رِدْ يَ لَكُونَ الة لانتالم وسلا لموه آمالم خصوص اللك الكرد ذا الارد بالراسعة للانطار الشاحة التي قد حراحل بملكت غام الحرة حن المالاتيح لم أن تعرس الملوم الفلسمية في مدارسيم الرسم، مل الا المؤة بل ان اراد اددم أن بنصراعً للكسارة راول اعلى ابس غيات الحو والنفة ما تعطرمة قلوب اهل الرانة والرنة حمد . " أهل دبو الكَنْولِك الدبن مزم كل بمزور نفي كذبرًا مم الى حدد أرتباف ولا بنرق وما يزك وله الى الاختراق الا اقام، ولا من الى اسيمباد غره الانمن تصصهاكبف لاوند نفلدرت الجدركية التي عي مقدمة ركب الالوهية مفام بالموريتو المقدمة ليردي المدرما المة ركنة مل ننسو من اللهام محلوق الانسابة بالهاوس على شوم الحن مل الوحه الاحق الالمق فاوقد بعران الف في موث اعل . . ، الفقرا الخناحين الى رئابة دولنهم لبحردم من ذل النوكة دريرة ، المسهم عر الفعف والبة وينهم من رعة الحرية النبي تد مالوه - ش م على حنظ تزودهم عاكنون ودل اصلاح احوافم أدحابة ساسور بسلاون على دونهم ندلل المشوق على العاشق و حالون ١٠٠٠ بال الوالد .. . أنه أو الحبيب من محمه الصارق وليستم ليبير " بَنِّل لا لَهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللّ مداخلة أأكوند صطاحاله مل أعلى أقل تكالموك معالجية ائن ندالت به بها البائنه وند صادنة على دلك ١٠١١ ك الماسعة أا أمل وإحد منهر من سائمة يسعار أما الاسمار و 17 ك المك المتصرق فهابكين الارتباط ومرقي دلك بادي بالمائسات ر الخفوق المدينة وتتربر مبهر الحطاءل سامرا عبر بالاتراب مالايغ ابك الافلاع من الأنه و وافعا شرف الاعتماف وأم أحد الأربيم ني وبدان الخاكمة - تن المتم وانه الله مل بالما يا با در الل المأ ارطانهم رهم نراي من ذلك وحمع ما لا نتنج أبي مثلُ ه. ١٢ بام أن بسيع وأنه سوات شاك وحره التعاف وعاذلك لاغا الداميم عرق النوامة ولا أنحول في دالك محاات الساسة وإلى استرال الواتك الكال لايليق بهم مع 14 الدعوى التربية مدواج الزنبر 🗀 ماملق الحارة أربحمارا تلك الراقة والرقة داصة معص المقالمات ان ا- هـ.، في حية من الجوات لكان من الواجب ان بـ الرول من وراه عجاب الى خورو موقـدكم بطروا - مازًا الياك ر واكال ١١ ــود فاني لونگلت في هذا بطول ارتج بي تبيب با. , الي ١٧ن لم يبلغ ل حد الكال حتى بنعلون العال الرجال ولا تنفر وز نحرش المنال وللاندان كال سوى ما هم فيو وتلك التي شو- ٪ المعلم ماديو ولكن اعجب لحمل المستة شرفية وشربية فلن اله: ل بنارس في ذاك I. رازًا حمية مشاعنها النواريخ التدية رانحد رثمكي ١٠ كنت نعطة القباحرة بالإكليره والإكليرة بالتباهره ويشكل من

الدرنس والمريين مع منه ارداء بينبر المرحة الوثوب إلى الاخر مناحقد الجراف حدير بالاكتراث الاالم المجمعة الحركة المابها وتوجعت غو المرب وزكت النوتين على بنرب مد مد المرم من المهاجمة و عالمت من الشرقيين المارا الماوية ميان عدو ملا معادي ومنارز الانساء الدوائي والدوادي فني الامرائي الدر على مر حيم الدوائي والدوادي فني الامرائي الدو على مرد ودهب على مندر حدير وما الوصل الشرقيان الى مذا كدسيدي منري الاراء واحملات الاعوار حتى ان عدى اللي مارازيا إلى الما المارائي المارائي مدو الموالم واستوره الاعتراض المارائي الموالم المارائي والمارائي المارائي المارائيل المارا

ا به ادما بالده ول شعب و درم او نوام فر حربه مدد اده نا و زرسًا یادن و او المم و درج الم بر اس مرده الاستدال و مد سال کون عاراً علماً انجر الربده ب امارکم و بدای سکم علوکم و سیدم با کوکم و منابع حزب المرز و اکرکم امتر با معتد الدرنس ادا و دار را مد متدارکین فرد المع و لید از وسائر اشاد درم برد از و در الح بال الا حرار المعال ما بال ساحد و از و دال و سوالا و دو الحداد المدار و دال الا مرد الحداد و الحداد المدار و دال المدار و دالمدار و دالمد

أنت عصاماً وأستنزت لل النون كم كل فرسها بالإيلي الم يادر ولم تناطبها عدوكم من صبر وبإسم

ي الديف المطأر الملائ والنبي البك اروث الناب وركل المستر واذكر وا اذ فسطر المواكم إلى صحف الرجال ربسة في جاءا الميدن و الاحيال فأن ايم الرزم حيثكم ورد تم حق وطئكم الذي سه اعدام و ونبي يحتم وداد مترعة مذل الارواح الضائس حس أنفال و مامجر له ملكتم سالك الرسال لامؤس الاطمال تعلك مائزة السابة مالمور با محتكم وتحاركم ولتلكون سعدكم وحاية بحال فيها من فية ومه اعدكم ولا فالمار والشار لاحق مكم وليس الا أن يجني نراب اعدل بهرحق اعتقاعكم واسفر واللى احوال سلكم لتكون مرآة لاحوامكم ، عان قال ا

الدابات الت سنااحا ورودنا افانين الدابات مكل باحد ما يتوند من صاحه لهالنه لا في مذهر وما وانه اله في مدّر م كلة الانتاق مدّر م كلة الانتاق والتحلص من حسبة الدان أخيمه أن مثلاً في دلت مثل اخر بن تولدا من بعض باحدة وأصل وحد ثد أع سما مندن الماردات المراية والمعاونة والمحمدة والماردات المحارثة والمحمدة والمحمدة والمحمدة والمحمدة والمحمدة والمحمدة والمحمدة المراوة والمحمدة والمراوة والمحمدة والمحمدة المراوة والمحمدة والمراوة والمحمدة والمحمدة والمراوة والمحمدة والمحمدة والمراوة والمحمدة و

أب . بكن فاص اودال سوى الاه البوال نذبا والي و البرترية ي بهترس هنى ان الله بها أبهرا انه والمواسكان الحل المواسطرون ولكن انزار البوران ما صع حو أنيا المفا المنط عاد وارائي المثلب باده موانف الاسانية ان ذلك من الموت الدسمة فا شار المين المائية و ناول الدرومات الافاسيل من سنة المعلق وانفذ و لكم من الاسابة طاه ومن النصائل حله واحذر واو المحمدة الوطنة المتواطئة على ظامة المحمد وإذا من الحرن على ذلك الطالب المناه أله الر الوذه ومن من المرن على ذلك الطالب المناه أله الر الوذه ويجمع المناه والمناه المناه ال

ولى ماك الم الم نعالم الراسلو كالآنوى أو انها احدواؤه . حسمه اله رشاده بغزال المعناده فكف لك وهو ادن وارشد اواردك رشاده بغزال اعتفاده فكف لك وهو ادن وادن وارشد اواردك المسلم المحادث وارسته وال الحمد المحادث المسلم المحادث والمحادث المحادث المحا

أماره في أستاب اسلا على هذا المسكون كروسنوك حها أسا ولم ياحل

م. دن الدامة الياء بن له بعد الدار . "تَوْدَرِه مِن الله المرار الإربرية الله مع المورد . " احد اهل العلم بالارمر

كلا ذابينا عهد حاملة العرب وما كان من ، عبات البهاة في نلك المحضب ومنهنا الضها ماما صرنا في بداة احرى وللدميا الى الامام صدات كاالى أفغيرى والمنصبرا السام الارال في ال النمالأنة بالاختلال وقبت افكارنا للعميل ساسنهآ الوينبرا بمركه ا ٠٠ يأدث الابام بأسالا زلما في أول منطة من ذلك الزمن الاول ل ألم ذلك على نتزل سا الى أسال ونشعى اساليا عن تندم المالي فرطاعا ان الحب ما وإياء في عله الإيام أن يعنى طاة العلم أوراع أسمن قد بذلوا جهدهم في النمصيل وخلموا المب ارزار السالة لانحما ل وافدوا براحنهم لتنوير بعبرتهم قد نحركمه الى الدال ديه و عنه الى النانث غيرته عاحد بنج درارة ما نسر الكنب المنانية والكلامية التيكان قد صنها سفى افاصل المة الديلامية ١٤ اما تد طمكة موالوانع أن الدلوم المطنبة الها وصمت لمنويم البراه ينه يذر الامكار غنها من المعرت ونهدن انكيف نترك المندمات لانباج الطلوب مد اليال أن اي مند، أهم أن توذذ في البان وإنها يجب أن بنذف و بطرح الهذا علم حة ق بان بنحد سلمًا مجسم الدلوم ولابعدل هر طلبه ٧٧ حيمول ظلوم والملوم الكلامة اما فراحكام لمأيد الذراعد اله بنه بالاداة النفارة التعامية حقى بحق للرس نلك الداوم أن بـ س الموار ظك المعالب من تلك العرامين وشع خلك الماللين وبردع . اللمدير الى رجه لا بكون فيه اثبات الني بنسه ولا ترل المتلعن / مراتب في ادراك وحد ولما ميم خلك بعض احاله واد فانه والربائه الذين بوثرون خبره ولابرنفون ضروه اعنر لدلك وإصطرب وإعب

نايع رسانه حناب العلامة الديب والغاضل ا أذربب الشبغ محمد عبده احد اهل المسافرة العلم مالازهر

الأل وس آن ومواه احذ بعدد ولده بالشور بالوبل ان كان للك الامار ل صحة عادام العنالب ال ذلك مركدب الباطبين ربعي الخامدين ول ي من يوم معيمت في مبني وقطع بعني لم تفرعني مظرة في رياس غلك العلوم ولم الشفيرقاي باحد ماطوق مها ولا مهرم طم بعدة عنى إرك ماكار النبن وإعلىة ما أه رب العاليمت ابن إ المادل كداب رارة في أمن فرم أمر أن خام وهو أنصادق في حلقه وكال والداحاء المُعاره بين بدمه وس حلمه الما ابنن ابوه بكلب ما نهل ال حمد الله وإلى الله واصنع من عده متوحها الى ملد، فانظر ، الى ١٨٠ الرحل مع كمره امتعاله واحتياحه لسامة بسار وبها الى احواله كب رك ١١٠م وصرب الدرع وإناص المصاص الميم وإند اندام النهبوا داك الأنحادث افلته وشائ عطيمة حاف لى لحقاود المبة دفيا تد اسفره من أرصه و على شدود طلب التعلص من حلوله مركفه فارسال ١٠ ١٨ مر اللهم والحادث المنم الديم قال الردادي بملم العاني وأكلام وأتملص من فهد حهل قد ادار بالراصي والابدار واللزاني مدرائيات والعبرة التي قد دعهم الى البعاصد والسامر والنحوز التي تدحركتهم على النكائر الخلص س مدا انحادث الملم وإغناع عنا الآلم المدفم سابة انحرارة المائنة من صدق طوبة وطومي نداكم لهد العمول وشست عوانمها وما اليو الرما بوول لاس دام مدا ولم عدث لذ عرا المسك مد ولم برح مولود ول ي المعم من حواره المحوال في الوطن وإر ماب البصائر والعام إنب مالسمهم الحراره الى المهيط حنى آل امرع الى السنهط و المحيا اوالم تعديد العكر في اوم العراوين وسدندها وكنية الوبود على العماش رتحد دها في الي شي عرمة عامة الى صل عا رشادما وعلب سمارما وإلى مني. سوى الدليل معرف الأوارث عدا امرعى عن المنان و يمل عن الامصاح بو الشامل مع ال مله الداوم ...

المن والمحافظة والمحافظة والمنافعة المن المنافعة المن المنافعة ال

النورة لا مكور عمره من مهل النار الواعدة له كور مرا أن مرا مرا أن المؤردة المؤردة والمؤردة المؤردة والمؤردة المؤردة ا

وليستمري اواكن هذا حالة السدوال الدواد أراسات ص تسي الارد لابويل من مذامة و رئاس ي شره و عادر عن الماء فبالبريدعن السابية وتناولها ابدسيه انعلس سأ والماما الم الالسة بإحالنا والسية الى وتورو بعدة مدن في مر وأروح الورق هذه الإرمال وكالفاعيا الدي الدلاول والمول والمامر أحمأ أأ به ساراته رئياً ونوالا مداران أكسانها به الراتور أو منا أن أولي والتحاوهم المتعالي ادتيال فكرك والحرم أأداك والما اللهذا الشنستار ولي مثل هذه الدرة لوكانسة بي عرب العربيّ المراكات حال بأكانت الانة عرور والما بي وتوتا ولانا السماء أأما ف ا ما غامة او في زمل ال الشاراكير أر وعا ها مو عالمتا عمام 1 أوماً يَ حَوِيَ كُلُولِ فِي دُرُوةِ الرَّحْشُ لَاءَتِهُ وَلَ الْمُعَا فِيَسْمُوهِ لِ المره في الله على وكالمواحات بين في تهم الحيالات وإدارهام وأ - أماله عهم احساسانهم حور الحكم ولم يكن منهم و دان ١٠٥٠ ـ ١٠١٠ احتلاط اذكالي برحاني المفطال أشراز المستاس السا غيما ولك الحالب والهوالم المدرة والدار والماء والتهم حم م المسالك وكما مومل ال الأحد مني عارز و ما الراء ما والمساعة ؛ م شون اذا أربعت المراج والألب السائر و عادمه من المام الما قام من يؤدام ومحرحون يا هم سمارا الدي سمير العجب أألى مقرداك المرسم في بولي حري الوسال السورجي برحا الفارومل الفنديورغ فالمالزقي من حبيا والمالين ولافاءه الارتاط وباو فبالام الجمه وراء اماغياء برالاحداب التحسمون إلى المولين بدرا و من احداثاً عند أشهر و و و ما سأ وهرايم وملسا وتومم وصعالموتسرايم وطريتوصراني وإابراء أوافر ملك من المرا الله الريا الى لا معديم اليعمد لل في روار - رح الملرمين الادعال الي الانتيان وعرل من مراء عالم وحاسة والدين الصور المحمد الهدواج لنارياف وقبا للفرس تناف والمحمول مسهور مطا ي مالاً وجادي ارتم صوت بإعاله ١٤ من بـالل داند - ١٤ من فتردائه فالأمر فالمسلمان فبالدائا من فالرب عمران مناه تصالحا فلي حيل تي على العال في الم مع عارة الماذا العال کوهم سنج ای نام ومرا بامر ساد لکی فعمت ایاز آن و تا ساله صار غزنواته في فاه مرملي ترويع واللي الصارع عديد و إلى المدرسايين ولوطرائه فيهرهمأ المعدرولو تحميرا وبالمدم وأروقل الن عهم ل تنكي هذه الحيالية الكوهم والمن المحاملية الما هم م كل ما تدراوا من صع ما كيروها منادم حاليه الحدو الاعظم

و رن الطاع في الكاملة الإجابة قد على عاد ما الحالف المعارف وتوسع فالتج المداب بإشراره الفارات الماس والكاملة وهم بالالتامة من الاقارف والإجابة واحساب الماسمات على جانب عني المحت المال الاوراسها الاكتساب وحرائم الماسة على طعقة لاجان والمجان ويوس المعارف الورود و فاصارة عاد

אנתין סוסו אד או

تان رسانة سناب العلامة الأدب والماضل الأرب الشيخ عهدت بده لحد لعل العلم بالأرمر

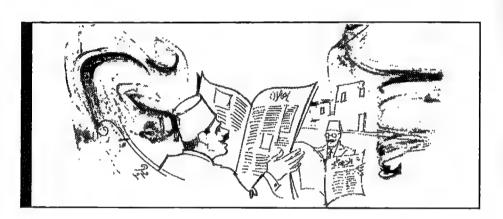
لوگان شد امة الدري تكانب بأدت الى غاز الكرار و ادار الرحد الاعدال واستحيت مددة لاستدادة والديد وصالمره ل المرية والحربدة عاما لم نسيم أن مكمًا من ماوك أورما أند در. ، أو حلدت الماوم في العمف الدين م كامل قد قاسل مار السيد في الطارم تشمدل الحمة في ذلك معتار ما بدلة حباب المحد من ده ب أه محداد ند ان کل ما یکر ان برنی و فی سازه ای برک بادا تعرم في النا الكما لي رياحيه السبي دا لم محمد أأن إلى أرار ان سم راعبر مهده وليس الوال نم المثالب الداء الدول هذا المليك في اسداد النهم وغاميم من برار الداكي، خاب لاالمواصف تحركم ولا الدوامات تعديم وال والمدائرص ممر تدخني دراؤه إعما المذب شارة سال الله تعادم برامل ناعم بقول أن هذه الحادثة لا ناي الأمل ولا تندرته به أنه إلى ما إحرابة من الحرار الله ومن الحرامات لا بحكم على الكمك، والمراب المك يدان وفي كل مكن وجد الحراني والاعبا وار ام الرا لات الدنا ودلك لا بناني حكم المالب فاحب مان وده أ ١٠٠٠ أول الرورة كرت ولا الدووامة وقعت ولكن ذلك أكثرين أأح مواج واش سأ وتهمر خصومك من الطائمة الديرسة أنني تعديه إدر حراء الامة فلهم الحالان لم يعلم في الحاسب و الماء و المحم الله العالم والله تعود عليم أو على البالثان ولكن الله المالة وال طيق برمل قد اعلت كُواْكه وطويت صحه ووالدر كالم عاد اس الهاما المحاق ماق حديد قد مارحا أنا ابت ما رساما في أفة فلاعصت البادمارية كل إسهر ما ناره ومدند في الداره ال لحن كامن اداد تلك الاحاد منه رنساله عارب إلى الله ان سارح ديما وتحو باغسا بإدال سدحي احرا سيه اتحال والملال الطريق م أن الك الامر بايد عام أرا أ ﴿ ﴿ إِنَّا وَالَّهِ جبراما من المل إله ول وما الدي غاره و حالم احل أو المراه و م الى الإماريا الفيا الوياحي كدوا الرب الدايا عاما أحافه بعالم

أرام على تعاشلها بالمل فاداحتنا الديب وحد عبدان فبارع الماحي بدارك مادات وتسعد كجربا مير موادر وماحن هد العارلاد بسنا لرتمم في التري بالدرة الأثر و المار بالماري البرأت يهرحن أأديم الي وشادع منوريل حمرانه باكسب أومصراتهم مَسَمَاعُ عَبَا وَزَكُوهَا مَادُونُ أُولُ وَإَحْبُ عَلَيْمًا هُوَالَّهُ مَكُمُ هُدُ ولجنادتي مشرعته المنارم في الوطاما الس من الذب ترب الا £ولة ولا دولة الا بصولة ولا صوله 11 ينوغ ولا مو 14 × . يغولس لا وقا قافرة وصاعة وإواش مها مثرية الماليها ولا تكويث فالمعالما الا وغر العادم بيا بريم حتى عر واطرق الأكمال الدوالة امر تدحي على دوي ١١١١ إب يصالاً عن شرع كاسالا ويد وأسا أرسة كان الحارب دوا الاحتاب وإلىال وإلىهم رحرب انجترروها يشه دلك راكان يكل المحمالة رميد الليم وحصرا رمال خدارات الحالماكك المفرة وسامع النزاء وبالكروب وماه والامة وتبرد ذلك من الاسلمة الي تمدون و المدون احد على الله إلا و من حلط عاصر الاسان لارال برشده وعوده عوا مبرع اسال همه الان المِكَن لمنا الموع بانهم حتى الان قد حسالي العالم . . . رکلم فائرن على منادتها رحدتها مکل حد رادلاص 🔻 ت سکّن من حفظ ملما ومولما ودبها من شرر ود الميران حور ار كون هدة با ياثاً إلى لم نقل ما مرمدعها ومل بكن اسمطأ الماء أمرر والحزف الرعال الحرف كلامل لا مدس ان وفي الدوب س ا ولي ا وتطلب المسان من اسابها ولاحد من الحديث عن حديد الاكساب على ومه المرواب والمساء سور المرق والمري عن ، الله الله ولس من مرشعها الحاذلك الإاما هذه الطائفة عليم لرمام أوالتما ارساحنا توحيه إموحها وي اي ونسائل اي شه عرمه إعراحا فكالرس حقيران بقومل كامت الحبيوريل التناص تاك الالبداران الواله ها وما شرب يا باس المامع وعلى هما أس المام ووام احد احدًا لاما والممر الله فد كان والشخص العمال وإم "عد الله والراء التمال النمي بالدول ويدائدا والمدور الراهام التدمائر والمد مدروال الذي يزار أساس والرسيكة موجوعاتهم

وغير عائد عليهم ولا نظف اله الول أن توانهم عن مثل علما المدي على مار سهر مارونه أرقا في بيهم مالنا أن أم أربال وا ذل أرواه ولهُ الْعِيمَانِيمِ وَلُوحِمِهِ مَا مُمْمُ وَلُوالِيهِ الدَّوْلِيَّا مُونَالُمُ وَمُنْكُوا الْأَمْرِ بَلَّ بيا عني عليه المأول فأرشان فأناس أنيه المؤاجرة وما مهاوها فسند الشافون بمقيالهم ووعامتهم ومنتد أأخاني والعراسيم بالي أستمصال مأجو لمماس كالعط فيجم على ما هو الجاهوب للمرسي الخراء ال كوري عواكا الموكلة وشاره والمرعماما برعلي كالعراه والراه والتأليا أرداه وأ الرعبية للكناة وإنه نامد فرس ألاتراك المردسو المؤازم الدائر ا علىالهدن الانتارية في أناءه الحبريات والمالة سبع الاعتالم ولا رس الا المؤلم ل لا سيع الا بالدار ولا عر الا بالدام ولا لذرق الا ذاك برولا يتر آلا بالسنريكات لارم الادواج وغن لادماح وم السائد وعي الارواح حرثا ملائ سدورة مثرة ساما مر المائح أجز أدقط عدمالمالري ألميدرية هجيبه تكامل سايرهفه والنبئة أوفي أن الدارات ياليهال سار وانعا أح الدي حنث والفيل ورامة الهاريل في أروس من التوليم فأعما الم تتوفر الوق في عَى الايفتار الاندام على ل إلين سفلاً عسائمارس مرموقا مرق الرس تشارسة المداء وسرسة الاساع وأراهم المنتة أي ال المؤيامع فالوائعل مكاك لزراحة بإبدامة سائه حارب عدنا مرارق ألمار والدعام في الها المكتبر مرومة ومات والمح والمعات مع ما رعم الى دنك أن الاعتراب كالمرعب والروب والسفال بآذر بسوايا والرداء ويراحار والعار يالعاسم اسلاف مراديا في فقول وعلى الله عام أفستول

الفصل السابع

التنافي الول وبي



- أول إعلان عن «حكيم أسنان»
- أفوكاتو يقبل المحاماه عن دعاوى الفقراء مجانا!
- ماء «باردين» المعدني الذي يشفي كل الأمراض!!
 - مدرسة لتعليم البنات شغل الركامو والبرانيط
 - اعلان عن أول مشخصاتي في تاريخ مصر

رغم محدودية المساحة التى احتلتها «الاعلانات» فى أهرام السنوات الأولى مرحلة من صدوره.. سبعينات القرن الماضى، أو على الأقل الأهرام فى مرحلة صدوره الاسبوعى(١٨٧٦ ـ ١٨٨٠).. رغم هذه المحدودية فانها تكشف الكثير عن العالم الذى كان يصدر فيه، ولم يكن عالما فسيحا!

فالأهرام الاسبوعى تأثر كثيرا، في المساحة الاعلانية على وجه الخصوص، بنشأته السكندرية، بكل معطيات بيئة ميناء مصر الأول، وكانت بيئة تموج بأسباب التغيير، وبعناصر الصراع التي تصنع هذا التغيير، والتي انعكست بشكل واضح على طبيعة اعلانات أول زمن!

بيئة الاسكندرية تميزت بقدر كبير من التنوع .. مصريون سواء من أبناء المدينة أو من أولئك الذين وفدوا اليها من شتى أنحاء البلاد خاصة بعد حفر ترعة المحمودية وانتقال تجارة غرب الدلتا من رشيد إلى الاسكندرية.. وأوربيون، من شعوب البحر المتوسط أولا: يونانيون وابطاليون وفرنسيون ومالطيون وقبارصة، ثم من سائر أنحاء اوربا خاصة من الانجليز والنمسويين والروس.. ثم أخيرا من سائر الأقطار العثمانية، خاصة من الأرمن والشوام .

ووسط هؤلاء احتل الأخيرون ـ الشوام ـ مكانة خاصة. .

فهم لم يكونوا ضمن المصريين الذين بقوا يعيشون حياة اجتماعية قريبة من تلك التى عاشها أسلافهم، في طوائف حرفية لم تكن قد انقرضت بعد رغم انتشار العلاقات الرأسمالية، خاصة بعد سقوط نظام الاحتكار في عهد عباس، فضلا عن نمط حياة اجتماعية لم يكن قد وقع بعد تحت المؤثرات الأوربية،

وهم لم يكونوا أيضا ضمن الأوربيين الذين استمرت تفصل بينهم وبين المصريين أسباب عديدة، بدءا من الحاجز اللغوى وانتهاء بالعادات والتقاليد التى لم يكن ليستسيغها المصريون بسهولة.

وهم لم يكونوا كذلك ضمن العناصر العثمانية ممن استمر اختلاف اللغة يصنع حاجزا بينهم، ونعنى هنا بالذات الأرمن، كانوا ضمن هذه العناصر حقيقة، ولكنهم كانوا شيئا متميزا..

فهم من خلال احتكاكهم الواسع بالمجتمع الأوربي، وهم من خلال عثمانيتهم وعرويتهم، كان في امكانهم أن يلعبوا دور الجسر السياسي والثقافي والاقتصادي بين أوربا ومصر، وهو ما نمت عنه اعلانات الاهرام خلال سنيه الأولى.

احتل «اصحاب المهن الحرة» مكانة خاصة في «اعلانات أول زمن » وكان وراء ذلك أسباب عديدة ربما يكون أهمها ان المصريين الذين نالوا قدرا من التعليم يؤهلهم

بالاشتغال فى هذه المهن قد عزفوا عن ذلك وآثروا «الميرى» وتركوا الميدان فسيحا لغيرهم.. للأوربيين والشوام الذين احتدم الصراع بينهم، وكان «الاعلان» ميدانا لهذا الصراع، كما كان فى نفس الوقت وسيلة لتعريف الجمهور بطبيعة أعمال هؤلاء..

بتسمية العصر يقدم الحكماء أى الأطباء، والأفوكاتية أى المحامين، غوذجا على ما كانت تموج به الحياة في مصر، وفي الاسكندرية على وجه الخصوص.

ونبدأ بالأطباء ونقدم نموذجا على الصراع ذلك الاعلان الذي جاء في الأهرام الصادر في ٢٤ فبراير عام ١٨٧٧.. قال بالنص..

اعلان

«أعلن اننى بعد أن صرفت مدة طريلة بمطالعة حكمة الأسنان فى مدرسة برلين المشهورة ونلت الشهادة الديبلوماتية المعلنة باتقانى ذلك حق الاتقان مع كل ما يتعلق به من الاصول والفروع تهيأت للعمل بما تعلمت وبحوله تعالى نجحت أتم النجاح والآن قد حضرت إلى مصر قاطنا لأشتغل بالمعالجة فى ما يكون من متعلقات هذه الأمراض كيف كانت مؤملا بمعونته تعالى أن أنال ثقة الجمهور وبناء على ذلك استقبل ـ كل من يريد تشريفي إلى منزلي الكائن فى (أوتيل) أوريك أمام بيت فوتيادس بقرب الضبطية القديمة واستعد أيضا لإجابة من يطلبني إلى منزله وكل ذلك بالأجرة المتعادلة وفوق هذا لا أتأخر عن إجابة من يطلبني إلى الخارج سواء كان للأرياف أو للاسكندرية بأجرة متوازية توافق الطرفين وقد خصصت وقتا يوميا من الساعة ٨ إلى ٩ افرنجية قبل الظهر لمعالجة الفقراء مجانا

ابراهيم صوصة . حكيم اسنان

والواضح من الاسم أن الرجل من الشوام وأنه لم يكن من سكان مصر فقد حضر البها «قاطنا» على حد تعبير الاعلان .

الأهم من الاعلان تعليق الاهرام عليه، والذي جاء فيه :

«يسرنا جدا أن نرى أحد أبنائنا العربيين صرف عدة من السنين فى مدرسة شهيرة نظير مدرسة برلين ونال الشهادة المعتبرة فى ما يطالعه ولكن يسوؤنا جدا أن لا نرى لبضاعته رواجا بدعوى انها عربية مع إنه ممن نبغوا بهذا الفن وله فيه آثار تذكر فالمأمول من أهالى مصر الكرام أن يثقوا به فيروا من أفعاله ما يطيب»!

ويشى هذا التعقيب بحقيقة أن الأطباء، كانوا، خاصة في الاسكندرية، من الأوربيين، وأن الذين نافسوا هؤلاء، خاصة في مجال فتح العيادات، كانوا من الشوام

ولم يكن الاوائل فى حاجة للاعلان عن أنفسهم، سواء بسبب ان الأوربيين، الذين يرتفع عندهم الوعى الصحى، يقصدونهم دون سواهم، أو أن غير الأوربيين، خاصة من المصربين الذين تخلوا عن طب العطار وقصدوا الأطباء، ولو فى حالات الضرورة القصوى، اغا كانوا يذهبون إلى الأطباء الأوربيين بحكم ما يحظى به هؤلاء من ثقة.

وفى المقابل فقد كان الأطباء الشوام فى حاجة إلى ذلك، وهم فى هذا السبيل لجأوا إلى صفحات الاهرام، حيث تكررت اعلاناتهم، هذا من جانب ، وحيث سعوا إلى اغراء المرضى على الاقبال عليهم بالتنويه باستعدادهم بمعالجة الفقراء مجانا من جانب آخر.

حدث هذا بالنسبة لاعلان صوصة كما حدث بالنسبة لاعلان آخرين كان أهمهم سليم داود قنواتي، الشامي أيضا، والذي كرر نشر اعلانه أكثر من مرة والذي جاء فيه:

«اننى بحوله تعالى قد نلت الشهادة الطبية الديبلوماتية من مدرسة الطب بالقصر العينى، وحضرت إلى هنا.. وقد خصصت وقتا يوميا من الساعة ٣ افرنجية بعد الظهر لغاية الساعة ٥ لمعالجة الفقراء عن الأمراض الباطنية أو الخارجية مجانا»!

جاءت اعلانات المحامين (الأفوكاتية) بعد اعلانات الأطباء، وكان هناك من الأسباب ما يدعو إلى نشأة هذه المهنة في الاسكندرية، وفي عام صدور الأهرام بالذات.

ففى ذلك العام، وفى أول يناير ١٨٧٦ على وجه التحديد، افتتح رياض باشا ناظر الحقانية (العدل) أول محكمة مختلطة تنشأ بمصر فى «سراى الحقانية» بالاسكندرية، وهي المحكمة التي بدأت تعقد جلساتها بدما من الشهر التالى.

ويرتبط ظهور مهنة الأفوكاتية بانشاء هذه المحاكم، فبعد أن كان من يقوم مقام المتخاصمين أمام المحاكم من قبل يوصفون «بالوكلاء» الذين لم يكن يشترط فيهم شروط خاصة فان لائحة المحاكم الجديدة اشترطت شروطا محددة على المترافعين أمامها أهمها «أن يكون حائزا الشهادة الدالة على كونه أفوكاتيا»!

وكان من الطبيعى نتيجة لارتباط نشأة المهنة الجديدة بالمحاكم المختلطة أن يكون أول من يمتهنونها من الأجانب مما يشى به أول اعلان صدر في الأهرام، وهو الاعلان الذي صدر في أول أعداد الصحيفة وجاء فيه:

« انه قد فتح محل جديد في ثغر الاسكندرية باسم دوفنسيكة بيمونتيل الأبوكاتو وهو مستعد لأن يحامي عن كل الدعاوى التي يوكل بها سواء كانت في المجالس العربية أو الافرنجية فمن يرغب توكيله في دعواه فليشرف محله الكائن أمام البوستة الإيتاليانية غرة ٢٢ في وكالة أحمد باشا.أما الدعاوى التي للفقراء فيقبل المحاماة عنها مجانا»!

ويلاحظ، بالنسبة للأفوكاتية أيضا، أنهم في سعيهم لاجتذاب الزبائن لهذه المهنة الجديدة، فانهم لا يرون ما يمنع من الاستعداد بقبول بعض القضايا دون مقابل.

ارتبط بهذه المهنة مهنة أخرى هي مهنة المترجمين الذين يقومون بترجمة «الأوراق الشرعية»، وهي مهنة احتلت الاعلانات عنها مكانا كبيرا في الاهرام حتى أن اعلانا منها ظل يصدر في الأهرام خلال العام الأول بشكل منتظم..

الاعلان عن مكتب «للترجمة من اللغات الفرنساوية والايتاليانية والانكليزية إلى العربية ومن هذه إلى الفرنساوية».

ويبدى صاحبا المكتب استعدادهما «لخدمة الأشخاص الذين لهم أو عليهم دعاوى وليس عندهم وقت كاف لمعاطاتها سواء كانوا في هذه المدينة أو في الأرياف والخارج وجمعية بالأجرة الخفيفة»!

وتدل اسماء هذين، ابراهيم عرب وحنين خوري، انهما من الشوام ايضا.

الترويج للسلع الأوروبية كان المجال الآخر من مجالات «اعلانات أول زمن» في الأهرام، وبالطبع لم يكن مقصودا الترويج لتلك السلع بين الأوروبيين القاطنين في الاسكندرية فان هؤلاء لم يكونوا يقرأون الصحف العربية، كان المقصود بالأساس المصريين أو العرب خاصة أبناء الشام..

بعض هذه السلع كان غذائيا، والتي احيطت بهالة من الدعاية كانت رغم مبالغاتها مقبولة بمنطق العصر، ونختار من تلك الاعلانات اعلانين..

الاعلان الأول عن مياه غازية عادية ولكنه يقول: «ليموناد كازوز طبيعى من سان ألبان ـ ان هذا النوع من المشروبات أمس الآن موضوعا لتوصية الأطباء ضد أمراض البلاد الحارة ويحفظ فى زجاجات وكثيرون ممن جربوه عرفوا منافعه ويباع فى الاسكندرية عند الخواجات..».

الاعلان الثاني عن مياه معدنية عادية أيضا ولكنه يقول: «ان مرض الأنيميا أى فقر الدم والكلوروز أي المرض الأخضر والكاستراليجيا أى أمراض المعدة. وكل الأمراض الناشئة عن ضغط الدم تزال بالماء المسمى باردين وهو ممدوح من الحكماء لاسيما موافقته للبلاد الحارة ويباع بالاسكندرية في شارع شريف عند الخواجات..»

ويمكن رصد اكثر من ملاحظة على هذه النوعية من اعلانات أول زمن..

أولا: أن الهدف من وراثها كان تغيير غط استهلاكي، من مشروبات اعتاد المصريون عليها، مثل الخروب والعرقسوس والكركديه وغيرها، إلى المشروبات الجديدة التي تجيء في زجاجاتها المقفلة من أوروبا!

ثانيا: انه لما كان النوع المألوف من المشروبات يرتبط فى ذهن الناس بشفاء بعض الأمراض أو التخفيف منها حتى أن باتعيها كانوا يختمون نداءاتهم عنها بالكلمة المشهورة «شفاء يا..» فان المعلنين الجدد لم يروا مانعا من المزايدة على المشروبات القديمة حتى أن الاعلان عن مياه «باردين» المعدنية أوحى وكأنها تشفى كل الأمراض!

ثالثا: أن الوكلاء الذين أخذوا في الترويج لهذه السلع الجديدة كانوا في الأساس أجانب، خاصة من اليونانيين، الذين تفوقوا على غيرهم بتواجد قوى وقديم في سائر انحاء مصر، وبشهرة في تسويق المنتجات الغذائية الأوروبية!.

غير أنه يلفت النظر فى اعلانات أول زمن تلك المساحة التى احتلها نوع من الاعلانات يمكن توصيفها بالاعلانات الثقافية فأول اعلان عن مدرسة بنات صدر فى الأهرام وأول اعلان عن مكتبة عامة صدر فى الأهرام أيضا، ولكل منهما قصة..

معلوم أن أول مدرسة لتعليم البنات في مصر أنشأتها في القاهرة زوجة الخديو اسماعيل عام ١٨٧٣ هي مدرسة السيوفية..

الاعلان الذي نشره الأهرام يوم ٢ مارس عام ١٨٧٧ يكشف عن أمور كثيرة..

فهو يكشف عن انشاء «مدرسة وطنية بالأسكندرية لأجل تعليم البنات» قبل عام، أى بعد أقل من ثلاث سنوات من انشاء السيوفية، إلا أن هذه كانت مدرسة أهلية في هذه المرة وقام على انشائها سيدة شامية أيضا كما يشير اسمها.. كريستين قرداحي!

يكشف أيضا عن أن الهدف من المدرسة تعليم اللغات: «العربية والفرنسية والايتالية والانكليزية وسواها.. ثم علم البيانو يوميا وكذلك الأشغال اليدوية الدقيقة كالخياطة والتفصيل وتطريز القصب وتطريز الحرير من جميع الأجناس وشغل الصوف والزهور والركامو والبرانيط»!

ونرى أن السيدة قرداحى قد حذت فى مدرستها حذو مدرسة السيوفية التى كان يقوم التعليم فيها على اعداد ربة البيت المتكاملة التى تنتمى إلى القطاع العلوى من الطبقة الوسطى، وليس الطبقة الارستقراطية التى كانت توفر لبناتها كل هذه المهارات من خلال مدرسين خصوصيين.

تكشف أخيرا عن تعدد اقسام المدرسة، فهناك القسم الداخلي، وهناك القسم الخارجي «مع الأكل مع الظهر» ثم القسم الخارجي «بدون أكل»!

هذا عن الاعلان الأول، أما الاعلان الثاني فقد كان غريبا بحق.. اعلان عن أول «دار كتب» خاصة.

ففى عام ١٨٧٠ نجح على مبارك فى تأسيس «كتبخانة خديوية» ضاهى بها «كتبخانة باريس» على حد تعبيره، ولكنها نشأت فى القاهرة. أما في الاسكندرية فلم تنشأ مكتبة عامة، هي مكتبة البلدية، إلا بعد أكثر من عشرين سنة.. في عام ١٨٩٢ على وجه التحديد..

في تلك الفترة أقدم البعض على انشاء كتبخانة خصوصية وأعلنوا عنها في الأهرام..

جاء فى هذا الاعلان الصادر فى العدد الثالث من الأهرام: «اننا بحوله تعالى قد فتحنا فى هذه المدينة مكتبا عموميا لأجل مطالعة الكتب الأدبية بجميع أنواعها وجميع الجرائد العربية والتركية والافرنجية.. وتسهيلا للجميع جعلنا قيمة الاشتراك ٣ فرنكات كل شهر تدفع عند ابتداء تاريخ الدخول»!.

وكان اصحاب هذا المشروع مهما ذاتهما مصاحبي مشروع مكتب الترجمة وصاحبي مكتبة ودار للنشر، ابراهيم عرب وحنين خوري، الأمر الذي دعاهما إلى السير قدما في مشروعهما الغريب!

بقى من المجالات المتعددة التي تناولتها «اعلانات أول زمن» ما يمكن ادراجه تحت توصيف «الاعلانات الفنية».

وعندما نتحدث عن الفن فنحن نقصد «المسرح» الذى كان لاسماعيل فضل تقديمه للمصريين عندما قام ببناء دار الأوبرا عناسبة الاحتفالات بافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩، أى قبل صدور الأهرام بسبع سنوات فحسب.

خلال تلك السنوات أقدم الأجانب في الاسكندرية على انشاء مسارح خاصة، زيزينيا وألفيري، وهي وان تميزت عن الأوبرا ـ بكونها مسارح خاصة إلا أنها استمرت تقدم عروضا أجنبية في الأساس مما جعلها وقفا على الأوربيين وقلة من المصريين.

ماحدث عام صدور، ١٨٧٦، أن جاءت إلى مصر أول فرقة تمثيل (تشخيص) عربية، وكانت فرقة شامية، هى فرقة سليم نقاش، وقد نزلت أولا بالاسكندرية وكان من الطبيعى أن تعلن الأهرام عن وصولها كذا عن نشاطاتها..

أول اعلان جاء في عدد الأهرام الصادر في ١٢ ديسمبر عام ١٨٧٦ يبشر أهل الاسكندرية بوصول «ذاك الفتى اللبيب والحاذق الأديب سليم أفندى نقاش الذى تلقى فن تشخيص الروايات عن عمه المرحوم الخواجا مارون نقاش الشهير المبدع لهذا العلم في الأقطار السورية.. أما المحل الذي سيجرى فيه التشخيص فتباترو زيزينيا »!

تتابعت الاعلانات بعد ذلك فمرة يمثل «المشخصون» رواية «هرون الرشيد فأتت متقنة غاية الاتقان» وكان اسم الرواية بالكامل هرون الرشيد وأبوالحسن المغفل!، وأخرى يمثلون رواية مي، وغيرهما من الروايات.

وتشير هذه الاعلانات الى حقيقة وهي أن المسرح العربي قد ولد في الاسكندرية وعلى صفحات الأهرام.

ثم أن تلك الاعلانات قد أدت الى بلوغ خبر فرقة سليم نقاش الى القاهرة.. الى الخديو اسماعيل على وجه التحديد.

وقد بادر الخديو الى دعوة الفرقة لتشخيص بعض الروايات فى حضرته عما كان بمثابة ميلاد للمسرح العربى في العاصمة المصرية.

صحيح أن الخديو اسماعيل لم يحتمل لوقت طويل روايات سليم نقاش التي شعر انها تحمل في طياتها بعض الانتقادات لممارساته في الحكم، خاصة بعد أن قدم في حضرة الخديو رواية تحت اسم «الطاغية» الأمر الذي تصوره اسماعيل نوعا من التعريض بشخصه مما دفع به الي طرد الفرقة ليس من القاهرة والها من مصر قاطبة... كل هذا صحيح ولكن الصحيح أيضا أن معرفة الناس بالمسرح العربي، قد جاءت من خلال إعلانات أول زمن!

ولم يكن هذا هو الانجاز الأخير فى تلك الاعلانات، فقد كانت هناك اعلانات عديدة أخرى تشير فى مجموعها الى حقيقة الدور التجديدى الذى استمرت تلعبه صفحة اعلانات الأهرام فى أعوامها الأولى.. دور ادخال مصر الى العالم المعاصر بكل مفرداته.

\AW/1/1	m	ع القصل السابع:	۽ مراجبِ
1844/1/14	Ye.	برام:	اعداد الأه
1444/1/1-	YA	التساريخ	الميد
1447/474	٧.	1441/4/11	Y
WW/E/V	n	1441/4/15	r
W/1/1	14	1441/4/17	٧
WY/Y/\£	a.	344/4/11	٨
WW/V/T-	01	11/-1/1781	**
\$AVY/Y/YV	97	1471/1-/14	11
WW/IY/I1	VY	1441/11/1	18
\\\\/\T/TY	Yr	1847/11/11	10
\AYA/T/Y	AT	1871/11/18	11
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	A3	1441/14/1	11
/W/W/1/12	A	1447/14/11	٧.
1AVA/A/11	٧-٨	1447/4/14	71
1AYA/1/11	111		
, 911	* **		

الاهــــرام ۲ مارس ۱۸۷۸ المتى تسلم بالشراع عنى اعتماح ملموسة وطبية بالاسكاد بريد لابل قبلم الريان على قط اجل المدارس الهصماء إدالك وحد اصف به شهرت أعلامًا وعاولاً بو الرخميم كل بنا تصنعه المدرسة من المسلم والإنجاعة لل المصرورية علماء المسا تحديثه المارية على المعاطرين هذا المعروج ما الدول ويضا على المودد الموارسة فوام حمود المستدطة لمارية ويشائر عدد المثال للهارة. حصفا فالمنتى، ان حصفا عمل عط. الاول والدطارين هل اعرارسيه وان وحواجد بيوت المرسوم طوس اغا حيث كانت بيو قد يكافواد بلانو مروسيا و داد المام الموسن حملة فيها مرتبه توالى العالم المدر الدرم وليسط عن - 6 الصوب وبالكام طلب كليم وبن عبول اوادرم في و " - ابدادا مرمة ولم شكل مراه جاء حلوا الماص 15 م حه ۱۰ سه ۱۳۰۰ درمه وم شده ن مریه جامه شار ۱ ای صدی ۱۹۵م لرم این اسلام ۱۵ راسواخ اما مساومات رویالای ۱۹۵۵م مربموری مین آمول ا آما ۱ است میله واحقیه الله رسته عظر ا الی استعماد سیست است استاللداده این معلم مینا مین اشهرد: را در سده وایم بنا که وایم بحد را توالوما به وسولسا دولوس ۱۸ مد سات تهمه انسانو مومهٔ رنگ لات ایم شعال افدو به در در این سات من من من المنافع و المنافعة المنافعة و ياده و الماد و المادة و المادة و المادة و المادة و المادة و المادة و الم والمنطوعة المحر يومن حن الاسماس وشقط الدائر و المادة و محلفة وشعال الشوط موالرحود والرئام و والمعراء علو مداوس به المك مورياً و عسوساً المالهيمة الله لام به المسلمات ع الوالماليكا الويادات المبين خبركا فللائلة الداخلة أالمآكل بيع الطريق العارجية دواد آكل ٦. للبع فات الصغيرات دور اتل المام . اعلارت ميدس والإجرائدة سناكي نشد المهر اساللمت الاو ل اعارة والمائدة والاجرائدة المعرائدة المرائدة المائدة والمائدة والمدائدة والمدا الهلن اتني بعد أن صرقت مدة طويلة بنما لمة حكمة الاستأن عهرة اعل علاالديد الى علولسفر وصاعدا بالدرسار و بال في مدرة مران المهورة وتلما الهادة الديار، انها العلة باتقالي ذلك عمليد الله ولد و يعودون من الارتضاء من سيدل ما الم جعد ماي للهم السالمان من عمل ذاك قولا و ومانا وشمر المن واللهمة المحالب و ماعمود المحسول على المرعاند. وإنه الما في المساعدة المحسول على المرعاند. وإنه سن الانال مع كل ما يتعلق بد من الاصول والفروع عبات لحل المراق الاشكوري في اعتاما عد ١١٨ بما نساست و بمواء نبال فيمت أثم النجاح والان قد سفرت ألى مصر 14.1.45 کرستین تقریلس الحل فی سوار ارد لول المتعاارین النام اسم انداد: فاصالاننفل بالماكية في ما يكود من معلقات عدد الامراس كهف كان مرالاً بهؤته نهالي ان المال تن المجمو ربعه على ذاك افتيل كل من بريد تفريلي الم منزلي الكاتر لي (ارتبل) او دبك امام يت نوتوارس بقرب القبطية اللدية وإعد ايضًا لاجاءً من بطلبي الى متزله وكل ذلك بالاجرة المعادلة وفوق هذا لا اناخر عن اجاية من بعلمني الى الحارج سياء كان للزُّر بافسار الاسكندرية باجره منوازية نوانق الطرفين وقد عصصدوقنا يوماكمن الساعة ا الى و اذبية قبل العلم لما كمة العنراه عبامًا الرهيم صوصه - کم ۱۲ ــان م يسريا عدا ان نري إحدا- أنا اليربين صرف عدا من السنون في منرب نهرة علير مدرسة برلين وبال النهدة المديرة في ما طالعة لكن بسوريا حدًا اللاري لصانور وإجابدعوى أنها عربة مع الاهـــرام ۲۲ فبراير ۱۸۷۷ i: من بعط بهذا الفن ولا ميه آثار نذكر فلمامول من اهالي مصر الكرام ان بفل مو دريل من العانو ما عطيب

الفصل الثامن



- البداية من البوسنة والهرسك
- ■حیاد مصریتقرر منذوقت مبکر
- قناة السويس لا تدخل في ميادين المعامع

يموت البشر وتحيا الصحف (!)، هذه المقولة ثبتت صحتها خلال الحرب الروسية ـ التركية ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨، ليس بالنسبة للأهرام، حديث الصدور وقتئذ، فحسب، بل بالنسبة لأغلب الصحف الأهلية التي

صدرت في مصر خلال هذين العامين، مثل الوطن ومصر ومصر الفتاة والتجارة، حتى أن مؤرخي الصحافة يرون في تلك الحرب نقطة تحول في تاريخ الصحافة الأهلية في مصر التي تخلت عن «الاتجاه التقليدي في الاقتصار على تافه الاخبار» (١) على حد تعبير أحدهم.

بالنسبة للأهرام فقد ولد مع مقدمات تلك الحرب وعايش أحداثها وعاش فى خضمها ولم يكن ليستطيع أن يتجاهلها رغم انها من شئون «البولوتيقا» التى تعهد صاحبها أن يتجنبها فى طلبه لاصدار الجريدة!

المقدمات بدأت عام ١٨٧٥ من شبه جزيرة البلقان التى اكتسبت منذئذ سمعة سيئة في صناعة المتاعب الأوروبية حتى انه أطلق عليها فيما بعد «برميل البارود الأوروبي» كما أن التوصيف «بالبلقنة» أصبح حالة تعبر عن المنازعات العرقية والدينية في أية بقعة من العالم.

ولسنا من أنصار المقولة الخاطئة بأن «التاريخ يعيد نفسه» بيد أن البداية كانت من «البوسنة والهرسك» بلاد «رجال الجبال الأشداء» على حد تعبير الأهرام، الأمر الذي يتطلب وقفة.

فبين القرنين الرابع عشر والسابع عشر، وفى ظل الحكم العثمانى الذى كان قد عم شبه الجزيرة، انتشر الاسلام بين الارستقراطية الحاكمة فى البوسنة والهرسك فضلا عن مجموعات من فلاحيها، وكان لدى الأوائل حساسية شديدة حيال أى تدخل خارجى حتى من حكومة الاستانة، مما تبدى فى مجموعة انتفاضات قادها ملاك الأراضى خلال عشرينات وثلاثينات القرن التاسع عشر، الامر الذى دفع الباب العالى الى ارسال جيش لاعادة سلطة الدولة على تلك البلاد عام ١٨٥٠، فى عملية كانت أشبه باعادة الفتح.

رغم ذلك لم تتوقف ثورات أبناء البوسنة والهرسك خلال الستينات والسبعينات من نفس القرن، وإن كان قد قام بها تلك المرة الفلاحون، كان آخرها ثورة ١٨٧٥ والتى قادت في النهاية الى حرب روسية ـ عثمانية جديدة، ولم يكن قد انقضى على الحرب السابقة بين الجانبين والمعروفة بحرب القرم أكثر من عشرين عاماً.

وعملية تحول ثورة البوسنة والهرسك الى حرب عثمانية - صربية، ثم تحول تلك الأخيرة الى حرب عثمانية - روسية عاشها «الاهرام» وسجلها وكان تسجيلا مثيرا (١)

كان تسجيلا مثيرا بحكم الموقع الذى اختار منه الأهرام أن يتابع الحرب، وكان موقعا مصريا، ، حتى انه قدم صورة كاملة للموقف المصرى من الحرب يندر ان نجدها فى سواه.

وكان تسجيلا مثيرا من خلال الرؤية المعاصرة التى قدمها «الأهرام» وهى رؤية تضيف حتى للمتخصصين فى وقتنا الحالى أبعادا لاتخطر على بالهم دون قراءة الأهرام.. أهرام ما قبل ١١٨ سنة!

دون الدخول فى تفاصيل تاريخية معقدة فان ما عرف «بالمسألة الشرقية» قد اكتسب بعدا خاصا منذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر حين بدأت روسيا، أو دولة «الموسكوب» بتعبيرات العصر، تخطط للسيطرة على مضيقى البوسفور والدردنيل، الأمر الذى يتيح لها الخروج من معتقل البحر الأسود الى البحار الدفيئة المفتوحة، ولم يكن هذا ليتم دون الاستيلاء على القسطنطينية (الاستانة) حاضرة الدولة العثمانية.

في سبيل ذلك اشتبك الطرفان في حروب عديدة لم تكن مصر بعيدة عن أي منها..

فى حرب ١٧٦٨ . ١٧٧٤ والتى تزامنت مع حركة على بك الكبير الانفصالية فى مصر جرت اتصالات بين الامير المملوكى الطامح للاستقلال بمصر وبين الكونت اورلوف قائد الاسطول الروسي فى البحر المتوسط للحصول على المعونة الروسية لمشروعنه الاستقلالي، وقد حصل عليها!

خلال الحروب المصرية . العثمانية المعروفة بحروب الشام التى جرت ابان ثلاثينات القرن التاسع عشر وبعد أن زحفت جيوش القاهرة حتى شارفت المضايق لم تجد روسيا مناصا من التدخل من خلال معاهدة «هنكار اسكله سى» التي عقدتها مع الدولة العثمانية (١٨٣٣) وتعهدت فيها بحماية المضايق من المصريين! وكانت نقطة تحول في مشروع محمد على بالاتجاه نحو الشرق.

وفى الحرب المعروفة بحرب القرم (١٨٥٣ ـ ١٨٥٦) أرسلت مصر قواتها لمساندة قوات الدولة، وكانت آخر الحروب قبل حرب الفيل والحوت!

بيد أنه خلال العقدين الممتدين بين نهاية حرب القرم (١٨٥٦) وقيام الحرب الروسية - التركية (١٨٧٧)، والتي نتابعها في هذا المقال، كانت مصر قد عرفت متغيرات كثيرة جعلت موقفها من تلك الحرب متعدد الجوانب.

متغير أول ناتج عن سياسات الخديو اسماعيل الذي تعامل مع متاعب الدولة العثمانية بشكل مختلف عن سلفه سعيد باشا..

فبينما أرسل عباس القوات المصرية لمعاونة جيوش الدولة في حرب القرم انطلاقا من السعى لمنع حكومة استنبول من التعدي على الوضع الخاص لمصر الذي كفلته تسوية ١٨٤٠ - ١٨٤١ اذا ما قصر في التزاماته حيالها فان اسماعيل أرسل قواته سعيا وراء مزيد من أسباب الاستقلال عن الدولة، وهي لعبة استمر هذا الحاكم عارسها بامتداد

عهده، وحصل من ورائها على مزايا عدة لمصر لم يسبقه اليها سوى جده محمد على باشا.

متغير ثانى اتصل بالأزمة المالية الخانقة التى كانت تعانى منها مصر وقت قيام الحرب. ولم يكن اسماعيل قادرا هذه المرة على تدبير الاموال اللازمة للحرب بمفرده، كما كان الحال بالنسبة للحروب السابقة، وكان عليه أن يحصل على موافقة مجلس النواب المصرى، الأمر الذي جعله طرفا فيها!

المتغير الثالث صنعه تنامى التدخل الدولى فى مصر مع تفاقم الأزمة المالية خلال النصف الثانى من السبعينات وهو تدخل أضفى على الموقف المصرى من الحرب بعدا كان قائما خلال حرب القرم، ولكنه لم يكن بهذه الحدة.

آخر المتغيرات كان قد تم صنعه قبل قيام الحرب بثمانى سنوات فحسب.. افتتاح الممر المائى الدولى قناة السويس والذى كان يعرف وقتذاك «ببوغاز السويس» عام ١٨٦٩، وكان مطلوبا فى هذه الظروف تكييف الوضع الدولى للممر الشهير. الأمر الذى كان موضعا للبحث وأفرد له «الاهرام» عديدا من أعمدته.

بدت طبيعة المتغير (الأول) من محدودية حجم المساهمة العسكرية التى قدمتها مصر بالقياس للحروب السابقة، فبينما وصل عدد القوات المصرية التى أرسلها اسماعيل للمعاونة فى اخماد ثورة جزيرة كريت عام ١٨٦٦ الى ٢٣٥٧٩ رجلا، فان عدد أولئك الذين أرسلهم فى الحرب الأخيرة لم يصل الى نصف من أرسلهم الى كريت (١١٥٥٠) رغم أهميتها فى تقرير مصير الدولة. ولا تفسير لذلك سوى ان حاكم مصر كان يساوم فى الحرب الأولى على مزيد من الصلاحيات له وأسباب الاستقلال لمصر، بينما لم يكن لدى الدولة العلية ما يساوم عليه فى الحرب الثانية!

علل اسماعيل أسباب التقاعس هذه المرة بقوله: «ينبغى الاجابة لما اقتضته الأحوال في أداء ما يجب علينا من حق الحضرة الشاهانية مع مراعاة تعهداتنا المالية».

المتغير (الثانى) ظهر فى دعوة «مجلس شورى النواب» لجلسة فوق العادة حيث تليت عليه «مقالة مشمولة بختم الحضرة الخديوية» نشرها الأهرام فى ١١ مايو عام ١٨٧٧..

جاء فى هذه «المقالة» ـ الخطبة ـ بعد مقدمة عن ظروف نشوب الحرب بين «الدولة العلية» ودولة «الروسية» بأنه على مصر «أن ترسل عساكر أيضا كما أرسلت فيما سبق وأن تقدر كميتها» غير أن هذه الكمية من العساكر، على حد تعبير خطبة الخديو، لا يمكن تقديرها «بدون الوقوف أولا على معرفة كمية المبلغ الذى يمكن للاقليم أن يخصصه لهذا الأمر لأنه كما هو معلوم عندكم أن ميزانية المالية لاتسمح لنا بايفاء هذا الغرض».

تستطرد «المقالة» بعد ذلك في موقع آخر قائلة ان المطلوب هو: «التحرى في وجود طريقة في تدارك مبلغ مخصوص لهذا الامر المهم حيث أنه بتعيين ذلك المبلغ يمكن لناظر الجهادية (الحربية) معرفة حقيقة مقدار العساكر التي يرسلها الى ذلك الطرف ـ طرف الحرب ـ فهذا هو الغرض من عقد المجلس في هذه المرة»!

واجتمع مجلس شورى النواب بالفعل وقرر فرض ضريبة اضافية سميت «ضريبة الحرب» قدرها عشرة في المائة من مجموع ضرائب البلاد للانفاق على الحملة، الامر الذي شكل أول سابقة في تاريخ البرلمان المصرى.. سابقة موافقة هذا البرلمان على اشتراك مصر في حرب!

وتشير المصادر الى أن الضريبة المذكورة كانت فوق طاقة المصريين حتى أنها قد سببت «تذمرات ثورية» خاصة في الصعيد.

المتغير (الثالث) انعكس على موقف مصر في الحرب، وعما اذا كان ارسالها لبعض قواتها الى ميدان القتال يجعلها طرفا أصيلا في الحرب ما يعرضها للمخاطر.

وقد عنيت انجلترا وفرنسا على وجه الخصوص، باعتبارهما صاحبى النصيب الأوفى من المصالح في مصر، بتأمينها من تلك المخاطر، الأمر الذي بدا في موقفين سجلهما الأهرام..

الأول حين دعيا عملى الدول الكبرى في القاهرة، وتوصلوا الى قرار بأن أية مساعدة يقدمها الخديوى للسلطان ينبغى أن تكون في اطار الالتزامات التي تحكم العلاقة بين الخديوى والباب العالى «ليس إلا»!

والثانى فى الرسالتين اللتين تبادلتهما لندن مع الحكومة الروسية بشأن وضع مصر وقد نشرهما الاهرام فى ٦ يوليو عام ١٨٧٧..

نبهت الرسالة البريطانية امبراطور روسيا للمصالح التجارية والمالية لأوروبا في مصر «وبناء على ما ذكر يعتبر كل عمل ضد هذه البلاد غير موافق وجميع الدول المتحايدة تشمئز منه اذن تجب مراعاة مصر» بمعنى التعدى عليها!

وجاء الرد الروسى على رسالة وزير الخارجية البريطانى اللورد دربي، ولم ينف الروس فى ردهم أن مصر فى حالة حرب مع بلادهم «لانها قسم من المملكة العثمانية وجيوشها فى ميدان الحرب» لكنها رغم ذلك «لا تريد ان تدخلها فى اعمالها الحربية بالنظر الى صالح اوروبا فيها لاسيما صالح انكلترا».

(آخر) المتغيرات خاص ببوغاز (قناة) السويس التي كان مطلوبا عدم دخولها في «ميدان المعامع» على حد تعبير الأهرام.

ومنذ البداية رفضت حكومة استنبول فكرة حياد القناة على اعتبار ان ذلك سوف عكن من منع الروس من تحريك سفنهم عبرها، ويشير الأهرام في الأيام الأولى من

الحرب الى اتجاه النية الى إغلاق «بوغاز السويس» أمام السفن الروسية، ولكن لم يكن هذا موقف الدول الأوروبية خاصة بريطانيا، ونعود مرة اخرى للقراءة فى رسالة اللورد دربى الى الحكومة الروسية التى نشرها الأهرام، جاء فيها قوله:

«بوغاز السويس السبيل الموصل بين الشرق وأوروبا هو المركز الأول الذى ينبغى ان يكون حرا ومفتوحا للمسير». ويخرج من ذلك بالتحذير من حصاره أو اقتحامه «لان ذلك يس بالتجارة العالمية ويتهدد الهند » وتنتقل الرسالة البريطانية من التحذير الى الانذار بقولها انها «لا تؤمل ان احدا من المتحاربين يجرى ذلك لان اجراء يدعو الى الخلل فى حيادتها». حيادها!

وجاء الرد الروسى بالموافقة على التعهد: «إن الحكومة الامبراطورية لا تريد أن تحصر بوغاز السويس ولا تقطعه ولا تهدده كيف كان الأمر» ويسلم الروس بان قناة السويس مشروع دولى «يتعلق بصالح تجارة العالم فلا يدخل فى ميادين المعامع»!

ونرى ان الاتفاق على حياد قناة السويس خلال تلك الحرب كان مقدمة لعقد اتفاقية القسطنطينية عام ١٨٨٨ التي قننت هذا الحياد على نحو دولي؛

يأتى الجانب الثانى من التسجيل المثير من «الأهرام» للحرب الروسية - التركية من خلال الرؤية المعاصرة التي قدمها ، بكل مالها وماعليها..

لقد وقع الأهرام وسائر الصحف المصرية في خطأ ربما نقع فيه نحن العرب حتى يومنا هذا.. خطأ قياس أحداث جارية على أحداث ماضية وتوهم انها ينبغى ان تتكرر على هذا النحو بغض النظر عن المتغيرات، مما يشكل لدى العقل العربي تجاهلا لحركة التاريخ اكثر مما يشكل تعلما من دروسه!

تصور الأهرام ان ما حدث خلال حرب القرم من قيام بريطانيا وفرنسا بخوض الحرب ضد روسيا دفاعا عن الامبراطورية العثمانية يجب أن يتكرر مرة أخرى في الحرب الجديدة.

وقد امتلأت صفحات الأهرام خلال الأسابيع الأولى من الحرب بتوقعات عن قرب دخول «انكلترا» للحرب وتتبع لتحركات قطع أسطولها دون ان تتحقق تلك التوقعات او تتحول تحركات الأسطول الى انذار يوقف الأعمال الحربية الروسية.

لم يكن الأهرام ولا غيره من الصحف أو الدوائر السياسية حتى في استنبول قد أدركت بعض المتغيرات التي دخلت على السياسة التقليدية للحكومة البريطانية حيال المسألة الشرقية بالحفاظ على الامبراطورية العثمانية والعمل على منع الروس من اخروج الى البحار المفتوحة.

أدت هذه المتغيرات في جانب منها الى السعى للاشتراك في إرث املاك رجل أوروبا المريض بعد أن رأت حكومة لندن انه ليس ثمة أمل في الشفاء، ويعد ضغوط من الرأي العام البريطاني تتبعها «الأهرام». وكان كل مايهمها في هذا الشأن تدعيم وجودها في شرق البحر المتوسط.

وأدت في جانب آخر الى السعى لضبط التوسع الروسى على حساب الدولة العثمانية بشكل لا يؤثر في المصالح البريطانية من جانب آخر، مما استمر يشكل ركنا اساسيا في سياسات بريطانيا القارية طوال تاريخها.

مصالح بريطانيا حددتها رسالة اللورد دربى الى امبراطور روسيا والتى نشرها الأهرام ففضلا عن عدم التعدى على مصر وحياد قناة السويس طالبت حكومة لندن بعدم الساس بوضع الاستانة لانها غير مستعدة للاغضاء عن عمل يؤدى الى تغيير الدولة لعاصمة «ذات أهمية عظيمة». وعدم المساس «بالقوائين والحدود المرتبة والمثبتة من أوروبا بشأن البسفور والدردنيل»، ويقصد من ذلك ماتقرر بشأن المضيقين الشهيرين في معاهدة باريس التى أنهت حرب القرم عام ١٨٥٦، والتى حرمت المرور الحربي عبرهما، أخيرا اهتمت لندن «بخليج العجم» (العربي) الذي كانت تخشى طوال الوقت خروج روسيا اليه، فقد رأت حكومة لندن انه «من باب الحربة واللزوم ان خليج (العجم يجب ان يحترم»!

وفى سبيل شراء حياد انجلترا وافق وزير الخارجية الروسي، الكونت كورتشاكوف، على سائر المطالب البريطانية، الأمر الذي جعل الأهرام يعيد النظر في موقفه.

ولم تجد صحيفتنا العتيدة مناصا فى النهاية من اعتناق النظرية التى نسبت الى المستشار الألمانى الأشهر البرنس بسمارك، فى الحرب القائمة، وهى النظرية القائلة بأنها «حرب الفيل والحوت» كناية عن روسيا وبريطانيا.

نشر الأهرام فحوى هذه النظرية في مقالين طويلين، الأول صدر في ابريل عام ١٨٧٨ تحت عنوان «الحرب بين الفيل والسمكة» والثاني في اكتوبر من نفس العام تحت عنوان «الفيل والحوت»!

تقول هذه النظرية باستحالة اشتراك بريطانيا الى جانب تركيا فى الحرب ضد روسيا، وكان لهذه النظرية مبرراتها التى شرحها «الأهرام» بالتفصيل..

يقوم أول هذه المبررات على انه ليس فى وسع الانجليز «ان يجيشوا الجيوش ويضموها ويحشدوها، ثم يزحفوا بها هاجمين على البلاد الروسية ذات العسكر الجرار والبرارى الشاسعة والمعاقل المنيعة والأمة المجتمعة الكلمة». وانه ليس أمام الانجليز سوى «التضييق على الثغور الروسية فتجبرها على أخذ احتياطات وحشد عساكر وإقرارها فى محال عديدة بعيدة محتدة من شمال اوروبا الى جنوبها فينشأ عن ذلك خلل فى تلك البلاد وتتعطل سبل التجارة».

هذا عما يمكن ان يفعله الحرت بالفيل اما مايمكن ان يفعله الثانى بالأول فتقول النظرية - التي نقلها الأهرام - ان ترسل «روسيا عساكرها الى جهة الهند الانكليزية

ليغروا الأقوام هناك على اثارة الثورات العامة فى داخلية البلاد، وان ممثل هذا النهج سيؤدى الى ايقاع الضرر ببريطانيا لان الثورة سوف تنتشر بين الهنود «ولو نالهم الموت والفنا فتتشوش افكار انكلترا وتندم»!

يذهب «الأهرام» بعد عرض القضية على هذا النحو الى انه ليس ثمة ميدان مشترك ليتقاتل فيه الفيل مع الحوت، فهذا يعيش بالغابات وذاك يسبح في المحيطات، ويخرج عن ذلك ينتبجة قال فيها بالحرف الواحد:

«والخلاصة ان المسألة مشكلة والراجع انها ليست حرب فهى لا توافق مصالح انكلترا ولا تناسب الروسية وآمالنا ان الحوادث لا تكذبنا »!!

وبالفعل لم تكذب الحوادث تنبؤات الأهرام فقد ثبتت صحة نظرية بسمارك التى أخذ بها ، كما ناسب تشبيه الدولتين الأوروبيتين فى هذه الحرب على الأقل اكثر مما كان يناسبها التشبيه الذى ساد بعد ذلك بالدب والأسد، فلم تكن روسيا فى حربها مع تركيا «دبا»، ولم تكن بريطانيا فى موقفها من تلك الحرب «أسدا»!

- مراجع الفصل الثامن
 - اعداد الاهرام:

رقم العدد التاريخ الارم/۱۸۷۷ (۱ / ۱۸۷۷/۸

د. احمد عبدالرحيم مصطفى:
 علاقات مصر بتركيا فى عهد الخدير اسماعيل القاهرة ١٩٦٧

• اسماعیل سرهنك:

حقائق الأخبار عن دول البحار القاهرة ١٨٩٤ ■ عبد الرحمن إلى إفعيز عصر إسماعيل (حزءان) القاهرة ١٩٤٨

● عبد الرحمن الرافعي: عصر اسماعيل (جزءان) ● محمد رفعت رمضان: على بك الكبير القامرة ١٩٥٠

The Encyclopedia Americana - International Edition Vol 4



الفصل التاسع

المسالق الأثنات



- مولد البلاط الملكي.. في سراى عابدين
 - الحاشية الأيطالية لماذا؟!
- البروتوكول والاتيكيت في سرايا الأعيان
- موكب زفاف عصمتلوا جميلة هانمأفندى..

يمر في منطقة وسط القاهرة!

و اقلى المستوات المريين خلال السنوات الأولى من عمر الأهرام، سنوات المستوات الأولى من عمر الأهرام، سنوات المستواخر عصر اسماعيل وبدايات عهد خلف، ولم تكن صحيفتنا بعيدة عن مراقبة هذا الوافد ورصد تحركاته.

الميدان الذى ولجه الوافد من الحياة المصرية كان ميدانا اجتماعيا بالأساس، وهو ميدان الاحتفالات، والجماعة التي أخذت به كانت أبناء الصفوة، والمكان كان «سرايات» هؤلاء ودور المسارح التي أخذت وقتئذ في الانبئات في مصر المحروسة وفي الاسكندرية، أما التوقيت فقد كان في الليالي التي أسماها الأهرام «ليالي الأنس»!

ليس معنى ذلك أن المصريين لم يعرفوا قبل تلك السنوات اقامة الاحتفالات الاجتماعية ولكنهم عرفوها بشكل خاص، شكل يعبر عن عصر لم يكن قد عرف كل تلك المتغيرات التى كانت قد عرفتها الأعوام الاولى من صدور الأهرام..

«ليالى الأنس» التى عاشها المصريون قبل الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانت شيئا مختلفا، فقد استمرت بالأساس تعبر عن روح النظام الاقطاعى الذى وان كان محمد على قد نجح فى ضربه ضربة قاصمة خلال العقد الثانى من القرن، الا أن جملة مفرداته الاجتماعية والقيمية كانت تتطلب وقتا حتى تختفي أو تضعف الى الحد الذى يسمح للأوضاع الجديدة أن تفرز مفردات وقيم جديدة، وهو ما استغرق أكثر من نصف قرن قليلا.

«الموالد» كانت تقدم مناسبة لعقد مجموعة متتالية من ليالى الأنس: مولد الحسين، مولد السيدة زينب، مولد الامام الشافعي، فضلا عن الموالد التي تعقد في عدد من المدن الاقليمية، للسيد البدوي في طنطا، ولسيدي ابراهيم الدسوقي في دسوق، وكان يقوم أساسا على احياء تلك الليالي طرق الدارويش، خاصة المفاربة الذين احتلوا مساحة واسعة في تلك الطرق.

«الحفلات العائلية» والتى كانت تقام لمناسبات خاصة.. زواج أو ميلاد أو ختان، وكان يقوم باحياء تلك الليالى «العوالم» الذين يقتصر وجودهم على الحريم، ولا يكون أمام الرجال فى هذه المناسبة سوى المشاركة بالتصنت!

«الاحتفالات الطائفية» فالمدينة المصرية فى ظل النظام الاقطاعى كانت تتشكل من جملة من الطرائف الخدمية والحرفية، وكان تدرج أبناء هذه الطوائف. الحلاقين والخياطين وغيرهم من الطوائف الخدمية والتجارين والحدادين وغيرهم من الطوائف الخدمية والتجارين والحدادين وغيرهم من الطوائف المرفية.. كان تدرج هؤلاء فى مدارج حرفهم يتم من خلال احتفالات خاصة يتم فيها تدشين الشباب فيما يسمى «بالشد»، وكانت تلك الاحتفالات تقدم بدورها نموذجا أخبرا من ليالى الأنس!

خلال نصف القرن أو يزيد السابق على صدور الأهرام كانت قد حدثت جملة من التطورات انعكست على مفهوم ليالى الأنس المصرية، وكانت في مجملها تطورات اجتماعية..

قدم نزول اسماعيل من ميدان القلعة الى ميدان عابدين أول تلك التطورات فهذا النزول كان بمثابة اعلان لمولد البلاط الملكى فى مصر، فيما سبقت الاشارة اليه فى فصل «جريدة التقاليد» وكان من بين تقاليد البلاط الجديد اقامة «ليلة أنس» بين الحين والآخر، وهى التى اكتسبت التسمية الأوربية.. «ليلة الباللو».

وكما أثرت النشأة الإيطالية للبلاط على تلك النشأة في سائر الممالك الأوربية فقد أثرت أيضا على نشأة البلاط المصرى.

فمعلوم أن البلاط بمفهومه الحديث قد نشأ فى ايطاليا خلال عصر النهضة، وقد ساعد عليه تبكير الحياة المدنية فى شبه الجزيرة الايطالية عنه فى بقية انحاء القارة، فبينما كان الأمراء الاقطاعيون فى تلك الأنحاء لازالوا قابعين فى قلاعهم الحصينة وسط فرسانهم وأقنانهم كان أمراء المدن الايطالية قد بنوا قصورهم الأنيقة داخل مدنهم التى كانت تعج بالتجار والصناع.

ولعل الاضافة الأساسية التى قدمتها أوربا لما بدأه الايطاليون قد جاءت من البلاط الفرنسى، خاصة فى عهد الملك لويس الرابع عشر (١٦٦٠ ـ ١٧١٥)، وكانت بدورها اضافة لاتينية (!) غير انه فى صناعة البلاط المصرى جاء التأثير بالأساس من ايطاليا.

ويعزى هذا التأثير في تقديرنا الى جملة من الأسباب، ربما يكون القرب الجغرافى أحدها، ولكن الأهم منه أن ايطاليا لم يكن لها من الأطماع السياسية في مصر، حتى ذلك الوقت على الأقل، ما لدول أخرى مثل انجلترا وفرنسا، الأمر الذى لم يكن معه هناك ثمة خوف من تواجد ايطالي في عابدين. من ناحية أخرى فقد كانت الجالية الايطالية في مصر كبرى الجاليات الأوربية بعد الجالية اليونانية، ومع الوضع في الاعتبار أن أبناء تلك الجالية الأخيرة كانوا أقرب الى الشرق منهم الى الغرب فيبقى التأثير الأوربي للايطاليين على الحياة المصرية أكبر من تأثير غيرهم.

وقد استمر هذا التأثير باديا في عابدين لسنوات طويلة، ليس فقط في أفراد الحاشية الذين كان أغلبهم من الايطاليين، واغا حتى في الاختيارات الأخيرة لسادة عابدين، فعند خلع اسماعيل عام ١٨٧٩ استقل يخته متجها الى نابولى، وهو نفس ما فعله حفيده فاروق الأول بعد ٧٣ عاما، ولم يكن لهذا الأخير من مطلب قبل الرحيل سوى أن يسمح له قادة النظام الجديد باصطحاب بعض أفراد حاشيته من الايطاليين!

وانعكس تأثر بلاط عابدين بالتقاليد الايطالية فى أنه عندما كانت تصدر دوائره بيانا باحتفالاتها فقد كانت تصفها بليلة «الباللو» فى عابدين، وأصل الكلمة ايطالى ويعنى الحفل الراقص، وان كانت قد انتقلت الى الدارجة المصرية وأصبحت تعنى الضجيج، بحكم ما اقترنت به تلك الاحتفالات من صخب.

وقدم الوفود الأوربي الواسع الى البلاد خلال تلك الحقبة عنصرا ثانيا من عناصر التغيير في طبيعة ليالى الأنس المصرية، ومرة أخرى يبرز الايطاليون باعتبارهم أكثر جاليات اقامة «للباللو» سواء بسبب كثرة عددهم أو بسبب الميل الطبيعي للشعوب اللاتننية للاحتفال.

ولم تكن تمر مناسبة دون اقامة هذه الاحتفالات يقول الأهرام عن أحدها «عزمت التبعة ـ التابعون ـ الايطالية أن تقيم مساء ١٤ الجارى ـ مارس ١٨٨٣ ـ ليلة راقصة في تياترو زيزينيا احتفالا بعيد مولد جلالة الملك هومبرت الأول...».

وقد استتبع ذلك أن عرفت المدن الكبيرة، خاصة تلك التي قطنتها جاليات أوربية كبيرة ليالي الباللو أكثر من المدن الاقليمية التي لم يقطنها الأوربيون بهذه الكثرة.

وبعقد مقارنة مثلا بين الاسماعيلية وبورسعيد اللتين اكتظتا بالأوربيين العاملين في شركة قناة السويس وبين مدينة مثل طنطا لم تعرف الوجود الأجنبي على هذا النحو، فعلى الرغم من أن الأخيرة كانت أكبر من اى من المدينتين الأوليين فانها لم تعرف ليالى باللو على النحو الذى عرفتاه ولمناسبات متعددة، حتى انه عندما أطلق اسم دليسبس على أحد ميادين بورسعيد أقامت الشركة «باللو» على حد تعبير الوثائق المصرية شارك فيه كل الأجانب بالمدينة.

ولفترة استمر المصريون يتفرجون على احتفالات الأجانب ويستهجنونها في أغلب الأحوال، بل وربما كانوا يرون فيها شكلا من اشكال الانحلال الذي ينبغى أن ينأوا بأنفسهم عنه، ولكن لم يمض وقت طويل حتى أخذت فئة منهم تنخرط في احتفالات الأوربيين وتقيم «الباللو» الخاص بها.

قثلت هذه الفئة فى الارستقراطية الجديدة فى مصر.. ارستقراطية الدولة الحديثة، وبالذات فئات بعينها من هذه الارستقراطية المنحدرين فى الغالب من أصول غير مصرية.

تسجل الأهرام في هذا الشأن ما جرى في ليلتين من ليالي الباللو أقام إحداهما شريف باشا وأقام الثانية نوبار باشا.

يقدم الأول ـ شريف ـ غوذجا لتلك الشريحة من شرائح الارستقراطية المصرية المنحدرة من أصول تركية والتي استمرت تشارك بقدر أوفى في حكم مصر، ربحا حتى قيام ثورة ١٩١٥.

ويختلف الحكام المنحدرون عن أصول تركية في القرن التاسع عشر عن أولئك الذين حكموها خلال القرون الثلاثة السابقة فهؤلاء قد استقروا في مصر، وشكلوا أغلب أعضاء البعثات التي ذهبت الى أوربا في عصر كل من محمد على واسماعيل، واختلطوا بالأوربيين العاملين في الادارة المصرية، ومن ثم تأثروا بهم اشد التأثر وحاكوهم في كثير من جوانب حياتهم بما فيها اقامة «الباللو»!

ويجسد شريف باشا كل ذلك فهو قد ذهب في بعثة الى باريس حيث بقى بها ست سنوات انكب خلالها على دراسته العسكرية يقول جرجى زيدان انه نال خلالها «رتبة يوزباشي أركان حرب في الجيش الفرنساوى والحق بالجيش المصرى ولقب من ذلك الحين بالفرنساوى ومازال معروفا بين عامة المصريين بشريف باشا الفرنساوى الى هذه الخابة».

ويستطرد صاحب «تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر «قائلا عن شريف في موقع آخر: » وكان أعظم قواد الجنود المصرية إذ ذاك سليمان باشا الفرنساوى فلما رجع صاحب الترجمة من فرنسا ألحق بأركان حرب سليمان باشا وتقرب منه حتى تمكنت علائق المودة بينهما »، وما لم يشر اليه جرجى زيدان انه قد صاهر هذا الأخير!

ولم يكن غريبا مع كل تلك الروابط ان يقيم شريف باشا بين الحين والآخر ليلة باللو وصفت الأهرام إحداها بقولها: «أدب دولتلو شريف باشا في منزله العامر مأدبة متقنة دعا اليها سعادة اللورد دفرين وجناب السير مالت والنظار الكرام وبعض الأعيان فكانت مأدبة فاخرة جمعت دواعى المسرة والبهجة.. وقد تبعها ليلة ساهرة انقضت عواضبع الانس والرقة»!

الثانى، نوبار باشا، يقدم نموذجا آخر، النموذج الأرمنى الذى اكتسب وضعيته فى ادارة الدولة الحديثة فى مصر من قدرته على التعامل مع «بحر برا»، وهو التوصيف الذى كان يطلق وقتئذ على أوربا، ولم يكن بالامكان أن تقتصر تلك القدرة على شئون الادارة والسياسية، فقد امتدت بعد قليل الى التقاليد الاجتماعية، وكانت ليالى الباللو الأوروبية بعض ما تم الأخذ به فى ذلك الجانب.

يبقى اخيرا ما شهده عصر اسماعيل من عمليات بناء واسعة من ابناء الطبقة الارستقراطية لعدد من «السرايات الفخيمة» أو «المنازل العامرة» بلغة العصر والتى كان يراعى فى انشائها احتواؤها على الأبهاء الواسعة والحدائق الفسيحة لزوم اقامة ليالى الأنس!

فضلا عن ذلك فقد عرف نفس العصر اقامة عدد وافر من دور المسارح او التياترات (جمع تياترو) بلغة العصر. وإذا كانت دار الأوبرا او «الأوبيرة» كما كان يكتبها الأهرام.. إذا كانت قمل التياترو الأول الذي اقامته الحكومة فان المدن التي شكل الاجانب فيها قوة اجتماعية كبيرة قد عرفت التباترات التي أقامها هؤلاء. وقد اشتهرت الاسكندرية منذ وقت مبكر بقيام تلك المسارح، واشهرها «تياترو زيزينيا»

«تياترو الفيرى».

وقد وفرت تلك البنايات في مجملها الأماكن المناسبة لإقامة ليالي الأنس المصرية!

من بين عديد من ليالى الباللو التى تابعتها «الأهرام» نختار غوذجين بكل ما يعبران عن طبيعة الحراك الذى أخذ يسك بتلابيب المجتمع المصرى خلال السنوات الأولى من عمر صحيفتنا العتيدة..

النموذج الأول يتمثل في تلك الليالي التي كانت تنعقد بمناسبات سعيدة لبعض أعضاء الأسرة الخديوية و لبعض ابناء الارستقراطية التركية التي أخذت في التشبه بالأوروبين...

وقد رصدت الأهرام فى مطلع عام ١٨٨١ مناسبتين من هذا النوع.. حفل زفاف أخت الخديوى «دولتلو عصمتلو جميلة هانم افندى» (!) على حد تعبير الاعلان الصادر عن «التشريفات الخديوية».

ويقدم وصف موكب الزفاف لد «جميلة هانم افندى» صورة ممتعة لوسط القاهرة في الرابع الأخير من القرن التاسع عشر في المنطقة بين سراى الاسماعيلية من حيث بدأ الموكب الى سراى الجزيرة حيث انتهى.. الضبطية القديمة، العتبة الخضراء، البوستة الخديوية، لوكاندة كلوب، لوكاندة روايال، فسقية قنطرة الدكة، لوكاندة شبت (شبرد)، قونسلاتو (قنصلية) دولة الانكليز، شارع كوبرى قصر النيل، الى ان يعبر الكوبرى ويصل الى سراى الجزيرة.

كما تقدم ليلة الباللو التى انعقدت بعد موكب مشابه لزفاف «حضرة سعادتلو داود باشا يكن «تجسيدا لما كانت تشاهده مثل تلك الليالى، وننقل فى هذه المناسبة ما جاء فى الأهرام الصادر يوم ٣ يناير عام ١٨٨١ بالنص.. قال:

«وفى المساء كانت سراى البرنس مزدانة بالأنوار تصدح فيها اصوات الأفراح والسرور والناس فى عرصاتها وجنائها يشنفون مسامعهم بأصوات المغنين والموايد مدودة لكل شارد ووارد يختلف اليهم بأنواع المأكل والحلوى ومازال الجمهور فى سرور وطرب الى ما بعد نصف الليل فانصرفوا شاكرين داعين لجناب الخديو بدوام العز»!

النموذج الثانى يتجسد فى تلك الليالى التى كانت تنعقد فى سراى عابدين بين الحين والآخر، ويقدم لنا الأهرام الصادر فى ١٨ يناير عام ١٨٨٣ وصفا تفصيليا لاحدى تلك الليالى، ولنا عليه عديد من الملاحظات.

اولى تلك الملاحظات متصلة بالتقاليد الوليدة التي بدى، في ارسائها والتي استمرت بعد ذلك في استقبالات القصر المصرى، سواء كان خديويا أوسلطانيا أو ملكيا أو حتى جمهوريا!

من بين هذه التقاليد صدور بيان من «التشريفات» عن مناسبة الاحتفال وطبيعته.

من بينها ثانيا طريقة الاستقبال حيث كان يقف «رجال الكوميسيارية المؤلفون من خير القوم يتقدمهم رجال التشريفات لمقابلة الوفود فلا تلبث أن يأتوا الى نادى السراى حيث ترى المدعوين أفواجا »!

يأتى بعد ذلك نظام خاص لأسبقيات المدعوين. ، ففى الصدارة «حضرت الأمراء الفخام» أو البرنسيسات من أبناء الأسرة الخديوية يتلوهم «النظار الكرام» يتقدمهم رئيس النظار، وتسمية الناظر كانت تطلق وقتذاك على الوزير، ورئيس النظار كان فى ذلك الوقت شريف باشا، ويلى النظار القناصل العامون للدول، أو بلغة العصر «القناصل الجنرال» والذين كانوا يشكلون رجال السلك الديبلوماسى فى العاصمة المصرية، يتبعهم كبار رجال الادارة المصرية أو «الحكومة السنية» بلغة العصر أيضا، وكان يتم ترتيبهم بدورهم تبعا لمناصبهم: رؤساء الدوائر العالية فرؤساء الأقلام ويأتى أخبرا كبار التجار «الوطنيين والاوروبيين والاسرائيليين والسوريين وسواهم».

ويشير نفس الرصد لمراسل الأهرام الذى حضر هذا «الباللو» أن عدد الحضور ناف عن ثمانمائة مدعو، وهو رقم كبير بمقاييس العصر، مما يشير الى أن «التشريفات الخديوية» لم تهمل اية شخصية ذات قيمة في مصروقتئذ.

عدد مندوب الأهرام بعد ذلك قاعات السراى التى اقيم فيها «الباللو»: قاعة الرقص، قاعة اللعب، قاعة الشروب والمأكول، قاعة التدخين، هذا فضلا عن الفسحات والجوانب، ولم ينس الرجل ان يشير في هذه المناسبة الى «الأنوار الكهربائية البديعة» مما كان بمثابة الدخول المبكر للكهرباء في مصر، وكان من الطبيعي ان يبدأ هذا الدخول من قصور علية القوم على رأسها «سراى عابدين».

وكان أكثر ما استرعى نظر مندرب الأهرام وكان مدير تحريره، أى بشارة تقلا نفسه، ما جرى في القاعة الأولى.. قاعة الرقص، وننقل هنا نص كلماته عن ذلك الذي جرى.. قال:

«هنالك أخذت المخاصرة حقها الوافى ونالت القدود جمالها الكافى، وكان من ابدعهن مدام ب. ب ومدام ب وكريمة اللورد د. والكونتس د. والكونتس و. ومدام م. ومدام ن. وكريمها ومدام ف. ومدام ش. ومدام ن. وكريمها ومدام ف. ومدام ش.

ويمكن أن نستقرئ من هذا الجزء بسهولة حقيقتين: أولاهما: أن جميع الراقصين كانوا من الأجانب ويبدو أن المصريين كانوا يكتفون في هذه المناسبة بالفرجة، فقد كان من الأجانب عليهم في ذلك الوقت ان يقبلن مراقصة نسائهن، ناهيك عن أن يراقصهن الآخرون!

الحقيقة الثانية: أن رقص النساء حتى لو كن أجنبيات يندرج تحت العيب الى الحد ان مدير تحرير الأهرام اكتفى بالحروف الأولى من اسماء الراقصات حتى لو كانت كونتيسة

او ابنة لورد!

وبينما يقدم «باللو عابدين» النموذج المكبر لما كان يجرى في ليالى الأنس المصرية فان هذا النموذج قد أنجب نماذجا عديدة في قصور الأمراء والأعيان وكبار رجال الجاليات الأجنبية.

وليس من شك ان هذا التأثير الاجتماعى الأوربى قد تسلل الى حياة طبقات معينة من المصريين فى العصر ذلك ضمن تأثيرات عديدة.. بدءا من خلع الجلاليب وارتداء البدل ومرورا ببيع الارائك والطبالى واقتناء الصالونات والموائد، وانتهاء بالتخلى عن كثير من القيم القديمة ليحل محلها قيم اجتماعية جديدة.

وإذا كانت تلك التأثيرات قد بدأت أول ما بدأت في الطبقة العليا من المجتمع والفئات الأكثر اختلاطا بالأجانب الا انها مع مرور الوقت اخذت في الانتشار الى أبناء الطبقة الوسطى، وقد شجع على ذلك الانتقال نمو هذه الطبقة على نحو ملحوظ خلال ما تبقى من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن التالى، ورغبة ابنائها الجارفة في تقليد أبناء الطبقة العليا، حتى انه لم يمض وقت طويل إلا وكانت لهم «ليالى باللو» على غرار الليالى التي كان يقيمها الأولون!.

	■ مراجع الفصل التاسع
التاريخ	أعداد الأهرام
11/1/14	٨٤ *
1/1/1/1	٤٩
\XVV/V/Y.	0 \
1444/1/44	٥٢
14/1/14	VV
\AYA/Y/\a	۸۱
1444/4/4 .	۱.٧
1444/1./8	110
1444/1/48	171
1,041/0/1.	107
14/4/4/	104
144-/1/11	١٨٤
\XX-/Y/\X	1.44
\W\/\\\	1
\W\/\/V	17
1441/1/41	1.14
1241/1/44	1.77
1241/1/10	1.10
1241/11/14	1.77
\M\/{ <i>\</i> /	1.00
124/3/144	1.4.
1447/1/14	V30/
111/1/11	1007
1447/7/4	3.401
\XXY/Y/0	\0A0
1227/7/4	1019
122777	ToT!

بدش الاددة وطيرت عامدين حنة

اردات أسمات ذاك الدسر بالاجار المسابة الريات على شكل ديم وغام تربني الداس أمام المديل ووزام تربني الداس أمام الديل ووزنت رجل الكوسمارة الوادت نشر بندم مرجل الدربات اتاماء الوادد نظ عليت أن بانيل يك الى ماديم المدامي حدث ترب المدامي المدين الفرام المدين المدين المدامي المدامي المدامي المدامي المدامي المدين المدين المدين المدين المدين المدين المدين والدين المدين المدين والمدار المدامية المدين المدامية المدين المدامية المدين المدامية المدين المدامية المدين المدامية المدامية المدين المدامية المدا

وإن الدلم لا بفوى على وصف المشام الذي من ذاك المكن ولاسيا عظام فاعني الرفس السجيري حيث منات اغسان الدود بسم الدلال وحرث ديول المياويس مجاولت العب ولنرفت ، ور الوحر، في دياج الشمور وامنت قرائد الفدر سية غدون السكر وظهرت عنارب الامداغ نحس جنات المخدود وإدائدت سام الانجاء الى انتدة منارث : ما تا نقال المان الحال الله أكبر

ه الك اغذت الخاصرة حنها الرئة، ونالت الدود جالما الكاني وكان من النهين ولدديمن دام ب ومدام من وكريات السبر . ك والجنمال . ا وَكَرِينَة اللورد . د والكونس . د والكونس م و ردام . م ومدام . ن وكريها . ومدام . ف ومدام . ه ومدام . ف ومدام . ه وسواهن من ذلك الجنس اللطيف

اما فاعة المضروبات نقد جمت عبر ما بدر بأما عن لمائدة الطمام تحدث ولا حرج وند احد المدعوون اجوانا اجوانا بردون البا من صفح اللول وبتنافاون كووس الافراح والمعراث وبرددون جل الدهاء مجنط اميرنا المنظم و وبالاجال كانت السراي كلها على عابة الانتان والتظام والرئيس بما لمس للمثال ولا شيه أن فاعات الرئيس الدنات فاكمب والمكتوو والماكول والمدخوث والتحات بازينها أنوار المنتوو مذروة بالاراد الكورانية الدسة

اما سمو اكتدبو تكان ايدة الله محمة علك الذلبة كما انه هجمة كل الايام وكان تقعلة احترام المدعوبين وعاة مسروم وقد تنازل اوانستهم وكان بخائز من يجل الى آخر وينا ال الذكل برفنو وعمد السان الثابة بعد متدصف الثول نوجه بالاحماد ولافيال بعد ال برنست الاصوات عنظ ذاتو الكرية

اما هدد المدعوين فكان بها والمئات نعد مهم حضرات الامراه المحام محمود بالما ويتصور بالملحوة بان المدارة المحام بالما والمدمور بالملحوة بان المدروت م حام الموال والمرام المال المرام المال المرام المال المحام المواد رام المال المحام المواد حدوث ك توسطات الدور وجام توان الدورون المحام المال المدرود المداوة المدرود المدرود الدورود المحام الدورود المحام والمداور المدرود الدورود الدورود المحام والمداور المدرود المحام والمحام الدورود المحام والمحام والمحام الدورود المحام الدورود المحام الدورود المحام والمحام الدورود المحام الدورود المحام المحام والمحام المحام المحام

وروحاه التظام حنجرات

آگذیده فی الدائره و سفوی الدی دار دید. و با من اثامل الوالمین بطعیم میه و ساید الدالمد فر سرنجار المائدة کاربرمین المترافق برمید کرا ما کار برالمورجی برمراع

وقد الدير الحال الدائم بالدائد بالذات الذات معمد معمد التبل على تام المساورين المناف الدائم الدائم والمدائم المناف المنا

اً يُكُنِّعُ بِالنَّهِ عَلَى وَمَالَ اللَّهُ مَا يَهُ وَأَنِيعُ فَا اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهُ وَمِنْ الكرور كاللَّهُ عَلَى عَلَى مَوْ وَيَوْقُوا الكَّانِ مَا مَانِي مَانِونَ النَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَ لا وإلَّ كُوكُونَ عَلَى مَدْيَاكُ أَنْ مَالَّا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّه عَرْدُ الرَّانِةُ فِي سَامُ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ لَلْهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللّ

العاصية

ني ١٦ بلدير :گيريدة (ناخرت بالبوسعلة) باللو طبدين

في لمانه أمس كانت من الذالي ألتي بخل الدعر إنتاما المنات فيها سراي طابدين للماظرين برعاً نهوكا المهضاء بالطائع الذوذري . لمس في نقلت الأبلد التي مدت مدد الذالي نولت فيها الناس برم الدال دون الجديم ذنن رحد المباه وسرى المسام الروس.

ر قافد معمره سعه ۱۰۰۰ دارد بانیا یک

بِأَقَد نوهم عن مهرجان الزفاف الذي احكم استمدادهُ تُعِشَن ان نوستا. أيمّ شماً عن ذلك

كارف معام حسرة الرزير الذكور مديع العالم مام

الائتان مزدعها بالانوار الساطعة وكأن اردحام المهنين وأبلاً على ١٠ هالك من قرط المسرة وقد اردانسسرامي اكماية وبزغت في تلكها الشهوس والانار وعردت ـــ. هذائم الملايل الانس فارقصت الناوب الركا رجات سقًّا النك وإنسين وإن لابورة ذاك المنام من الما ار والحامد أما يصرفي بطون الاوراق عن حسرها . وأبس أبه انْ المسط وصف ما كان ليلة الخميس با راء كن سم لَا كَانْتُ السَّاء: الثالاء حد الغابر شرجنا الى اسا ، اً الزيكة لشاعد موكب الزنال عند مرورم من الزنال فنألك نوجدنا الطرني نماصه بالناس رجألأ ونساء رَبُّنَ نَوْاللَّهِ الْمُعَارِلُ ۚ وَسُنَارِنُهَا انْوَاحُ ۖ انْوَاحُ ۖ اسْ المبنرجين فاعتأمانا بالنوم نزاحهم وبزاحرننا رسد عتيهة حمنا لاصوات الرسوق مدى يعارب المسامع ويرتص الناوب رما لنناحق انساك علينا ارتذاب الجيالة في دروع ببهر المبون لمانها يندبها حوز موسيق نتتك الاماع نفاعها وللبها فرقة احرى ماكنوذات والرماج المملة تمشي وراه عا سرّية من الجود تخالما يُول المنارة التعلع من النلج الد وكنهت الواءا الراس من المنعر فالذا ما ون منك رابت رجالاً تد سؤدت النمس وجنومهم والدائهم وعض المنديوي أثوابهم ریا زالت فر بنا السسآکر وایوال اناوسیل صنوناً صنوناً . فداحمان قظام واجمل ترتيب لمحو الساعة من الرمن حمَّه ا ال فائل ألموكب الركب تحملتنا المهون ورحيما أنتنار قاذا مركب جلل اجع الناظر مرآة وباعذ إجامع النّاوب حسن اعظامه نواد باللابي الرسمة فوى خول مذحة السروج وسهاس بالملابس المتعسة المؤون كَالْمُرْلِيْنِ أَمَامُ مِرْكِهُ مَعْلَمُهُ مِنْهُ الْمُدَّ عُرِمًا عَ الراس مرود بالردما رحل سنن الشنوة واتن حوا كرس بالاصياق فأبهبا وأنها المروس المتعرد المسوة

ونا كان الهم منظرًا لما صار الموكد في أنحه عابدين الهم السراي انهالك للحمت العساكر صفراً صفومًا من المانيين ودفت الطه ل وعزفت انت الموسق دفعةً طاهدة باصوات رجعت صداها الكنزك الى الالاك وماجت بالموكب علك الشحة لكانت كالمروس واهة واهرة ، واد عكست الها الذبي اشتمها فتلألأت لتلاء جراع الأهمار وبهر

حسب الترتبب الذكور ارو

 برا ما مرکده جارصه ناحیده من حیاد انجرال نما کها نذاماً ولیها نساه انجرم الشر بنان و نجري علی انرما نجه السنین عربه تحمل من کل فائرات الطرف زوجین کابین المارنو، نؤارجان و پانی بعدها منرس انجالهٔ نداکل یم الموکب وکان عروجهٔ من سرای انحلیه مارًا مالطری برانشوارع اهی ذکر حیا مؤلانان ویلی

کات سرای الدرس مزدانه بالانوار صدح نبیها امران الانواج والدر در والماس نبذ عرسانها وحدایها یشتون الدین والمان می والمان مدود لکل نارد و وارد تناشد الدیم بانواع ۱ الآتل و کاری و در داد ما اسال ما اسال مد ندس الهال فاندران شاکران دادرت شامد ندین حدام الدر وطول النا وفاهر وسرد حداد

والمروسين هماا

in Jours

في ۲۴ بادير نخريدة ماند درايار ماندا

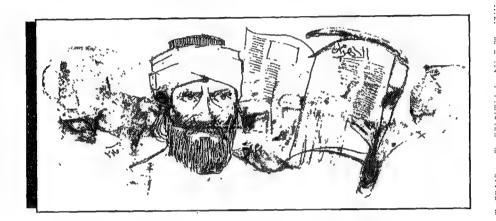
ازدان مازل دوليلو تومار مائيا في البرة الهائية كان بخد الناطر وصوئ العاطر و المدن فيه البرة الهائية حمل بخد الاولى والى الدعوون الواج لا يبتسون عن ارسينة عدّ جدم دوليلو الامير منصور مائيا وحسرة العطار الدعول والدار والان الميوش الاحتال والدار الموالين بالاحتال والدار تعامل الدول والاعبان من وطوين واور وبرت وحرم وكان في المام ابنيا حسرة الدول وهو البيليان الدول الداري وهو البيليان الداري الماركوردون من صف يدل وهو البيليان الداري الموادي وحدرة الداري الداري الماركوردون من صف يدل وهو البيليان الداري الماركوردون من صف يدل وهو البيليان الداري الداري الماركوردون من صف تبدل وهو البيليان الداري ال

ولما انتظم المالم وتكمل المعالم عرفت الموق، بالانفام ندعو الى المحاصرة في ساحة ذاك السرح والما بها رابط سهوري النظام بنايي فيه هذا له المدن والدنان ويجركة فاعل النجب وحسام المعمون بهشفة اسود المخال فيهمون ورد المخدود ، وتدال الخاط تري من عرف الديه فلا تخطر إذاً في القارب

وإرائي لا اخطي إذا قات أن اللواني المترن من العرائي المترن من العرائين في المنف اللهان هن اللواني المنرز في لهاة المهادان المشهورة وقد تخال الرقيم الاعتبادي وقيم الايكومة على الموسني الانكانوبية وهكذا استمر الرقيمي أرار بابلة والالعاب وعاشتوها إلى الساعة الاولى المد منتصف اللول

في نلك المباعد انتهى ذاك انجمع الى مادة الطعام الني كانت نكني لاضعاف عدد المدعوس مع ترتيب غربب ولحدَّمة نامة فكان كل منا مرى ان جهم المدام لمدمنو بالسهة الى النظام

الفصل العاشر



- الأهرام من أول من تحدث عن «الأمة العربية»!
 - انذار مبكرعن الأطماع الأوروبية
- مندوبون من الاهرام قى ١٢ مدينة عربية عند صدوره الأول
 - المنشور الأول لحركة القومية العربية

ولا. عربيا كما ولد مصريا، هذه الحقيقة تشى بها مجموعة من المؤشرات التأسع عشر المعينات القرن التاسع عشر ومطلع ثمانيناته .

من بين هذه المؤشرات أن عددا واحدا من الأهرام لم يخلو، الا فى الاستثناء النادر، من باب ثابت تحت عنوان «مراسلات الجهات» وهو باب كان يتعامل بشكل عام مع المشرق العربى وبشكل خاص مع الشام، وبشكل أخص مع لبنان من حيث جاء صاحبا الأهرام.

وكثيرا ما كانت المساحة التي يحتلها هذا الباب تفوق المساحة التي كان يحتلها باب «الحوادث المحلية » الذي كان يتعامل مع الشئون المصرية!

من بين هذه المؤشرات ثانيا تعدد وكلاء الأهرام في الشام على نحو لم يتوفر حتى بالنسبة لمصر، فبينما لم تزد البلاد التي أرسل البها الأهرام وكلاءه في مصر عن ستة، فقد وصلت في الشام والعراق إلى اثنى عشر بلدا؛ يافا، عكا، حيفا، صور، صيدا، بيروت، زحلة، بعلبك، دمشق الشام، طرسوس، حلب وبغداد.

وقد استتبع انبثاث وكلاء الأهرام في الشام والعراق على هذا النحو أن استمر هؤلاء في امداده بالأخبار حتى في أدق التفاصيل، وكانت القاعدة أن يستقى الأهرام معلوماته من هؤلاء وعندما كان يحدث أن تصله أخبار عن غير طريقهم، فقد كان يحرص على الاشارة إلى ذلك بالنص على أن مصدرها «من غير مكاتبنا »!

المؤشر الثالث تبدى فى الحرص الفائق من جانب أصحاب الأهرام على وصوله إلى موانى الشام حتى أنه كان بتم بين الحين والأخر تغيير ميعاد اصداره حتى يصل إلى الموانى الشامية فى وقت معقول .

فالأهرام في ايامه الأولى صدر اسبوعيا، وقد اختار يوم السبت للصدور، بيد أنه بعد مضى بعض الوقت عائى من عملية الوصول إلى المواني الشامية نتيجة لأن «الرابور الفرنساوي» كان لا يوصلها في وقت معقول، فلجأ بين الحين والأخر إلى الصدور يوم الجمعة حتى يتمكن من اللحاق «بالوابور النعساوي»، الذي ناسبت مواعيده الأهرام أكثر مما ناسبه الخط الملاحي الفرنسي .

مؤشر أخير أن أول رحلة قام بها مدير تحرير الأهرام، بشارة تقلا، في ربيع عام ١٨٨٠ كانت إلى الشام، التي كتب عنها مجموعة من التقارير بعضها من جبل لبنان والبعض الأخر من «دمشق الفيحاء» وكانت بشابة أول «رحلة صحفية» يقوم بها مندوب عن الأهرام!

ليس من شك أن الا هتمام بالشئون العربية التي تضمنتها «مراسلات الجهات» والتي كانت بمثابة نهر عريض على صفحات الجريدة قد صنعته روافد عديدة..

جاء الرافد الأول عن طبيعة مؤسسى الأهرام، سليم وبشارة تقلا، فلم يكن منتظرا أن ينقطع الحبل السرى بين الرجلين وبين الجبل.. جبل لبنان، من حيث أتيا، بسهولة.وقد أدى إلى بقاء هذا الحبل طبيعة المجتمع الشامى الذى استمر الرجلان يعايشانه ويعيشان فيه في مصر، كذا السوق المتسع الذى استمرت الأهرام تجده في الربوع الشامية.

ويبدو أثر هذا الرافد فى طبيعة اهتمامات صفحة «مراسلات الجهات» التى كانت تعنى أحيانا بأخبار شديدة المحلية، كافتتاح مدرسة للاطفال فى بيروت أو مرج عيون أو وفاة شخصية من الجبل كان أصحاب الأهرام يعتبرونه من الشخصيات الهامة بينما يكاد يكون مجهولا بالنسبة للقارئ المصرى.

الرافد الثانى بدا فى حالة من التململ الواسع التى أخذت تستشرى بين أبناء الشام والعراق، وهى حالة كانت قد بدأت منذ حوادث الستين فى الجبل التى عرفت فى بعض المظان بمذابح الستين (١٨٦٠) ووصلت إلى ذروتها خلال النصف الثانى من السبعينات الذى واكب السنوات الأولى من عمر الأهرام، وهى حالة عبرت عنها الصحيفة الوليدة فى مساحات معتبرة من الشئون العربية.

ثالث هذه الروافد بدا من تعاظم التدخلات الأوربية في الشئون العربية خلال تلك السنوات، وهو التعاظم الذي نشأ عن تزامن صدور الأهرام مع أكبر حركة امبريالية عرفتها افريقيا والممتلكات العربية للدولة العثمانية، والتي حرص الأهرام على تتبعها في شتى الأنحاء العربية، من الشام والعراق شرقا إلى تونس و«مراكش» (المغرب) غربا.

الرافد الرابع صنعه ميلاد الحركة العربية التي شهدها هذا العقد ولم يكن أصحاب الأهرام بعيدين عن عملية الميلاد بحكم أنهم كانوا من روادها، فتتلمذاً لقلا على أيدى البستاني واليازجي،الرواد الأوائل للفكرة العربية لم يكن يمكن أن يذهب سدا، ومن ثم لم يكن غريبا ما كانت تنشره الأهرام خلال تلك السنوات حتى أننا نندهش من استخدام الجريدة لتوصيف «الأمة العربية» في وقت كان يصعب على غيرها الاشارة إليه.

ودعونا نحاول متابعة كل هذه الروافد لنصل إلى النهر الكبير الذى صنعته الأهرام وقتذاك. نهر «الشئون العربية»

استمرار الحبل السرى بدا من الاهتمام الاهرامي بالشئون المحلية الصغيرة بلبنان أولا ثم ببقية الشام والعراق بعد ذلك..

فأن يتضمن أحد أعداد الأهرام وصفا تفصيليا لحياة «خليل افندى أرقش» بمناسبة انتقاله إلى رحمة الله، وتصفه بأنه (أحد معتبري بيروت» وأن يتضمن عدد آخر حديثا

طويلا عن جنازة «يوسف افندى فريح» الذى تصفه «بالمشهور» والذى توفى عن ٧٢ عاما.. كل ذلك كان اغراقا فى تفاصيل لا تعنى القارئ المصرى الذى كان يقينا لا يرى الأول معتبرا ولا يرى الثانى مشهورا!.

الاهتمام بموسم الحرير في لبنان استمر محورا من محاور اهتمامات صفحة الشئون العربية في الأهرام بحكم استمرار هذا المنتج في لعب الدور الأساسي في الاقتصاد اللبناني حتى ذلك الوقت، حتى انه لم يكن غريبا أن نجد خبرا تحت عنوان أحوال الشرائق»! ولا بأس أن نذكر أن سببا من أهم الأسباب التي أدت إلى تأليب أبناء الشام على الحكم المصرى في أواخر الثلاثينات كان ما عمد إليه هذا الحكم من احتكار المنتج المذكور، وهو ما لم يقبله الشوام رغم اعترافهم بالمزايا التي اكتسبوها من وجود المصريين.

الصراع الأسرى قدم غوذجا أخر من غاذج اهتمام «مراسلات الجهات» لأوضاع الشام، وقد أفرد الأهرام بعض أعمدته لمتابعة الصراع التقليدى بين عائلتى «الحسينية» و «الخالدية» حول الوظائف في القدس.

ووصل الأمر بالأهرام في الاهتمام بالمحليات الشامية تقريظه لكل انجاز يتم في أي بلد مهما بدا صغيرا ، حتى أنه أخذ في أحد أعداده في أطراء مجلس بلدية بيت لحم ليس لشئ سوى أنه اهتم بتوسيع الطرق!

ومع ما يمثله الاهتمام بهذه التفاصيل الصغيرة من اغراق في الأمور المحلية غير أنه يبدو أنه كان له ما يبرره، الأمر الذي بدا في المراسلات العديدة التي كان يتلقاها الأهرام من قرائه في تلك البلاد بكل ما يدل عليه ذلك من اتساع قاعدة هؤلاء في تلك الانحاء التي أولاها عنايته، وهو اتساع كانت تحكمه مقاييس العصر طبعا.

تدليلا على هذه الحقيقة نسوق هنا الخبر الذى جاء فى أهرام يوم ٢ اكتوبر عام ١٨٧٩: «يافا ـ ورد الينا من حضرة مكاتبنا فيها ما يشير إلى تأخر البعض عن نقد ما عليهم من قيمة الاشتراك فى الأهرام فعجبنا إذ ليس من يجهل ما وراء التأخر عن الدفع من التعطيل. والمأمول من حضرة مشتركى القدس الكرام أن يتفضلوا بدفع ما عليهم»!

$\star\star\star$

حالة التململ التي سادت الشام والعراق خلال النصف الثاني من سبعينات القرن التاسع عشر كانت المحور الثاني من محاور اهتمام «مراسلات الجهات » .

الافتقار للأمن مثل العنصر الأول من عناصر هذا المحور . ولم يكد يخلو تقرير واحد من التقارير التي كان يبعث بها مكاتبو الأهرام من الحديث عن « الغتن والمصادمات » ، مرة من بيروت وأخرى من زحلة وثالثة من حلب ورابعة من حوران ، وقد اسهبت الأهرام في تتبع أحداث العنف التي جرت في تلك الأخيرة خلال شهر نوفمبر عام

. \ \ \ \ \

ولاشك أن أصحاب الأهرام بحكم ما كانوا عثلون كشريحة من شرائح المسيحيين الشوام كانت لديهم حساسية خاصة بالنسبة للأخبار التي يتعرض فيها هؤلاء لأعمال عنف سواء من جانب بعض رجال السلطة العثمانية أو من جانب بعض الفئات الأخرى.

فساد الادارة العثمانية احتل مكانا دائما في مراسلات مندوبي الأهرام في الشام والعراق ، ولم يكن المسئولون عن الجريدة يفوتون فرصة دون تكرار المطالبة بالقضاء على الفساد .

فى العدد ٨٣ الصادر يوم ٢ مارس عام ١٨٧٨ ينتهز الأهرام فرصة وصول جودت باشا « والى سوريا الأفخم » الى بيروت فيرحب به ويطالبه «أن يجرد حسام الهمم ويفرى به أصول الفساد فيشعر الأهلون بلذة الحرية » !

وفى العدد الصادر يوم ١٩ يونية عام ١٨٧٩ يسوق الأهرام خبر تنصيب وألى جديد على المرصل وأن أهالى هذه الولاية قد فرحوا كشيرا على امل انه سوف يقوم «باستئصال داء الرشوة ».

ولعل ذلك نما دعا الاهرام إلي الاحتفاء بما جاء فى الدستور العثمانى المعروف بدستور مدحت باشا عن «حقوق التبعة العثمانية» باعتبار أهل الشام من أولئك «التبعة»!

بعد ذلك تفرد «مراسلات الجهات» قسما من مساحتها تعدد فيها آثار السياسات العثمانية فتقول أن « طرق لبنان المعاشية محتفة بالمخاطر والنصب » وان هناك «ضنكا شديدا وتضييقا على اللبنانيين الجأ كثيرا منهم الى الساحل » وتضيف بعد كل ذلك ان الأخبار الواردة من دير القمر « تفيد أن الحالة سيئة جدا والفقر المدقع قد عم الكثيرين » .

والطريف فى هذه الرسالة المليئة بالانتقادات ان الأهرام قد حرص على أن يسندها الى «غير مكاتبنا»، ونظن أن المسئولين عن تحرير الأهرام مع رغبتهم الشديدة فى تسجيل مفاسد الحكم العثمانى فقد كانوا حريصين على ألا يعرضوا جريدتهم لعدم دخول الشام التى كانوا يرون فيها سوقا رئيسيا لهم ، ومن ثم جاءت رغبتهم فى التنصل من الهجوم على ادارة الدولة العلية.

القضاء العثمانى كان بدوره هدفا من أهداف التعبير عن عدم الرضاء من جانب مكاتبى الأهرام فى سوريا ولبنان ، فقد تضمن عدد الأهرام الصادر فى ١٣ أغسطس عام ١٨٧٨ انتقادات حادة لمجلس فصل الأحكام بعث بها مراسل الجريدة فى دمشق كان مما جاء فيها « .. هذه أعمال بعض زمرة تألف منها مجلس تمييز الحقوق فى مركز ولايتنا السورية وجزء من كل مما تقترفة هذه الفئة المفوض اليها أحكام فصل الأحكام لمنات الألوف من هذه الأمة العربية ...».

ويبدو انحياز الأهرام العربى المبكر من الحديث عن « أمة عربية » في ذلك الوقت الذي كانت العثمانية تظلل خلاله كل شيء ، أكثر من ذلك فان التعليق الذي يتحدث عن هذه الامة ينتقد في نفس الوقت أعمال الموظفين الأتراك .

فى مجال القضاء أيضا ينشر الأهرام رسالة فى ١٨ يوليو بتوقيع « أحد محبى الوطن » يرحب فيه بتعيين « جمال الدين الأفغانى » مفتشا عاما لمحاكم ولاية سوريا، ولكن يافرحة ماتمت اذ ينشر الأهرام بعد اسبوعين فحسب خبر لمراسله فى بيروت مفاده، انه قد تم عزل الرجل ويجىء النشر بشكل يعبر فيه المراسل عن أساه وأسف الأهرام!

يراقب الأهرام من مقره في الاسكندرية ما كان يجرى خلال السنين الأولى من صدوره من تراكم الأطماع الأوربية في العالم العربي وعلى رقعة واسعة هذه المرة تمتد من

العراق شرقا الى المغرب غربا . وقد حفلت أعمدته بأخبار هذه المراقبة .

من بين تلك الأخبار ماكان يرد بين الحين والآخر حول رسو الأساطيل الأوربية في الموانى الشامية خاصة بيروت. نموذج لذلك ماجاء في العدد الصادر في ٢٧ أبريل عام ١٨٧٧ عن وصول بارجة المانية بينما كان موجودا من قبل قطعتين من الأسطول «الانكليزي» وقطعة من الأسطول الفرنسي ودلالات كل ذلك .

من بينها رصد تلك الجولة التفقدية التي قامت بها البارجة «رينا» وهي تحمل «قنصل جنرال دولة فرنسا في سوريا» متنقلة بين بيروت وحيفا وعكا « نظرا الى حدوث بعض القلاقل فيها » .

خبر آخر حرص الاهرام على تعربي عن «الريفورم» الفرنسية جاء فيه ان الحكومة الفرنسية عازمة على شراء أراضى واسعة بالقرب من يافا «لتنشيء فيها معامل ومحلات تجارية بغية أن تضمن لتجارتها مخرجا في فلسطين والبلاد العربية . ومن نيتها بعد ابتياع تلك الأراضى انشاء سكة حديد تصل بها مستعمرتها اليافاوية بمصر والسويس » !

ويروى الأهرام بالتفصيل خلال ربيع ١٨٨٣ أسرار المعركة الديبلوماسية التى دارت بين الدول العظمى ، خاصة بين فرنسا من جانب وانجلترا وروسيا من جانب آخر ، حول اختيار خلف له «رستم باشا» متصرف جبل لبنان ، والضغوط التى مارستها تلك الدول على حكومة الاستانة في هذا الشأن .

وتنتقل الصحيفة الوليدة من تتبع الأطماع الأوروبية في المشرق الى تتبعها في المغرب، في مراكش (المغرب) وتونس على وجه الخصوص، فتلك الفترة شهدت تصارع الأطماع الفرنسية والانجليزية والأسبانية في الأولى والفرنسية والايطالية في الثانية التي كانت على شفا الوقوع في قبضة احداهما، وكانت فرنسا.

وقد اختلفت علاقة الأهرام مع المغرب عن علاقته مع المشرق ، فتلك العلاقة الحميمة

التى ربطته بالأخيرة والتى استعرضنا اسبابها فى السطور السابقة لم تتوفر مقوماتها بالنسبة للمغرب الأمر الذى انعكس فى أكثر من جانب من جوانب تلك العلاقة .

بالنسبة للمشرق كان له مكانه الخاص فى الصحيفة .. «مراسلات الجهات» أما بالنسبة للمغرب فقد كانت تأتى أخباره ضمن سائر الاخبار فى باب «حوادث مختلفة»؛

بالنسبة للمشرق تعددت مناحى الاهتمام الاهرامية أما بالنسبة للمغرب فقد اقتصر اهتمام الجريدة على الحوادث الكبرى مثل حدوث « مجاعة كبرى » فى مراكش على حد تعبير ما جاء فى اخبار شهر أغسطس عام ١٨٧٨ أو المطالب الفرنسية من باى تونس فيما جاء فى اخبار يناير ١٨٧٩ أو التوتر الحادث بين اسبانيا ومراكش وبحث الأخيرة عن المساندة الانجليزية فى مواجهة أطماع حكومة مدريد فيما تضمنته أخبار أغسطس وسبتمبر من نفس العام .

أخيرا وبالنسبة للمشرق فقد كان للأهرام وكلاؤها الذين استمروا يمدونه بشتى الأخبار والتعلقيات ، أما بالنسبة للمغرب كانت الجريدة تستقى أخبارها إما من وكالات الأنباء أو من الصحف الأوربية خاصة الفرنسية .

بيد أن ذلك لا ينع من تقرير حقيقة وهي وحدة موقف الأهرام ، في المغرب ضد تعاظم الأطماع الأوربية الأسبانية في مراكش ، وفي المشرق للفكرة العربية وهو ما أسفر عنه « الاهرام » بشكل واضع خلال عام ١٨٨٠ ، ولذلك قصة!

المتتبعون لتاريخ الحركة العربية يرون في الحرب الروسية ـ التركية ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ نقطة تحول في تاريخ هذه الحركة ، ذلك ان علامات الانهيار التي بدت على الدولة العثمانية خلال تلك الحرب قد دفعت القوميين العرب الى البحث في مصير أمتهم ، وكان رأى فصيل كبير منهم ألا نجاة إلا بالتخلص من الحكم العثماني .

وقد سجل صيف عام ١٨٨٠ حدثا هاما تكرر في يونية ويولية وسبتمبر .. حدث اغراق عديد من المدن السورية: دمشق وببروت وصيدا وطرابلس ، بمنشورات عديدة تناشد أهل البلاد التحرك باسم النخوة العربية والحمية السورية وتندد بفساد الترك وجهلهم وتنبه الى أن هدفهم «امتهان حرمة كتبكم وسن نظامات تقضى بملاشاة لغتكم الشريفة».

ويضع المنشور الثالث من تلك المنشورات برنامجا يطالب في جانب منه به «استقلال نشترك به مع اخواننا اللبنانيين»، ويطالب في جانب أخر به «أن تكون اللغة العربية رسمية في البلاد» . . ويطالب في جانب أخير بأن « تنحصر عساكرنا في خدمة الوطن وتتخلص من عبودية الرؤساء الأتراك».

ولم يتأخر الأهرام عن متابعة تلك القضية البالغة الأهمية والتي احتلت بين يونية وسبتمبر من عام ١٨٨٠ مساحة هامة في «مراسلات الجهات» وفي أكثر من عدد .

فى العدد الصادر يوم ٢٤ يونية حيث اشارت الى ما أسمته «اعلانات على جدران الشوارع فى بيروت» وان مابها استهدف «تحريك افكار الأهالى عموما الى طلب الاستقلال والاندفاع الى الحرية اقتداء بالسرب والجبل الأسود والبلغار وتنبية الخواطر الى نبذ الذل والخمول اللذين لا يرجى بهما اصلاح وتقدم وان مايراق من الدم فى هذا الشأن هو قيمة الحرية والاستقلال».

العدد الصادر يوم ٢٢ يوليو يسوق الأهرام خبرا من دمشق يقول: « علقت في هذه الاثناء على بعض جدران المدينة اوراق تتضمن تهييج الخواطر وطلب الاستقلال واحباء دولة عربية مع الطعن في اجراءات الحكومة المحلية » .

أخيرا العدد الصادر في ٢ سبتمبر الذي حاول فيه مراسل الأهرام في بيروت ان يحدد هوية المسئول عن نشر هذه الاعلانات .

وبينما يسند بعض المؤرخين تلك المنشورات الى جمعية المقاصد الخيرية يسندها آخرون الى «جمعية حفظ حقوق الملة العربية»، وبغض النظر عن صاحب «الاعلانات» فانها قد لقيت اهتماما كبيرا سواء من قناصل الدول الكبرى، فرنسا وانجلترا، فى بيروت ودمشق، كما أنها لقيت عناية من جانب المتابعين لنشأة وتطور حركة القومية العربية حتى انهم يؤرخون لها باعتبارها علامة الميلاد لهذه الحركة.

ونرى ان اهتمام الأهرام بتلك المنشورات على هذا النحو الها يشى بأنه كان معنيا منذ سنواته الأولى بتلك الحركة ، وهي عناية كانت تشكل جانبا من عنايته بالشئون العربية على وجه الخصوص .

مراجع الفصل العاشر:

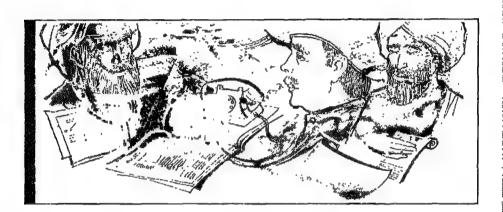
التاريخ	اعداد الأمرام
14/7/1/11	٤٧
14/4/1/4	V7
1474/17	۸۲
\AYA/£/\4	١.
1474/1/17	17.
1444/8/14	731
1444/0/44	187
1471/1/11	10.
1474/7/14	30/
1444/4/18	100
1441/4/11	F0/
14/4/4/1	104
1//1/11	751
1111/1/1/10	371
1444/11/14	171
M./1/YE	7.7
\M./Y/YY	Y.Y
1M./1/Y	717

جورج انطونيوس: يقظة العرب، ط٢ بيروت ١٩٦٩

[.] لرتسكي. تاريخ الاقطار العربية الحديث، موسكو ١٩٧١

الفصل الحادي عثير

ستشنوت وتستنوت



■ الكهرباء عندالجبرتى

ارتجاج البدن وارتعاد الجسم وطقطقة عظام الأكتاف!

- استخدام التليفون في حارات شيكاغو في «الممالك المتحدة بأمريكا»!
 - أول مشروع «للتنوير الكهربائي» في طنطا وكفر الزيات
 - المصرى الذى أخترع آلة جديدة لحلج القطن



عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ المصرى الشهير الذي عاصر قدوم الحملة الفرنسية (١٧٩٨) وسجل احداثها عندما كتب عن بعض مظاهر التقدم العلمي التي شاهدها لدى علماء «الفرنسيس» قال: «ولهم فيها أمور واحوال لا تسعها عقول أمثالنا »!

وكانت المناسبة ماعاينه في معمل الكيمياء الذي انشأه الفرنسيون من عملية توليد الكهرباء التي اذا لامسها شخص «ارتج بدنه، وارتعد جسمه وطقطقت عظام اكتافه وسواعده في الحال برجة سريعة ومن لمس هذا اللامس او شيئا من ثيابه أو شيئا متصلا به حصل له ذلك ولو كانوا ألفا أو أكثر»!

بعد ذلك بنحو أربعين عاما وعندما كتب شيخ مصرى آخر، هو الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي عن مشاهداته في فرنسا في كتابه المشهور «تخليص الابريز في تلخيص باريز» (١٨٣٤)، وعرج في هذه المشاهدات الى ما رآه من «تقدم أهل باريس في العلوم والفنون والصنائع»، فقد لفت نظره فيها المتاحف والتي اسماها «خزائن المستغربات» (!)، كما لفت نظره بنفس القدر ما أسماه «أكدمة ـ يقصد اكاديمية ـ مستظرفات الفنون». هذا فضلا عن «أكدمة العلوم السلطانية» وغيرها من المؤسسات العلمية الحديثة التي لم تكن مصر قد عرفتها بعد.

وإذا كانت قد مرت أربعون سنة بين ما ارتآه الجبرتي ضيقا في العقول عن أن تسع درجة التقدم العلمي الأوروبي وبين ما وصفه رفاعة «بالمستغربات والمستظرفات»، فقد كان مطلوبا أن تمر أربعون سنة أخري، أو ما يزيد قليلا، ليتقبل العقل المصرى والعربي ثمار هذا التقدم ويسعى إلى تقليدها، وهو ما عبرت عنه الصحف المصرية الصادرة خلال النصف الثاني من سبعينات نفس القرن.. القرن التاسع عشر، في طليعتها الأهرام (١٨٧٦).

ويمكن أن يعزى هذا الاهتمام المبكر من جانب القائمين على الأهرام بأشكال التقدم العلمي في اوروبا أو ما كانوا يسمونه عادة بالمستحدثات والمتكرات لأسباب عدة..

أولها: العناية البالغة من جانب هؤلاء بكل ما كان يجرى في اوروبا حتى ان كثيرين نظروا للدور الثقافي للشوام في مصر باعتباره جسرا أساسيا من جسور التواصل مع الحضارة الغربية، ولا شك انه قد اعانهم على ذلك اتقان اللغات بشكل سمح لهم بشد دعائم هذا الجسر.

لا يعنى ذلك بالطبع انه لم يكن بين المصريين وقت صدور الأهرام من لا يجيد تلك اللغات، خاصة الفرنسية لغة اصحاب الأهرام، فمدرسة الألسن كانت قد انشئت عام ١٨٣٥، بيد أن خريجيها انصرفوا اكثر الى الأعمال الحكومية منهم الى العمل بالصحافة الأهلية الوليدة وقتذاك.

ثانيها: التكريس المتعمد للجانب الأكبر من جهد الأهرام في متابعة ما يجرى في

العالم الخارجى توقيا للمحاذير التى يمكن ان يقع فيها لو انغمس فى قضايا الداخل بكل منعرجاتها، الأمر الذى كاد يورده موارد التهلكة عندما جربه مرة أو مرتين فى عصر اسماعيل خلال سنيه الأولى عما سيكون موضوع احد الفصول التالية.

وكان من الطبيعى أن يطول اهتمام الأهرام من بين ما طاله مما يجرى فى اوروبا او «بلاد برا».. ان يطول جانبا من اشكال التقدم العلمي، خاصة هذا الجانب الذى يمتع القارى، ويثير دهشته أو على الأقل استغرابه!

أخيرا: الطفرة التى حدثت خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر الذى يقابل الربع الأول من قرون حباة الأهرام فى التكنولوجيا، وكان على الصحيفة الوليدة أن تعيش فى خضم تلك الطفرة..

فيتفق المؤرخون على أنه اذا كان القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر عصر الاكتشافات العلمية الكبيرة فان النصف الثانى من هذا القرن الاخير واوائل القرن العشرين كانا بمثابة عصر استخدام تلك العلوم في شتى المناحى الحياتية أو ما اسمى بثورة التكنولوجيا.

فتلك الفترة هى التى عرفت ما أسماه البعض «غزو المسافات» The conquest ومن خلال ادوات مختلفة.. استخدام قوة البخار فى المواصلات البرية والبحرية، التلغراف، اللاسلكى، التليفون.

قوة البخار التى بدأ استخدامها فى القطارات لم يلبث خلال ذلك العصر أن انتقل استخدامها للسفن وأصبح عبور المحيط الأطلنطى لا يستغرق ما يزيد على اثنى عشر يوما بدلا من شهور، ولم يأت آخر هذا القرن الا وكان العثور على سفن شراعية تجوب المحيطات من الأمور النادرة.

التلغراف كان حقيقة قائمة وقت صدور الاهرام والذى كان قد بدأ استخدامه منذ عام ١٨٣٥ بعد أن وضع مورس شفرته المعروفة، وكان قد تم خلال الاربعين عاما التالية مد الخطوط البرية والبحرية العديدة.

يلى التلغراف التليفون والذى اخترعه جراهام بل فى نفس عام صدور الاهرام (١٨٧٦)، حتى انه يمكن التأريخ للجريدة العتيدة ببداية عصر التليفون، أو المسرة، وهى تسمية لم تكن قد عرفت بعد وقتئذ.

ولم يمض سوى أكثر قليلا من عشرين عاما حتى كان الكونت ماركونى الايطالى قد نجح فى ان يبعث برسائل لاسلكية لمسافات تزيد على مائة ميل (١٨٩٩)، تزايدت بعد ذلك بعامين لتصل الى ألفى ميل.

وكانت تلك المنجزات بعيدة عن استخدام القوى المحركة التقليدية التي طالما استخدمها الانسان في العصور السابقة، الماء والرياح والقوة العضلية للحيوان

والانسان والتى أخد يحل محلها قوى غير تقليدية تمثلت فى البخار والكهرباء والنفط فيما جرى فى نفس الفترة.

فعلى الرغم من أن اليونانيين القدماء قد عرفوا الكهرباء فان توليد التيار الكهربائى لم يعرف الا عام ١٧٩٩، أى العام قبل الأخير من القرن الثامن عشر، غير أن استخدام هذا التيار في الاتصالات أو إدارة الآلات أو الاضاءة لم يحدث على نطاق واسع الاخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.. عصر ميلاد الأهرام.

أما استخدام النفط فى آلات الاحتراق الداخلى فقد عرف خلال العقد والنصف التالى من صدور الاهرام.. الخفيف منه الذى بدأ استخدامه من خلال اختراع ديملر (١٨٨٥) أما الثقيل فقد بدئ فى استخدامه بعد سبع سنوات من خلال اختراع ديزل (١٨٩٢)، والرجلان المانيان.

ويتفق المؤرخون على أن جملة تلك الانجازات التكنولوجية هى التى صنعت ذلك التغيير الجوهرى فى الصراعات الدولية، من حروب أوروبية كان آخرها الحرب البروسية ـ الفرنسية (١٨٧٠ ـ ١٨٧٠) الى أول حرب عالمية أو كونية The Global War بتسمية العصر (١٩١٤)، وهو تحول لم يكن ليحدث دون النجاح الذى سبقه فى غزو المسافات.

ولم يكن بالامكان ان يبقى الأهرام بعيدا عن تلك «المخترعات ومخترعوها»، وهو العنوان الذي كان يفضل استخدامه في ملاحقة تلك المنجزات..

تابعت الجريدة الوليدة تلك المبتكرات بالاعلان احيانا وبالخبر احيانا أخرى وبالتعليق احيانا ثالثة وبالمقال احيانا اخيرة.

فى (الاعلانات) وتحت عنوان «اختراع لطيف ظريف» يبشر الأهرام فى ٩ ديسمبر عام ١٨٧٦ قراء بأنه «لا لزوم بعد ذلك لاستعمال كبايات الزيت فى اوض (حجرات) النوم مع وجود انوار من الشمع العسلي تتقد فى الماء..»!

تحت عنوان «الاختراع» يعلن احد أبناء المنصورة فى الأهرام الصادر فى ١٣ ابريل عام ١٨٧٧ عن انه «بعد البحث والدرس المستديم قد اخترعت بعونه تعالى عوضا عن السكينة الخشب (النشابة) آلة جديدة تجعل القطن المحلوج يسرى من الشوبك الى أسفل الدولاب بدون أن يتجمع منه شيء ما فوق الشوبك ولا أن يتسخ أو يتغير لونه» ويدعو أصحاب المحالج الى الاستفادة من اختراعه، وتشجيعه على المضى قدما فى هذا الميدان.

(الخبر) احتل حيزا أكبر، وقد شغلت الأخبار عن «التليفون» وليد عام صدور الأهرام جانبا معتبرا من هذا الحيز..

ينبه الأهرام بعد صدوره بنحو ثلاثة أعوام الى هذه «الآلة البسيطة» التى يعتبرها البعض «غير جديرة بالاستعمال» وكيف انه قد راج استعمالها على نطاق واسع فى الولايات المتحدة الأمريكية أو بتسميته «المالك المتحدة بأمريكا» وكيف ان هناك ٢٢٠٠٠ تليفون «من عمل بيل»، يقصد من اختراع جراهام بل، مستعملة يوميا فى تلك البلاد، ولعله من الطريف هنا أن نسوق كلمات الأهرام فى عدده الصادر فى ٢٤ يوليو عام ١٨٧٩ عن كيفية هذا الاستعمال، قال:

«.. وجميع هذه الآلات مأجورة مستعملة على طريقة التبادل، فكل مدينة كبرى لها مكتب عام يخرج منه خطوط التليفون المربوطة مع مساكن ومكاتب المشتركين.. واذا اريد التكلم مع أحد ما في حارات البلد على اختلافها يأخذ المكتب الأكبر بقرع ناقوس للتكلم بواسطة التليفون ويربط مستخدم المكتب التواصل رأسا مع الشخص المطلوب للسماع وفي مدينة شيكاغو وحدها يجرى المكتب الأكبر ما ينيف عن ١٨ ألف استدعاء في اليوم الواحد»!

بعد ذلك بأقل من عامين يبشر الأهرام قراءه انه قد تم تأسيس شركة فى «قطرنا المصري» باسم «شركة ليمتد تليفون بادارة مسيو ادوين دى ليون» وان الشركة المذكورة قد استحضرت الموارد اللازمة لإقامة ٢٥٠ محطة.

وتشير الجريدة فى سياق هذا الخبر الى أن «سمو الخديو» قد قام باجراء اتصال بين مكتب الشركة المركزى وسراى رأس التين، وانه قد سر من ذلك كثيرا وأوصى بتركيب الآلة الجديدة فى كل من سراى عابدين وسراى الاسماعيلية.

ولم ينس الأهرام فى هذه المناسبة أن يشير الى أن «جمعية العلماء فى باريز» ـ يقصد الأكاديمي فرانسيز ـ قد قررت ان تمنح «حضرة المسيو الكسندر غراهام بل ٥٠ ألف فرنك جزاء اختراعه التليفون»!

وإذا كانت أنظار الأهرام عند ولادته مسدودة الى أوروبا فى مجال الأحداث السياسية، فانها كانت مشدودة أكشر الى الولايات المتحدة الأمريكية فى ميدان «الاختراعات والمخترعون»، وقد تابعت فى هذا الصدد المخترع الأمريكى المشهور توماس اديسون الذى أسس معمل ابحاثه فى نيوجرسى عام ١٨٧٦ (نفس عام صدور الأهرام) والذى خرج منه أكثر من ثلاثة آلاف اختراع.

عن احد هذه الاختراعات يقول الأهرام في ٢٦ فبراير عام ١٨٨٠ انه «قد وقف على ما يستطاع به نقل صورة بالبرق قد رسمت في مكان مظلم حيثما كان».

ولا ترى الجريدة بأسا ان تخرج فى هذه المناسبة عن وقارها المعتاد لتروى قصة عن هذا الاختراع.. تقول «.. وحكى ان شابا من واشنطون أراد امتحان ذلك فأتى بيت التلغراف وأشار إلى خطيبته فى نيويورك ان توافيه ليتحادثا بالبرق ففعلت ذلك وكان كل منهما فى مكان مظلم، فتباصرا وتبادلا حديث الشوق والغرام»!!

وقد عبر الأهرام عن اعجابه بما كان يحرزه الأمريكيون من اختراع بقوله في أحد أعداده: «ولا ندري الى أي ستصل اختراعات واكتشافات الأمريكانيين»!؟

اهتمت الجريدة اهتماما ملحوظا بتطورات استخدام الكهرباء خاصة فى الانارة، وقد لفت نظر مدير تحريرها لدى متابعته للاحتفالات التى كانت تقام فى قصور الطبقة الارستقراطية انارتها بالكهرباء، الأمر الذى أشاد به فى تغطيته لتلك الاحتفالات.

ويبدو قدر هذا الاهتمام ايضا من الخبر الذى تضمنه العدد الصادر فى ٣٠ مايو عام ١٨٨١ والذى جاء فيه أن مهندسا فرنسيا فى مصلحة السكك الحديدية «عازم على تجربة التنوير الكهربائى فى طنطا أو كفر الزيات أولا ثم يشرع فى اقامة هذا التنوير فى عاصمتنا »، ويعلق الأهرام على هذا الخبر بقوله «آمالنا أن ينال هذا العمل نجاح التجربة حتى يقرر استعماله بسهولة فى القطر المصرى».

بيد أن ما جاء في (مقالات) الأهرام عن «المخترعين واختراعاتهم» أهم كثيرا ـ في رأينا ـ عاد أن ما جاء في الاعلانات أو في الأخبار أو في التعليقات..

نختار ثلاثة من هذه المقالات، أولها تضمنه العدد الصادر في ٢٠ نوفمبر عام ١٨٨١ وثانيها في عدد ٩ ديسمبر عام ١٨٨٠ وآخرها في ٨ مارس عام ١٨٨١.

سبب اختيارنا للمقال الأول والذي جاء تحت عنوان «قوة الشمس» انه تضمن نبوءة من كاتبه عن الدور الذي يمكن ان تلعبه الطاقة الشمسية في مستقبل البشرية، وهو دور مازال محل التجريب بعد أكثر من ١١٧ سنة، مما يشى بقدرة تنبئية كبيرة تمتع بها الأهرام في المجال العلمي منذ ذلك الوقت المبكر.

جاء في مطلع هذا المقال: «لا يخفى على المتضلعين بالعلوم الطبيعية ان القوى التى تدير الآلات البخارية على اختلاف أنواعها وأشكالها والتى تدير كل الآلات المائية والهوائية أصلها كلها من الشمس وقد ذخرت في الفحم والماء الى أن استعملها الانسان لتحريك الآلات»، وبعد استعراض لقدر الطاقة التي يمكن استخراجها من الشمس تساءل كاتب المقال: «ألا يمكن استخدامها لادارة الآلات بدلا من النار فتصبح صحارى افريقية وقفار آسيا مدن الآلات ومحط رحال الأعمال؟» ويجيب على ذلك بقوله بأن الباحثين قد شرعوا يبحثون في ذلك وابتكروا آلات بسيطة تديرها حرارة الشمس «وهي وإن تكن صغيرة لا يجنى منها ثمرة عملية ستشب كما يشب الطفل وتغير هيئة الأرض»ا

المقال الثانى تحت عنوان «الاختراعات ومخترعوها » عالج فيه محرر الأهرام قضية ارتآها على قدر كبير من الأهمية، وله الحق، تلكم هى قضية تأخر الشرقيين فى هذا المجال عن الغربيين، وهو فى هذا لم يعزو ذلك التأخر لعبوب فى الشرقيين الذين على حد تعبيره «لا تنكر عليهم الدنيا سمو مداركهم» وانما عزاه إلى فقر الوسائط «ولا

وصول لغاية دون واسطة» وفقا لكلماته أيضا.

ويشخص صاحب المقال مظاهر فقر الوسائط فيقول: «وكم من رجل شرقى له مزية الاختراع ولم يعلم، بل كم من فرد برهن بالعمل الحقير عن الأمر العظيم فاعتبر عمله من قبيل المجون فارتد بالطرف الكليل خاسئا ولنا على مثل ذلك شواهد عديدة».

واستطرد بعد ذلك فى سوق بعض من تلك الشواهد، ونرى أن محرر الأهرام قد حاول من خلال ذلك تغيير المناخ السائد الذى لا يتقبل الجديد بسهولة، بل انه يسخر منه احيانا، وهو يعالج بذلك قضية ربما استمرت حتى يومنا هذا من اعقد القضايا التى تواجه الانسان المصري، بل والعربي، تلكم هى قضية ان نبقى مستهلكين لانجازات التكنولوجيا لا منتجين لها!

المقال الشالث هو أهم هذه المقالات، ليس في رأينا فقط وانما في رأى القائمين على تحرير الأهرام وقتذاك.

يدل على هذا أمران أولهما أن هؤلاء قد خصصوا له الصفحة الأولى في حين أن ما يخص «الاختراعات والمخترعين» كان مكانه دائما الصفحة الثالثة أو الرابعة (كانت الصحيفة تصدر وقتذاك في أربع صفحات)، وثانيهما انه قد احتل هذه الصفحة بأكملها دوغا اعتراض!

المقال على هيئة رسالة بعث بها شفيق بك نجل منصور باشا يكن «أحد افراد شباننا الشرقيين».

ويلفت النظر في هذا المقال بعد استعراض كاتبه لما أسماه الاستكشافات العلمية.. الكهرباء وقوة البخار وعلوم البحار وما نتج عن تطبيقاتها انه يربط بين تلك المنجزات وبين عديد من المتغيرات الاجتماعية، لعل أهمها في رأيه محاربة الدول التي أحرزت تقدما في تلك الميادين للرق بحكم أن تلك الاختراعات «مكثرة للعمل مقللة للعمال» على حد تعبيره، وهو بذلك قد ربط بين التقدم التكنولوجي لدولة مثل انجلترا وبين دورها في تلك المحاربة التي طالت مصر بعد عام واحد من صدور الأهرام حين أرغمت اسماعيل على توقيع معاهدة منع تجارة الرق عام ١٨٧٧.

يلفت النظر ثانيا ان شفيق بك قدم تعريفا كاملا «للمنهج التجريبي» في مستهل مقاله، وهذا المنهج وان كان قد تم وضع اسسه خلال القرن الثامن عشر إلا أن ثماره كانت قد أخذت تؤتى أكلها من خلال الاستكشافات التي استعرضها المقال، وهو في ذلك أشار إلى دور الفلك والرياضيات في بناء هذا المنهج.

يلفت النظر أخيرا حرص الرجل على ابراز الدور العربى فى تلك العلوم، فقد قال فيما يتصل بالرياضيات: «يمكن الجزم بأن العرب هم الذين وضعوه وضعا علميا كما وضعوا حساب المثلثات، وهم الذين سموا الجبر بهذا الاسم، وهو الاسم المستعمل الى الآن فى كل اللغات، ثم ان بعض التجار الطليانيين نقلوا كتبا منه فى القرن الثالث عشر من الميلاد ولكن مكث الاورباويون ثلاثة قرون بدون اشتغال بهذا العلم».

ومن خلال هذه المنطقات الاجتماعية والمنهجية والقومية فان الاهرام كان محقا في أن يفرد كل ذلك الحيز لمقال شفيق بك وهو الأمر الذي يشي ليضا بترجهات الحصيفة العتيدة حيال هذه القضية.

ولعل مجمل تلك التوجهات تشير الى المرحلة الجديدة من مراحل التصامل من التكاول مجمل تلك التحامل من التكاول مع التكاول من التكاول من التكاول من التكاول من أن المصريين كانوا قد عبروا وقتذاك مرحلة العجز فيما عبر عنه الشيخ الجبرتي بقولته أن مثل تلك الأمور «لا تسعها عقول أمثالنا» وعبروا مرحلة الانبهار فيما ارتآه الشيخ رفاعة «المستغربات والمستظرفات» أي الوقوف عند محطة رؤية مثل هذه الأشياء بعين الاستغراب أو الاستظراف، ووصلوا إلى مرحلة الفهم والأهم من ذلك المشارئة أو الرغبة فيها.

ونعتقد أن هذه الرؤية الاهرامية بقدر ما كانت صائبة فقد كانت مستقبلية بمقاييس الحصر، وربا حتى بمقاييس عصرنا هذا!

لا مراجع القصل الحادي عشر

[] اعداد الأشرام

التاريخ	رآئم المند
1471/17/4	19
\AW/1\Y	īv
37/1/2/1	100
1,11/1/7.	177
144./1/17	TA!
111/11/1	YYY
1441/4/4	1.07
1AA1/0/Y-	11.9

⁻ عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبارج ٣، بولاق ١٣٠١ هـ

Swain, Edgar James A History of World Civilization Newyork 1947

^{..} رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الابريز في تلخيص باريز، القاهرة ١٨٣٤

الفصل الثانى عشر



- ■نواب لسودان في البرلمان المصرى
- أعضاء المجلس «المشايخ الحايزين» على الأوصاف المعتبرة!
 - أول الشخصيات البرلمانية في التاريخ المصرى الحديث
 - حلسة فوق العادة بطنطا لمناسبة مولد السيد البدوى
- مجلس النواب: «القوة الحقيقية للحكومة وأساسها الوطيد ودعامتها المتينة»



عام صدور الأهرام ، كان عاما ساخنا بكل المقاييس، وقد امتد جانب من تلك السخونة الى تاريخ البرلمان المصرى، وهو المؤسسة التى كانت قد نشأت تحت اسم «مبجلس شورى النواب» عام ١٨٦٦،

وكانت عشر سنوات فترة كافية لتغيير طبيعة هذه المؤسسة . .

ففى عام ١٨٦٦ وعند افتتاح هذا المجلس لأول مرة تواترت قصة مؤداها أن أعضاءه رفضوا الجلوس فى المقاعد الواقعة الى اليسار لأنها تعنى أنهم معارضون، وهم يستحيل أن يكونوا كذلك، وكما قال أحدهم «كلنا عبيد افندينا فكيف نكون مقاومين لحكومته» (١)

· اختلف الأمر تماما بعد عشر سنوات، فقد اجتمعوا خارج القلعة، مقر المجلس، بل وخارج القاهرة، فى طنطا، حيث أعلنوا معارضتهم لكثير من سياسات حكيمة افندينا، وقد انعقد هذا الاجتماع فى ٧ أغسطس عام ١٨٧٦ أي، بعد صدور العدد الأول من الأهرام بيومين فحسب، وكان للجريدة مع برلمان طنطا قصة، وان كنا نرى نبل روايتها تقديم تفسير لهذا التغير الكبير..

فمجمل ما حدث خلال ذلك العقد هو الذي أدى اليه..

بعض هذا التغير نتج عن النمو المطرد للرأى العام المصرى، وهو غير صنعه اتساع نطاق التعليم، وتوالى صدور الصحف، وزيادة جسور الاتصال مع الغرب.

البعض الآخر أفرزته تطورات العلاقات مع أوروبا، وهي العلاقات التي نحولت الى تدخل صريح في ذلك العام الساخن من خلال فرض الرقابة الثنائبة واسماء صندوق الدين في نفس ذلك العام.. عام ١٨٧٦! وكان متوقعا أن يكون لتك التطورات مردوداتها، وقد تجسد أهمها في ميلاد الحركة الوطبية، وكان لوجود أسفاني خلال السبعينات في مصر أثره في ميلاد تلك الحركة.

البعض الثالث نتج عن اعتبارات خاصة بأعضاء البرلمان المصرى الداد، ونتوفف عند هذا الجانب من التغير لأهميته..

فمجلس شورى النواب عندما تشكل عام ١٨٦٦ اقتصرت عضويته على «المشايخ الحايزين على الأوصاف المعتبرة» في المدن، وعلى «وجوه وأعيان المداني» في المدن، أكثر من ذلك فقد حرم «الفقراء المحتاجون» على حد تعبير قانون الانتخابات الأولى، ليس فقط من الترشيح للمجلس بل من حق انتخاب أعضائه!

وقد حدث أن أضير هؤلاء ضيرا شديدا ومباشرا من جراء الأزمة المالد عما ترنب عليها من تفاقم التدخل الأجنبي، وهو ندخل توخي مصلحة الدائنين الأجاب بالإساي حساب الدائنين المصرين، وكان أعضاء مجاس شوري النواب يشاونهم المدرون تران

جاء هذا الضبير من خلال التطورات التي حدثت بعد صدور وفائق الله أواده في

أغسطس عام ١٨٧١، والذى قضى بتحصيل ضريبة ست سنوات مقدما على الأراضى مقابل الاعفاء من نصف هذه الضريبة، وهو ما أخذت الحكومة تحت ضغط الدائنين الأجانب فى التراجع عنه فيما تقرر بمقتضى المرسوم الصادر فى مايو ١٨٧٦، الأمر الذى لم يرض الأعيان المصريين وكان على ممثليهم أن يعبروا عن عدم الرضاء هذا.

تعترف الحكومة المصرية أن حالة من السخط، خاصة في الصعيد ، قد سادت صفوف المزارعين وهو ما قرره الأهرام الصادر في ٢ سبتمبر عام ١٨٧٦ بقوله أن «سعادة مفتش عموم قبلي وبعض حضرات المديرين عرضوا على الأعتاب السنية لمأنه (حاصل القول من الأهالي) بتطلب ابقاء المقابلة » مما يشير الى هذا السخط.

فى مواجهة ذلك قبل الخديو إصدار الأمر العالى «لسعادة رئيس مجلس شورى النواب بجمع أعضاء مجلس الشورى فوق العادة بطنطا لمناسبة مولد السيد احمد البدوى لأجل معرفة الحقيقة فى هذا الشأن والمذاكرة فيه والعرض للأعتاب بما يتم»!

ويلفت النظر في ذلك الأمر العالى انه قد أقر أول اجتماع طارىء يعقده مجلس شورى النواب في عمره الذي ناهز السنوات العشر، وانه كان اول اجتماع يعقده المجلس خارج مقره الطبيعي، في طنطا حيث الجو الشعبى الذي يوفره الاحتفال بمولد السيد البدوى (!) بدلا من القلعة حيث ظل الخديو المخيم، وانه كان أول اجتماع يخصص لبحث مسألة من المسائل المالية التي هي من صميم اختصاصات المجالس النبابية، وكانت بداية لها ما بعدها.

واجتمع المجلس في الميعاد الذي تقرر له، ٧ أغسطس عام ١٨٧٦، ورغم ما حظى به ذلك الاجتماع من كتابات في المراجع الا أننا نلتزم هنا بما جاء عنه في «الأهرام» والذي قال بالحرف الواحد..

«صار اجتماع المجلس المشار اليه وعلم من المكالمة (المناقشة) التى صارت ما يفيد تطلب ابقاء المقابلة، وبالمداولة فى ذلك استصوب تعيين قومسيون (لجنة) من أعضاء المجلس للتوجه الى المالية لرؤية ما يلزم والعرض للمجلس عنه، وقد تعين القومسيون وتوجه للمالية بمصر ونظر ما اقتضاه الحال وصارت المذاكرة وتقرر بابقاء المقابلة على ما هى عليه».

إذن فقد فاز «المشايخ الحايزين على الأوصاف المعتبرة» من أعضاء المجلس في هذه الجولة، ورغم ما يقال من أن الخديو اسماعيل كان متعاطفا مع هؤلاء على اعتبار أن تحركهم يدفع عنه بعض ضغوط الدائنين الأجانب. الا أن هذا الفوز كان بمثابة نقطة تحول في تاريخ البرلمان المصرى، بما أدخل جلسته «فوق العادة» التى انعقدت في طنطا تاريخ الجياة البرلمانية، ومما جعل تلك الجلسة نقطة انطلاق في طبيعة هذه المؤسسة استكملت مقوماتها خلال السنوات الثلاث التالية التي كانت في نفس الوقت السنوات الثلاث الأولى في عمر الاهرام ، والذي لم يكن بعيدا عن متابعتها.

واجه القائمون على تحرير الأهرام في متابعة ما كان يجرى في القلعة بجلسات مجلس شورى النواب مشكلة يكن أن يستشعرها القارىء من خلال طبيعة تلك المتابعة..

تمثلت تلك المشكلة في رغبة اهرامية جارفة في تقديم أخبار ذلك الذي يجرى في المجلس، وكان واضحا انه بالغ الأهمية ، وفي توخى الحذر حتى لا يؤدى هذا التقديم الى وقوع الأهرام تحت طائلة العقوبة لخروجه عن مقتضيات الرخصة التي حصل عليها بعدم التدخل في شئون البوليتيقا، وكان عليهم أن يجدوا حلا.

فى تقديرنا ، ومن خلال استقراء «الأهرام» وليس قراءته، فان الحل الذى عثر عليه سليم تقلا سار على محورين..

المحور الأول بدا فى عملية جس نبض لجهات الرقابة الصحفية بمحافظة الاسكندرية والتى كانت تتولى هذه الرقابة، وقامت تلك العملية أولا بنقل أحداث المجلس عن «الوقائع المصرية» ولم تحدث ردود فعل، فتحولوا الى النقل عن بعض الصحف التى تصدر فى المحروسة، أى القاهرة، ولم تحدث ردود فعل أيضا، عندئذ انطلق سليم تقلا ينقل عن مصادره الخاصة وينسب ما ينقل للأهرام دونما خشية من ردود الفعل!

المحور الثانى بدا في الفرصة التي تلقفها الأهرام في مطلع عام ١٨٧٧، والتي جاءت من خلال اصدار أول دستور، أو «قانون أساسي» بلغة العصر للدولة التي كانت مصر مازالت جزءا منها، ولو من الناحية القانونية.. الدولة العثمانية، وهو الدستور المعروف باسم دستور مدحت باشا.

وكان «الأهرام» من الجرائد التي احتفت احتفاء بالغا بهذا الدستور خاصة لما يتصل بانعكاساته على الشام الذي لم تكن بعد قد انقطعت روابط أصحابه به.

بدا هذا الاحتفاء فى تخصيص خمسة من أعداده، من العدد ٣٤ الصادر فى ١٣ يناير عام ١٨٧٧ الى العدد ٣٨ الصادر فى ١٠ من الشهر التالى.. تخصيصها لايراد نص الدستور تحت عنوان «القانون الأساسى فى عالك الدولة العثمانية».

بدا أيضا فى التعليقات على الدستور والتى جاءت مفعمة بأسباب التعاطف مع مدحت باشا واصلاحاته، وقد انتهز كاتب تلك التعليقات، والذى لا نشك انه كان سليم تقلا نفسه.. انتهز الفرصة لسوق بعض الايحاءات بأثر صدور الدستور العثماني على مصر، وانه ليس أمام المصريين سوى المضى فى نفس الطريق.. الطريق الدستورى.

والحقيقة أن سليم لم يكن في حاجة الى مثل هذه الايحاءات فان ظروف مصر كانت قد أنضجتها لقبول التغيير في المؤسسة البرلمانية وهو التغيير الذي بدت بشائره مع اجتماع طنطا..

ولم يكن على الأهرام سوى أن يرصد أحيانا ويتابع أحيانا أخرى ويتخذ المواقف أسيانا ثالثة..

大大大

أي «محله المخصوص في القلعة العامرة» على حد تعبير الأهرام بدأ مجلس شورى النواب دورته العادية بعد أربعة شهور بالضبط من اجتماع طنطا، وهو الاجتماع الذي كان يحضره في العادة الخديو في احتفال خاص وصفه «الأهرام» بقوله: «وفي نحو السادسة شرفه حضرة الجناب الأفخم رسميا حيث كان الجميع في انتظاره فأطلقت المدافع بقدومه الشريف ولاطف من حضر فيه بأنواع الملاطفات وكامل الالتفاتات وألقى عليهم مقالة ـ أي خطبة ـ عربية فتلقوها بغاية القبول» ونتوقف عند هذه (المقالة) لما أمن أهمية في تاريخ البرلمان المصرى.

اهم ما جاء في الخطبة الخديوية الاعتراف بأن أفكار الجميع كانت مخالفة لما جاء في مرسوم ٧ مايو ١٨٧٦ «لما هو منصوص به من جهة ابطال المقابلة » وان الترتيبات قد اتخذت لتلبية ما هو مطلوب «بناء على افكاركم وتصميمكم بابقاء المقابلة على أي وجه أمكن».

وقد حقق برلمان طنطا من خلال هذه التطورات المبدأ الذى تأسست عليه الحياة البرلمانية فى دول العالم من قبل: مبدأ: « لا ضرائب بدون تمثيل No taxation وهو المبدأ الذى استقر ابان الثورتين الأمريكية والفرنسية خلال سبعينات وثمانينات القرن الثامن عشر، أى قبل اجتماع طنطا بقرن!

بدا ذلك في أول مناسبة احتاجت فيها الحكومة الخديوية لفرض ضريبة جديدة، وكانت بعد اقل من عام من برلمان طنطا..

المناسبة كانت الضريبة التى تقرر فرضها لتمويل القوات المصرية التى رؤى ارسالها للمحاربة الى جانب قوات الدولة العثمانية فى حربها مع روسيا مما دعا الخديو الى الدعوة الى جلسة أخرى «فوق العادة» وكانت ثانى جلسة من هذا النوع فى أقل من عام.

جاء فى دعوة الخديو لتلك الجلسة بأن مصر لن تستطيع ان تشارك فى الحرب «بدون الوقوف أولا على معرفة كمية المبلغ الذى يمكن للاقليم أن يخصصه لهذا الأمر» وهو ما فعله المجلس حين قرر فرض ضريبة لتمويل الحرب قدرها ١٠ فى المائة، ولا شك ان اسماعيل قد تذرع بقرار المجلس فى مواجهة حالة التذمر التى شاعت فى أعقاب فرضها.

من جانب آخر فان هذه الدورة التي انعقدت في طنطا قد أفرزت الأول مرة شخصيات برلمانية لعبت دورا هاما في تاريخ تلك المؤسسة، منها عبد السلام المويلحي، محمود العطار، عثمان الهرميل، بديني الشريعي وغيرهم ممن اصبحوا عمدا، ليس للبرلمان المصرى فحسب انما للحركة الوطنية التي ارتفع مدها خلال السنوات التالية.

انعكست كل تلك التطورات على موقف الأهرام من البرلمان المصرى، فبعد أن انتقل من مرحلة النقل عن الصحف الأخرى الى مرحلة الرصد باسمه فانه قد انتقل الى مرحلة جديدة هي مرحلة المطالبة بالانتقال من عصر مجلس «شورى النواب» الى عصر «مجلس النواب» أو ما أسماه الأهرام «مجلس الأمة» في مقال نعتقد انه كان من أقرى المقالات التي ظهرت خلال ذلك الوقت حول هذا الموضوع.

المقال نشره الأهرام في صدر صفحته الأولى في عدده الصادر في ١٣ مارس عام ١٨٧٩، والواضح انه كان بقلم «سليم افندي تقلا» نفسه..

عنوان المقال «الوزارة المصرية ومجلس النواب ومستقبل البلاد»، وكان مما جاء فيه.. «اما مجلس النواب أو مجلس الأمة فهو القوة الحقيقية للحكومة وأساسها الوطيد ودعامتها المتينة لأنه يشخص (عثل) الأمة وليست الحكومة الالها. وكنا نود أن يأذن لنا المقام فنشرح كيفية تأليفه وتآلفه وشروط انتخاب أعضائه بموجب القوانين المسنونة في أوروبا ثم نقابل هذه القوانين بالقوانين المرعية في بلادنا التي لم نقف على مجملها الي الآن (!). ويسونا والله أن نرى هذا المجلس عديم الحقوق والنظام مع ما له من الأهمية بل يسونا أن نرى الحكومة متغاضية عن تأييد حقوقه هذا اذا لم توجه مطلق اللوم عليه لانه تهامل وأغضي عن طلب ما له وارتضى بأن يفقد أجل لوازمه أعنى الحرية التي يلقى عليها معول أمره فهو المشخص للأمة والمدافع عنها ووكيلها والذائد عن حوضها ».

ويشير هذا المقال الى أن الأهرام قد ذهب بعيدا وطالب بتحويل جذرى فى المؤسسة البرلمانية .. أولا من ناحية تغيير الاسم فقد تجاهل فى مقاله التسمية «بالشورى» التى كانت تضفى الطبيعة الاستشارية على المجلس هذا من جانب، وأن يكون ممثلا حقيقيا للأمة من جانب آخر حتى انه استخدم تسمية مجلس الأمة وهى تسمية لم تكن معهودة فى مصر وقتئذ، ولم تستخدم الا بعد نحو قرن، فى المجالس النيابية التى أقامتها الثورة بعد عام ١٩٥٢؟

وقد دعم الأهرام حملته في هذا الشأن بمقال آخر في صدر صفحته الأولى في العدد الصادر يوم ٢٢ مايو من نفس العام تحت عنوان «الحكومة الشورية والقطر المصرى أو الحرية في مصر» كان مما جاء فيه «.. ولذا كان الاهتمام بتأييد مجلس النواب من أجل المطالب وأكملها فانه وحده يكفل للراعى المحافظة على حقوق الحرية بناء على كونه نائبا عن الامة ويضمن للرعية المراقبة على عدم العبث بالحرية ثم يخلص من هذا الى القول فمجلس النواب والحالة هذه يعتبر قطعيا تدور عليه رحى الأعمال فان من مبادىء الشرائع العادلة المرعية الاجراء في جميع الممالك المتمدنة أن يعتبر الحاكم للرعية للحاكم» ولم يمض وقت طويل حتى كانت قد تمت الاستجابة لجميع مطالب الأهرام في مشروع الدستور الذي وضع في ٢ يونية عام ١٨٧٩، وللأهرام معه قصة.

يعترف الأستاذ عبد الرحمن الرافعى المؤرخ المصرى الشهير فى الجزء الثانى من كتابه المعروف «عصر اسماعيل» بأنه بحث عن أصل هذا الدستور فى الوقائع المصرية فلم يجده ثم بحث عنه بعد ذلك فى محفوظات مجلس شورى النواب فلم يجده أيضا، وبعد بحث عثر عليه أخيرا فى مكان واحد هو جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى ١٧ يونية عام ١٨٧٩، وهذه معلومة صحيحة وان كانت ناقصة..

فالعدد المذكور من الأهرام قد نشر الجزء الأول عما أسماه «لاتحة مجلس النواب المصرى الأساسية» ثم استكمل نشر تلك اللاتحة في العدد الصادر في ٢٦ من نفس الشهر.

وقد استلفت نظر الأستاذ الرافعى فى هذا الدستور «البون العظيم بينه وبين نظام مجلس شورى النواب القديم، والذى خول حق اقرار الميزانية وجعل الوزارة مسئولة أمامه».

استلفت نظره ايضا تخويل سكان السودان حق انتخاب ممثلين عنهم في المجلس فيما تضمنته المادة (٣٤) من أن «أعضاء مجلس النواب لايزيدون عن ١٢٠ نائبا عن فيهم نواب السودان حسب البيانات التي تتوضح الاتحة الانتخاب».

إلا أنه لم يستلفت نظره بنفس القدر ارساء مبدأ النيابة عن الأمة الذى تضمنته المادة السادسة، ولم يستلفت نظره أيضا تقرير مبدأ الحصانة البرلمانية التى تضمنتها المادة (١٥)، كما لم يستلفت نظره أخيرا هذا الأخذ الصارم بالفصل بين السلطتين التنفيذية والتسشريعية .. في المادة (٣٨) التي نصت على أنه «لا تجتمع وظيفة النظارة (الوزارة) والنيابة في شخص واحد» وفي المادة (٢٠) التي نصت على أنه « لا يجوز قبول متوظفي الحكومة ملكيين (مدنيين) كانوا أو جهاديين (عسكريين) ضمن اعضاء مجلس النواب».

ما لم يتنبه اليه الاستاذ الرافعى بقية التانون الأساسى الذى نشر فى عدد آخر من أعداد الأهرام يهمنا منها ما جاء متصلا بنظام «انتخاب أعضاء مجلس النواب المصرى» وما دخل على هذا النظام من تغير عما تقرر عام١٨٦٦.

ففى القانون الصادر لتأسيس مجلس شيرى النواب فى ذلك العام رأت الحكومة أن تنوب عن المصريين فى انتخاب نوابهم فيدا باء فى المادة السابعة التى قالت: «حيث أن كل بلد عليه مشايخ معينون برغية الشير الى فبالنلبع هم المنتخبون من طرف أهالى ذلك البلد أو النائبون عنهم لانتخاب العضر الطلوب انتخابه فى القسم» (!)

أما القانون الجديد الذى انفرد الأهرام بـ شره فقد أعطى حق الانتخاب لـ «أهالى القطر المصرى» من رعايا الدولة العشمانية على ان يكون من دافعى ضريبة لا تقل عن ٥٠٠ قرشا على الأقل، وكان مبلغا كبيرا بمقاييس العصر الاقتصادية.

بيد أن هذا الاشتراط المادي تم تجاوزه بالمسبة لرجال الدين، العلماء والقسوس

والحاخامات والمشقفين، المدرسين وأرباب الوظائف وضباط العسكرية المصرية والخاخامات (المحامين) والأجزجية (الصيادلة) والحكماء البياطرة!

و يلاحظ أن هذا الدستور الذى لم يوضع موضع التنفيذ بسبب تلاحق الأحداث ، ففى نفس يوم نشر الأهرام للقسم الثانى من الدستور ، الخميس ٢٦ يونية ١٨٧٩ وصلت من استنبول البرقية التى تطلب من اسماعيل «التخلى عن حكم مصر واسناد منصب الخديوية لصاحب السمو الأمير توفيق باشا »، وكان على المصريين أن ينتظروا ما سوف يحدث بالنسبة للبرلمان بعد ذلك وان كان الجميع ، عن فيهم الأهرام ، لم يضطروا الى الانتظار لوقت طويل ا

● مراجع الفصل الثاني عثير:

التاريخ	رقم العدد	
\AV\/ 1 /Y	0	
1471/1/17	٨	
\AV\/\Y/4	14	
1444/1/14	37	
1400/1/14	70	
1444/1/44	77	
\XYY/Y/Y	YV	
\X\V/Y/\.	٨¥	
1444/0/11	٤١	
1441/4/14	147	
1441/0/41	731	
1444/1/14	189	
1444/1/17	101	

ـ د. روف عباس حامد، الملكيات الزراعية المصرية ودورها في المجتمع المصرى ١٨٢٧ . ١٩١٤، القاهرة ١٩٨٣

ـ عبد الرحمن الرافعي ، عمر اسماعيل (جزء ٢)، القاهرة ١٩٤٨

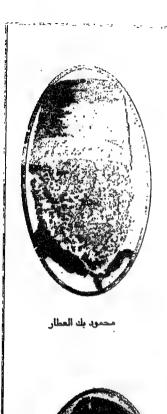
ـ د. يونان لبيب رزق، قصة البرلمان المسرى، القاهرة ١٩٩١

الحوادث الداخليه

" أور فروه الاند الماهرية قالاً من الوقائم ما قد الموروه الاند الماهرية قالاً من الوقائم ما قد الموروه الماهرية قالاً من الوقائم ما قد الموروه الماهرية في علم الحصوص الله أكر في الماهرة في علم المحصوص الله أكر في الماهرة المحتوم الماهرية اللازمة والمحتوم في الماهرية الماهرية والموجهة في الماهرية الماهرية والموجهة في الماهرية الماهرة المحتوم في الماهرية الماهرة المحتوم الماهرية المحتوم الماهرية المحتوم الماهرية المحتوم الماهرية المحتوم الماهرة المحتوم الماهرية المحتوم المحت

رالتي عليم مثالة عربية لاملق بالمثناء فنانوها بناية الفيول ويجتانها اطالت الدافع نائرًا على العادة الحسنة الجارية في كل صله وهند الاستعمال بالمربد كرير على احسن مال وأتم من الربدة بحواهر الفاظما المنيدة صورة المثالة الذريدة مجواهر الفاظما المنيدة و

بعد ما ابدى لكم منونتنا من اجناعكم لبعض مسائل مهمة نقول اولاً انه كها هومملوم لدبكم ان الدكريتو الصادر ابتدا ٠ في ٧مابو سه ٧٦ كان موسمًا على اثناق ما يان الحكومة وحمية بالكوات الا انة نظرًا لاحوال معلومة استوجب الامر تعض تحديلات فيؤ لاجرا. منشاه وبما انذمن بدر سدور الدكربنو المثني هذكانت افكار الجميع عالنه ال مومنصوص يومن عيه ابطال المقابلة قد مـاراجنهاعُكربطنطا وحصلت المذاكر، في هذا الخصوص وإعطى النرار منكم بابتاء المنابلة والكونه في هذا المدة نمين من طرف الديانة الانكليزيين وكيل ملوض عنهم وهوجناب المعتمم موسيو (جوشن) ومن طرف الدبانة الفرنساريين جناب موسيو (جريم) ققد حصل الانناق مهم على ما يتعلق بنسوية الديون بالكبنية التي يتندم لكم جبع تفصيلاعا وما بلوبا من طرف نظارة المالية محسب طاسم المحلس وني سنية على فراركم المبين به وجهان احدها ابناء المقابلة وإلاَّحر بيان ما هومحنق لكم من ابلاغ الابراد بعد مدة المفايلة الى ثبانية ملايين ونصف تفريبا ولاجل أمكان موازنه مالية إمحكومه بعدالمقابلة بالملغ المذكوروهوالثمانية ملايين ونصف تمريبا الزمت الغروره جعل الابراد في مدة المنابلة ثابتًا عدريًا مهدا تااكن خعم الامتياز منو پاکا کان جار یا بل انتهی الامر فیو علی انه لایخص سنے الملة · المذكورة نظيراندناع اربايوبالمائة خمسة علمو سيفكل سنة وبانتها. مدة المقابلة بالطبع تيمري خصم ذلك الامتياز بتمامهِ وهذا هو بناء مل انكاركم ونصمه كم بابناء المالة على اى وجد امكن فالذي امكن هرالذي تندم الايضاج عا باضه ارافكاركم والثاني النظرف علمات الوجه البحري التي ننقدم لطرفكم من نظارة الاشغال وإنَّه الموفق لكلِّ





الاعزام والزلت لنتر الاعازبات العالب ل السكورية عن سه وإحدا ثلاثة وعدرون بريكا ص عد البوخ - عدر در كا والأنها ل العارج د . . عن ساة خيدها انهر الراك

ومكاشات وإيروا

حَمَّ الْكَامِاتِ اللِّي تَرِيلِ الْبَاعْتِيادُا بِالأَثْمِامِ بِينِ الممكر معالدة الاحرامام سلم امدي علا تبروالامرام و" ل أواربها عل شارع المورس أمام بلك الرمونات Learning of

. 11 11 ... 18

ا • وَالاَ العرام (المارج •)

اماء وكاذ الامرام "لاكرني الحرائمويدة عـ دو-رد عل ويكن المسول عل الامرايل الاماكن الى ألى يها وكالإ بارسال حواله ال مدرما او بارسال طوام الرساء س اي ترع كان عل قدر شده ۱۲ شترا اد لمن كل تتماس الأمرام ذات أو بع مشات صف مرك

المرانز ١٢ عادي الاعربي الاعرب

(مدورما في بين الجسمة من كل اسوع)

يوراغيس ل ١ احريرانا دوار است١٨٢١

ا ۱۸۲۱ (یونو) سه ۱۸۲۱ بعراءً على الجلس من أبيواء النافع ويسترون الحسير

秘

ار سد،و ريامة درجات ار،

أرل الادياع العالى ر ۱۱ مذاكرات الواب رساراتيم ل انجليك الدرمة بكون علية وم ذقك قانا يوزأن تكون سرية عي طب ذلك أحد الطار أو عدرة بن الواب والر

> ۱۹ آگورز بس احد الواب ولااتله دوري طو له الماء مدة امتاد الهلي ما له يك غرار مادر س لائي المذكرر وبذا ليا معا الاحوال ألى بنبط لها الله اللهاب مائة كرى علماً بحماية جسيه على التعل

١٦ اذا صار الليض على احد الموات سافة كُوع عنب بها، وشع له اله بن لبسل المهر عد قرقهن عمل النواب حالة جنو ويه به الافراع عن والله. الباب ارتزاب الدمري مأول الناسدة إساما فلى اذا طَفَ الْمِلْيِ الْمُذِكِّيرُ وَالَّكُ

١١٠ وطيلي اعل أيت أيشه ١١ تراج اوتولك الدعرى الأكان احد الواب سار البض علو وجن لي خير شاء اختاد الجلى

(13 كل من المياب من ليل فادياد والبنا الباية بُدَارِ بِمَا بِالْهِلِينَ عَلَائِدٌ عَلَى النَّاسِرِ بَانَ بِكُوتَ سادقا للشره الخديوية وإن لاجون الرطن وإن كبالط على راعاء ليأنين المكوما بأن يوندي الوطيقة الل أحيلت عالم عا يكون لو شير للوطن

١١ يغرولكل من المياب سباع عفرا ١١١ فريل سم) فالمراساتيات شرود وإنادي ويعرف 8 ما يتنس ذاك ل كل عير من شلاك 14 شير المورد لاحلاد الحتر، من فأراخ اصفاده فيث اذا خصصت واللَّ אים אים וכולים ההעם שלו אל. قرق للكالما اذا كان لي بمراقبه إصل العالد المبلس لولي المساولال يكون لم شياع ۱۸ ان كان الدنى تبين بدئا وصد دفك الدل في الله الإجامات ارسول لا لمة ما ياما مدا اللوولة ع لمط الروايث لا إباول الهفرة 40 وبش اما تواب بيوات السودان ارسرف لْهِ إِذَا مِنْ ذَاكَ سَارَ مِنْ الْفَرِيا لِلْهُ مَرِدُهُمُ الْمُأْوَا إلى الإيموز المول سوطن الحكوما ملكيين كاموا ال براد بيوس اعداه عبلس البهاب ماعدا تظار أأرووين ويعنى الافالع ووكلاام طلامين ووكلاتم

شرر: ان لا بمأووط عن عن الواب بالعدد 11 لافور الدارلا في امر ما يطريقا معمد معيدة ١٧ قا كان مرجرة بالبلى عدا احداد ولا يحسد فون ١٧١ ساء المدكورين الماتيون باجارد وحها بل يشترط ان بكور الكذال من الماضر بن بالملي ولا يعد قرار" ص مرادانو ۱۲ اذا از راهٔ اعلیه اعامرین دمدنسادی، الارا كون رأي الراس مرجمًا لرايبالمريق الدي يكون

۲۲ لاكور السد الراث تركيل عرد إلى ابدا رابد ل معامر ابداد ولم

۲۲ ادائی آکل سری خار لمدن ۱۲ تمام ان بادم الماس عرصاً وإسعاء احد الراب و بعد ان بحال المأر فيو على كوسيون الطلق يُحكم بناه على الفترير الدي ودمالة من ذاك الكومبور. بأرل ذالك الدرس

ال كل عنس بحول المهة يظدم العلى بمير راسا من أملل من المربرات إلى أصل عامومو ن طدما لم يسل 6 عدية ال الما ير المال و ذك التلب اوكل المهة الناح فا المتهزأ وتحير ٢٠ الايمور السلس أن يابل احد بري الويا السالة هل تلمو الربالوكان عن جامة للفكار أن أمر ١٠ ولا أن يحوقولأس أحدسون أخساء تظام الدراوس ومشوسيم

٣٦ ان عدارل استاع جلي الراب بس يلى الطاران يدم 8 حي الرافي والماس والمعروات الهاري الدول بها إن المكونة ليطرقها وجامها ويصدر قراره طيها وإدري الصديق ولها س المصرة المديوية فكون دعيرًا السل

١٧٠ الدومع التراس والقرائع بكرن ابتداه إ-الخار لم تعرض على مباس الرأب السار ديها والجمها عبد لا يكون الناس سيرًا أو دمورًا للمل ما أ ول معلى الراب منا فيعًا ويعل ما الترار وعرور الصديق ملو الدسرة المديرية رجوز الواب مراماة المطه الدوتها وحب متضاف الاحوال وطروف الارالت ان بنيروا اربقوا ارجدلوا اي لابونم اللؤين وإن بدس بودها ومن جانيا طاء الأذانة

٢٦٠ اذا رنش على الراب نابر) من الرابث ادٍ بِذَا مِنْ بِهُودِنا مَا يَسْرِما عَلَى الطَّارِ فَلَا عرر قديد ال على الراب عايا ل الله عدد اسعاد،

٢٩ الحكر باعد اعباب الراب يمعن بالحلى درن

الكاد الزسر: اش بار، استالما أن الحلس بالله :

. و کین اعلا طاید ۱۷۱۰ والدورد ۱۲۹ وال أما بالندا بالام ار سلامات طامرة او يرضع الزاء سراً

ل السدري

ران الإفراب

er الحد الاداء بالدا بادام لايگون الأمائترار س البلس بناء عني نااب بمدل من أحد المواب ويستمك ارد سا عثرة منم واعد الاواه موسها سرا المصدوق لا وكور ١٧ نيا ودل عديد الماس (عل اليمال إس ار الركاة، وإلكاب إعماء شكوسر الشوما شاء دالته) ٢٠ كافحة اواراء على المعالب المواعلية سَلْ بِعرا و ٢٤ اعداء عشي الواب لايل وون عن ١٢٠ مايكا يا فيم نياب السودان حسب المياث اللي تواح بالأنه

ه ۶ سرمی ملی الواب یکونها دروسه حداثاری All tole 27 المألومة ولور امام مملن الواب عن كاما ورميل وبربيال الله أن باداراتهم و مه عل ذاك يتب على تبلس الما والمادوة ال واسع خامون لهاكمة الطارعد الالصة وعرف على على الواب

٢٧ ٧ تيريال. ليلرمادرس اسكرت ما لم يكن مصاً من المُعاظِّر الشَّعَى ، وطالمًا الحاس . مسيد أواجع (17,17.14)

٨٦ كَاتِجْتِع رِبُهُ الطَّارِةِ بِاللَّهِ الْمُعَارِدِ وَاللَّهِ لَا يُعْمِرُ وَالسَّدِ

(راحع بند ۲۰) ٩٦ ، ورلكل الرات بمسرق طبات على البواب او ان يرسل لا احدكبار سوطي دا ترنو بالبابة ها بشرط آن لا یکون داك اغومت می مس افراب ۱۰ بهور الطار وقدر بهم امن سكارا في الملمي بشار كانا ۱۷مرراض بطلبي، النكم فيها

 الااطرات شروردمها جدًا نبتارم المادرة ال اعد ١٧-تباطات اللارعة لرعاية المكرمة من عمار د به بنال ۱۱ ار ^{۱۱} ماضلا عل ایش اغیری وکان علم الخاب غير معند لميموز لحلق المطاران يترز باسراء عآ يلرم احرارة أعت ستوليوم بالمديق على ذلك بالترار من ألصرا الديوية إدري الحل عل مشتباة بدرط ان لا كرن عناقا غائران المعين عذا ولدى العاد السلى الرأب بمبرر شدوة الرو

۱۲ اذا را آن فلماب افكام في سنر وإد خلال ، يتدم لم من المثار الجري المداولة اجا و يرسل اخطار يدلك أدلى الطار وصد لانها ايام من ناريح ارسال والك الاصافران لم يرد من على الطار اوجه المع من الدكرة لها وقر الواب عل الول الله الارب عليم أن شديع مدارقهم و يصدر يل قرارم فيها ١٤ اللطار باريدين بالحارية عن كل ما يسالون دو من صلى الوات أما يان بارسارا العلى باسم او يات بعديها أحد كيار منوش دواترم شعاريا بالبياية عيم مفرط أن لايكون فالمه المتوطف من مس

 برو الطاران درخروا تمارجم عا بسالوں لو بن على الواب عد السريرات الما مع ينات اساب الناغير أكثر ما يكون قبل اعباء شدة احتاع الجلى بعدواتهام ولمربم أن بندسط الحواب إرار الاحواع الثال قلواب رم ذلك بسارله الناسر عليم ٥٥ من حارق المواسات بالاحداوا المساريف الهورة بالالا المأسة وإن يلزووا ستشارما ريعب عليم ان بَبريرًا كيدُ الوارداند وكيفها وسرب السرائب والجيليات وطرينا ترربها وارقات تحميلها الانجوز الرب صرية من اي ترع كانت ولا نوز ينها ولا قصيلا ولاتكت الاعلل بني ما الاسد الرار الواب علوكا لا بمرو صرف تيء من مسحصلات للمسرائب لايادا عايتر عاو قلواب

١٦ الدياب ان يطليط حند اساح الحلى المرابة الدورة المعولية الملوسة فلواردات والمعرومات لرطرط الهاوس اروواء باعد الحث اللم لاسل بها ۲۷ في تلك ألسا ويارع أ. المسا أثنابا غر م. براما الماء وعرسها للمواسكا اله. ومكدا سرياً

١٧ أيَّ كُلُّ قوار بعدو في تالين المواب يرسل الحلم الماار لاحراء الصديق عليا من المصرة المديوبة لما الما أجيد فيأرا بدس برد على اللاعد وَالْعَلَى الْكِالُ الْوَالُوفْ عَلَى * وَمَا مَا أَوْ فَيَعَلَّمُهُ تَفْسِمُهُ ن بمِلى الواب

١٤ كال ماب من الواسدة اذا راي تصورًا س اي مامور او ل اي اداراس رات انحكرما اديكم يدِّقك النَّاطر الحندة و الادر ومنا معط ساء المارد

الم المامل المار الدري الاسامة الموكرة في وقت أرس الرباء الواب الدنع الملاقة الإُلْسَاء ومرضها على الجلس ومو دُنسا الله على النطار لماجيًا وجرميا على المبدئ المسرة المديون واد المبدأ إليا كانها المسري الداخل بسبور عدم اللائمة عدياً تعرما الاماتية ول

111.111.

أحرة الرسطاية عرره الالية

ILA HEN A

أي شعر ومائر الإياف المديوبة

في سورية وسائر المالك أحروسا

فاكما بالموازوزن ويبال وكلكه ١٠

آخرة سال ١٧علاب أن السهاد الدل وسهأ الاعبرة فصنساؤه

(مقربة الاشتراك م) *******

ارىك

r.

r.

علُم الْجُلَى

البط الاول عملى الواب يعتكل من الواب اللاس يَشَهُ الْعَالِمِ عَلَ حَسَدَ مِنْ الْمَعَابُ الْاِنْ وَفَحَ بِالْرَبُ 47

٢٠٪ لايليل فالماً من أي يمكرمن وعايا المسكومة المسر ، وبن ﴿ يَكِنَ 6 مِنَ أَلَمَرُ لِلْأَلُونُ سِنَا كَامَلُهُ وَسِنَ ﴿ يَكُنَّ المان كانه الياري الدية والمباسة وكدلك من لم وركو السلات المؤرة بالتأن الاهاب

والم الم الما الكون الات سيين النسأ ويموز تكرار للحالي الموال عد تبديد الاعماس عج بالأاهاب البياب بكيد ل كل الات سيت

ويعد أو بارما شيور بالاقل قبل اول شهركيك إلاي موالماد الحدد لاجعام العاب فيه أ العماء مدا جلى اليَّاب يكون سومًا

مربهات ويعمل الفضافة بالمرحالي بربهات ويعمل الفضافة بالمرحالي 1- "جهول الفشرا القذيولة بمسب مقطعات الاسوال يان وأبريخ الحلق قبل وانوالمين 4 طاد تا مر مدا

ہنا ہے آو کریدشا کریے رہم ا تعلج الجلس انگون چشنود المقات انتویویا يسفيل ويس جلى أضاد بالبابه حيا وعصور يميع الطار والنواب ونتل ليو سالة عديرية يدمه بيا حالة المعارية إلا المناطقة في النها المانية ول الانسطاح مألداً براي بمآكد لودم المالاما في السه اعماله الديم كل دائب بعدر وكلاً عن جن الات المصرية

لكي فصل عن الجهة الل الحينة { 1 * للمات المديد المات في ابعاء اواته وقراراته رلا پیرو آن یکرن احد میم سربیطًا فی رأ به سعلیات لمدرقا أو رهد ورماد ارب ألو

١٠ الماثل إلى عدم من الطار الواب ادم الملاكن فيها جيلى الماب طادًا فرآق فيها طوطات غرى الخامرا مهام عبلى المطار وإنا يكون دالك بنهيكا بميان الادمه والأسياب

أأوا اذا حمل علاك بن مجلى البياب وملى الفطار طامر كل على رأ به مد تكار الحابرا وبات الإساب ولم تسعف المناز للنسوة المديرة الويات الإساب ولم تسعف المناز للنسرة المديرة الديار المناز على المناب وعديد التاب احسانو مل شرط ان لا فهارز مناه ۲۱ تحاف أر بعة لنهر من يوم المتسامو المديوم اجناء وإذا ابد عبلي الواب مد قديد اعداد كَانِ الْمِلْسِ السَّاقِ رَحْبُ لَلْيَاءُ وَيَحْوِدُ اللَّهُ اَنْ لَيْحَبُ المناب السالات أو يستيم (واحم البد =)

١٢ في سال عار صل احد الحرآب استراكا ادرا المع المتأب بدأو يصدة الذي يصيد أتفأه لاصشراذ لغاية محمول ١٧عاب العرب ابن ان عدد البدل لانجار الدد الركاب بالد للا- الاصل ۱۲ رئیں الملی ودکلاہ رکب یکوں نمیم



بيراغيس أن ١٨٧١ (باير) بنة ١٨٧١ (مديره في المسامل كل الموع)

المحكورة في ١٨٢٥ (علم) عدده الم

هكوره الاثو وبا مأتسار أغمري

. او اغریه لیمصو

رايمكا أماسكك سنظل وأماسات وأما مهودي وأن يا ل جل وورام السائد ومن سيب في الانسام المله الماكية فارضا عالاكل سيأ والمه وبأيمه لامد المادرات (فكان ما ليل البيد أكراً الله ح ولكل أنهد من الحسد في المثال ساسية النتاء عثول لأجل ان الإنطار العرب اد كامد ولا وال مسلَّ طلاعه والمالة عديدة وركزة فران سمادن عمل ديدا يديريا ولد للي عليا أت كيريد المحاودة فالم سند عكل خديالم لكان أعاد باط المعاد المصل من بعث عاصول منا عمل والمل المعاد المصل من بعث عاصول منا عمل والما المعاد المصل من مسيحات موسع المهمس فالنون البينج الشكام الدعر و بين علا المينا اللَّم إلْكُمَّ ط دالله عد المراجد بينال أدماب وأسارا طرفاقة الدراميون والراء غير الاست الى فيت القرائض ولادم بإنواء غير الاست معاييم كاستو الهول الديد فالله فالباذ سر الإنجياء إلا الهول الالان طرائعة ريها و النراف ار الاصلاح (الما مع العال) مل ربا وإما الات الأبرّ ال منطقة ألا أعاد الكبل الكورُ باركان بكل الماسر الصدول الى لوث بواد المرا باركان بكل الماسر الصدول الى الوث بواد ن المعلم بعليات بدء ولد عقب في أعن الان عال وراعد إر اوم هاء البارة والناوام الرماة. وهم إ براط بد ادادم فاسرل فالنع وهايد والملا علموالأي وعوك العام المؤاد دوة في بكين (سارف الأسائع وان اواءُ باللم الر باللك واستمل مكا ارداد الرياد واحدد كام والكند يكويع في أنبوه الريايا وكاعد القريسة المتعارج إلى كالأع العربطليمين ويعامون وبالمورو والروا وة وجود ويمود وجاموا وأستون واستون

ا کا کامد مید افغات در ازده ۲ ویام ۱۲۱۸ مارخ دورال استال امسول از ۱۰ ویوکان این نزده او در ۱۲ شداد میکان هرایت ماليها لم مايشا كارج أنام هاله عراد. الأمامين أكما حد حاما ذكرنا ولد لأ و موسود المسالم الله من المساء المراء ال المبدر مل آلا بيا على الماشية حسرا المراء ال وعداء له المكرمات المعرب الول ملامت والمراجع الميالي المراجع المراجع المون والدلاواعوسة فلاداكمية وإنجداد مبارد والم والم السادة في المعامرات في السب

الربيدوا في سيلتملق المترب أن الأيما علم من رها عدياكان إلا جناولة ماه ولوسلاما عبل ولوشكامها مرقات وق موقاتاً بداغ وأي اخارسنا عان وإرعارها سال دل الاسلىدا من المالم الله الاين عامة الم الهاوا الماله دوم ل وعن الأكل الم الدن اللام كالمرل

ولا العرت ساقه المفرق مل خوما ذكرنا وسكا لرية بإعد ١٩٧٨ س موكل ماعد حل عرب من امفراد الهول أفدرجة الساوط المسائلا يسلما بيوس ولكدال الدعرالالن بالزا بأحن فاعرفساء شكاسا كأكدائسة سأطنة بأطهر من كند فالملاد ويباؤا المذب يمتريها فهم سلفنكا وحوف أأصب سنكانا بطالروية عطائموا لح ان ذاك الانسان سيد الحلوقات وأنهما أنا من الفرم الآاعالي تشهيب طساء ومماري ملاساء كلوكت فيمًّ الابرادائيل بصرة الانسادة ووجيًا ال القبل الرسائل الرسة البالعام على الزمان وأنكان وخطوا الاداراد لاللاعظاء والابلية بل الاصلاب والاملاع فانادي شارن الدون بحافرون وللروالو اللأم . اعلام المعلوف لِعربهما ابعة برجهم من-ال اللطاء بين طاع البعل ال بيراغراه الا عما ا 14,14 24 17.4 Nombe French Wilheld كات ابل بن فع بداية، ومن وطالو مرداله المطل افام والرمل الشطير النهد المناوراة حبد حل بتناصي الخبآرالدي فأعلش من أوقك المناتب المدين الطالمن الباد منا المرواصي ميم جواه با "موا بمان وإسل مرعاب الدل عاملاً والاقراطة طائرع أسه الحريا طاءكا كأد الإنسياد كيس تترعذا ه اربهبور پسدان کان ماینا مادم عدل اثمال الرب جروم بعدان كان باينا . وفراد من الأدرا تأخره المصريق كرود الاعسارة لم مثائد السباسة و" فاسا الروع طليقا اصلاً وقوق وحرية حلاً بيود.) ومكلا دوعت المائة وصف بالمائل الدادة الإجاد میں بیل ادر شکاف سل المبالاد ایں دال اسرع اعبداً حيرا صاعب السربولا بالسيل العدير المنظم لحدد مروالال والارولاقال والمقام ما عرد والسائ الدير ومدل علو كل الكالب إنماسد فن السور منهدد ملائدا درع معارا دركك سيب بها عالق ما المرافق ال المردولال المانع الكوا الاستعاميات سرايها اعكره المعيروية

عن و ل الداعرة أن حرائهم لل كان بال ، طرفا بيش لا يات السرية ومر ، عدد وعل علا النال إلى عوكمن عاسق عو دال بنال . أدّ سند مراما الداغريا طك الدار الديرا لاه المرية ، لا يك أن اسال حكوما من الاستبدادية ال الدوروية 6 مترق الدراء الاراد قال الريار الدرب أس يوخما الاطارالمراية بل أن ذاك . إ. ك يعلن والرب والعال والمد والاشار وا طا وكله ميره أما ولا يعدم ودم طرعاتم بإلاهات وسكة معدد الدمامادة عزيد الد الاسعاد وإراد

المؤمرة جادى الاعرب ما ١٠١٩ ي وبالمردة الالمان صدرة خطاء بري في طلق الله - [الماد في ما كان مدن الذياء رحود المحادد مار وال غورانين طامريسي وإله بن والذي وسرر الرنكون المكومة أوروية على الادما لاست في الراوا وأك يراسه ١٩٩١م الرحمة والاه م ١٠٠ ير ٠ الن لفروا البراقد اوالأواحة تورد الحال وأس سد الابرام من شير ... والأكساء الأرسة لادم عارفها الدالة وكارامن اصل ما ياع الميران معرار الل بات المرادة بن الراق عد الى من وا ي ربان الرحة بالدال بالرحائل ملاء الحة عم شراخ ما الحدياة مرقرة للماءدة ومن الحرية ليامر ي عثول لأيدى الرحالة عذا النظرام أدسن ودوطر الرباعري ل بيدا أسبها وتطيعا ١٠١٨ أن عود قريب رين الدَّلَّ أن الأكول لا ير الا اقدرع رئي س الك اعراج الرجل من الكافي الدار الذكان الماروسوة رمي ولا أعطاه الإحلب لاوليال والسيبة فاديريتهم والثرس

مل احداثالت اباها صعي الاسم ابن المدائرة ولايو اللاقو على الروة حذريكا الدائرة منونًا إلى معتاراك واعلك ول- الدرية عل أمر مطالبة أصعرفها مثلا واهد بأحد طرمناللة باحبك أبالاستام بالمدين بل غوسه الده را و دره ۱۱ ديا علاا اندر ۱۲ ول د در الدال ولک اکل عربها سع رباء الدروساترساء أبها لمكاونه أد ولصلور الد صمرية المؤيدي ويشيئها ولدود عامية رلا دوبها بالااجها الدينة كرواونادية دووما المسادا باش اسلاما اسادا وحدا عرا وارب مل برهب هيدس مرية غيرمحدله . فاذا طائبة رب اليد بأثمرية العموات بطالبا بالنبل بهاكا تسويد وتسطر بولدا كان الاعطام والدد عبلس الطاحة من اجل المروب يُحدِد الله وحد، بكيل الراق الهاساء على عدو المرو بناه على كونوانات عن الاعاريس الرعا الرديديل مديلات باغراء الهاكا أيرمن مها بهم غررط اعرية ويديك ما يه س الثراب ويسرف يا عالمها وسنالها و، "مها روزندها لانا سائل على اعساده ادين عرسوام علَّا رُحَادُنا واستاكل (و، عل وقال كارس قراس الفاص ١٠٥١ما ، عكوة الرضع حداً كالهامدي ارات الزيرية المداء وكالموداء فدمدا المِلْكًا ﴾ ومن متحرى . ورقت أن الرُّ عم والرَّمة معولًا ولا يدس اقامتاه على مشاعلون فاما رام الاول أمند والزجدانين الداغلة وإدا تات الرداليك يا الرَّانِي رع الله المد طائع - * منهي الرئاب راما! عدد مدر نسناً تدور عليه

وي ١١٩١ ما . من مبلون الدوائع العامة الرعة الإجراء في عبع الريات المعدة الدينان الماكر الروة كالربية الماكر وأدس أن يعدد مذه الثاري وعارساكل سا للنزيل مر أعمل الاعدا الإس

فسوة مديو المنم اودة الله لم وادر سم المكية الإنتينادية الالوط أفيروه وأناء والارهم الث بهناء كل دادمات ال حال المأري و رام مر أا رارة المعنولة الوادس رجال والبيدا فاسل فم أثر ادار. ال عدم وخيم وتراد المكرة الدرو واله عليم على الباب والرطائعة إلى تراب (حرورتنا المبينة) ماكن من امر عربات ويساؤون إلى الداوة علر البياب فكرام وحردو منهم تراجد ببلهم تدوي

(و یکانیان ارتباه م)

عبع الكائبات الل ترسف الباست عامرام دي الدي بالمانية الاسرورام سلر المدود تنفر بحروا زمراع

وعل ادارها على عارج الديس امام سلك أثره وسند

و و وَ وَ الْمُولِ لِي الْمُأْرِيدِ وَ ا

مال ویک انصول عل تومرایان از اگر ای شر ایا وکار برمال حواله ال حارها از ارسال مهام

لل كل احتس الامراع داشد او بع صفائل دو مد مرك

[وأخد لها، ومن الناسا أن يكون لذه المديد عام

سرة جامع الحكم الاندد دور أعماماً رفيل الماتم

المرود المددة مولى الملاه بالرسوة مراود البدرة ولارأ

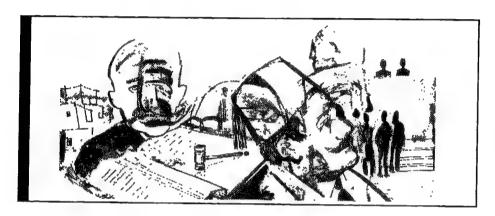
الرساد من أي مرح كان على الدر عدا الاشعاك

.3.2

الماء وكملا بهمرام تذكرايا اعرائكوبيده عدوسيه

الفصل الثالث عشر

الكورادة الأولى



- «أعضاء مجلس النظار بعضهم لبعض كفيلا»
 - وزارة «النافعة» التي تولاها فرنسي
 - المجلس النظار» لا «مجلس وزراء»
- «دائرة الحقانية» المقر الأول لمجلس النظار المصرى
- ■ «المتوظفون الوطنيون» قضية فرضت نفسها على الوزارة الأولى.

الوزارة المصرية بدأت في اغسطس عام ١٨٧٨، وكان عمر الاهرام وقتئذ عامين بالضبط.

وإذا كان لبداية هذه الرحلة بتشكيل الوزارة الأولى قصة ، فان لموقف الأهرام منها قصة أخرى وبينما خضعت القصة الأولى للدراسة التاريخية فان القصة الثانية تكاد تكون غير معلومة ، ونبدأ بالقصة الأولى ..

تشابكت الأحداث على نحو مثير الأمر الذي أدى في النهاية الى مولد مجلس الوزراء المصرى ، واذا كانت الولادة قد جاءت طبيعية فان المولود لم يكن عاديا !

الولادة (الطبيعية) بدت في التحول الذي أصاب المؤسسات الادارية التي نشأت في اطار عملية بناء الدولة الحديثة التي قام بها والى مصر المشهور محمد على باشا، والتي تسمت « بالدواوين » ، وهي التي تم تنظيمها بشكل نهائي في قانون «السياستنامة» الصادر عام ٧ ١٨٣٠.

وتحول الوحدات الادارية الى وزارات أمر طبيعى عرفته نشأة النظام الوزارى حتى في أعرق الدول ، ولعل احتفاظ الوزارة الانجليزية حتى يومنا هذا بتسمية المكتب

office والوزير بتسمية السكرتير Secretary يقدم غوذجا على الأصول الادارية لتلك الوزارة.

المولود هو الذى لم يأت طبيعيا ، فقد جاء من خلال عملية تولى التوليد فيها الاطباء الأوربيون ، وكانوا حريصين على أن يضعوا بصمتهم على جسده ١

المولود اسمه « مبجلس الوزراء المصرى » ، وكان يتشكل بالأساس من نظار الدواوين التي تحولت الى نظارات ، والذى تقرر أن يكون لهؤلاء رئيس وأن يجتمعوا بشكل منتظم ، غير أن الأهم من هذا وذاك « أن يكون أعضاء مجلس النظار بعضهم لبعض كفيلا فان ذلك أمر لازم لابد منه » ، فيما تضمنه « الأمر العالى المؤسس لهيئة النظارة » الصادر في ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ ، مما كان يعنى ببساطة ارساء مبدأ المسئولية الوزارية الذي يمثل جوهر النظام الوزاري .

عبر عن طبيعة تلك التطورات ما جاء فى نفس الأمر من قول اسماعيل أن تشكيل هيئة على هذا النحو « ليس مخالفا لعوائدنا وأخلاقنا ، ولا لآرائنا وأفكارنا ، بل موافقا لأحكام الشريعة الغراء » . . غير أن الظروف هى التى جعلت المولود غير طبيعى.

من بين هذه الظروف أن مجلس الوزراء المصرى قد تشكل رغم أنف الخديو ، وكان

وراءه الدائنون الأوربيون أو ممثلوهم ، خاصة قناصل عموم انجلترا وفرنسا في القاهرة ، الذين رأوا أن مصالحهم لن تتحقق إذا ما استمر الخديو يمارس صلاحياته المطلقة .

عبر عن ذلك القنصل الانجليزى فى قوله ان « كل مفاسد وفوضى الأوضاع المالية فى مصر وكل الظلم الذى يعانى منه دافع الضرائب انما هو ناتج أساسا عن السلطة المطلقة التى عارسها الخديو فى البلاد » ، ومن ثم جاء السعى لانشاء مجلس الوزراء للحد من سلطات الخديو .

ولم يكن أمام اسماعيل سوى القبول بالرأى البريطانى مما أفصح عنه فى الأمر العالى بتشكيل الوزارة الأولى والذى جاء فيه : « وأريد عوضا عن الانفراد بالأمر المتخذ الآن قاعدة فى الحكومة المصرية سلطة يكون لها ادارة عامة على المصالح .. بعنى انى أروم القيام بالأمر من الآن فصاعدا بالاستعانة بمجلس النظارة والمشاركة معه» .

غير ان هذا كان يمثل جانبا واحدا من الجوانب التي أثرت في طبيعة المولود.

الجانب الثانى بدا فى فرض رئيس أول وزارة مصرية على اسماعيل ، وكان نوبار باشا ، أحد كبار رجال الادارة المصرية من الأرمن الذين استمروا يشكلون عنصرا فى تلك الادارة منذ أن بدأ محمد على فى بناء الدولة الحديثة .

وقد اكتسب نوبار جانبا كبيرا من أهميته من خلال نجاحاته فى التفاوض مع القوى الأوربية بعد أن تفاقمت أشكال تدخلها فى الشئون المصرية خلال النصف الثانى من السبعينات ، وهو فى هذا اكتسب ثقة الطرفين ، الأوربيين والخديو اسماعيل .

بيد أن ثقة الخديو لم تكن هى التى مهدت له الطريق لتولى رئاسة أولى الوزارات المصرية ، فلا شك أنه لو كان قد ترك الخيار أمام اسماعيل لاختار أحد كبار رجال الدولة المنحدرين من أصل تركى مثل شريف أو رياض .. الذى أوصل نوبار الى المنصب كان ثقة القوى الأوربية وهو الأمر الذى كشفته الوثائق السرية لوزارتى الخارجية البريطانية والفرنسية ، وقد نم هذا الاختيار عن الجانب الأول من البصمة الأوربية على الوليد الجديد .

ثالث الجوانب من البصمة وكان أكثرها بروزا .. أن يشارك في الوزارة المصرية الأولى وزيران اوربيان ، من بين ستة وزراء هم مجموع أصحاب المقاعد في تلك الوزارة، بمعنى ان ثلث هؤلاء لم يكونوا من المصريين حتى لو اعتبرنا نوبار مصريا ا

ويلفت النظر في هذا الجانب أن الوزيرين الأوربيين قد توليا أهم الحقائب الوزارية ...

المالية والأشغال أو ما كان يسمى بلغة العصر «وزارة النافعة» ؛ ، فالوزارة الأولى كانت تهيمن على كل موارد المالية المصرية والثانية كانت تتحكم فى نفقاتها ، ولم يكن الرزيران غريبين عن الادارة المصرية ؛

الجانب الأخير بدا فى الصراع الذى احتدم بين الدولتين الكبريين صاحبتى المصالح الأهم فى مصر ، انجلترا وفرنسا ، حول المنصبين اللذين تقررا لهما ، وهو صراع تعددت وجوهه...

من هذه الوجوه أن نوبار تخوف من أن يؤدى اذعائه للمطالب الانجليزية الفرنسية الى فتح شهية الدول الأوربية الأخرى للمطالبة بنصيبها فى الوليد الجديد ، فقد حدث فعلا أن طالبت حكومة روما بتعيين وزير ايطالى للحقانية (العدل) ، وطالبت حكومة فيينا بتعيين غسوى وزيرا للمعارف ، وهو التخوف الذى دفع نوبار بعد تكليفه بتشكيل الوزارة الى التأكيد على أن دخول الوزيرين الأوربيين للوزارة الأولى الما تم «بناء على رغبة الحكومة المصرية»!

منها أيضا مخاوف فرنسا من وضع الشئون المالية في يد انجليزى بما يعنيه هذا من سيطرة حكومة لندن على تلك الشئون ، منها أخيرا الخلاف الذى نشأ بين نوبار وفرنسا عن الشخصية التى تشغل منصب وزير الأشغال ، وهى أمور تطلبت وقتا لتسويتها ، باختيار « ريفرز ويلسون » وزيرا للمالية في ٢٦ سبتمبر ، و «دوبلينير» وزيرا للأشغال في ٢٦ نوفمبر ، بمعنى آخر أن عملية ولادة الوزارة المصرية الأولى قد استغرقت نحو ثلاثة شهور ، ونظن أنها أكبر فترة ولدت فيها وزارة في مصر ، ولكنها الولادة الأولى !

هذا ماتقدمت به الدراسات التاريخية عن تأليف أولى الوزارات في التاريخ المصرى الحديث ، ولكن ماذا قال « الأهرام»؟

تأخر « الأهرام » نحو اسبوع فى تسجيل تاريخ ميلاد الوزارة المصرية الأولى ، ويعزى هذا التأخر أساسا الى أن الأمر العالى بالتشكيل أعلن فى نفس يوم صدور العدد ١١٠ من الجريدة التى كانت لاتزال تصدر بشكل أسبوعى ، من ثم لم يكن أمام القائمين على الجريدة سوى الانتظار الى عدد الأسبوع التالى ، العدد ١١١ الصادر فى ٥ سبتمبر عام ١٨٧٨ .

خصص هذا العدد الأخير صفحته الثانية لوثائق تشكيل الوزارة الأولى ، وهي

وثائق تضيف الكثير لقصة ميلاد الوزارة الأولى

أول ماتضيفه «الترجمة الاهرامية» لجملة تلك الوثائق ، فالمعلوم أن «نطق الخديو» لنربار بتكليفه بتشكيل الوزارة كذا رد الأخير عليه قد جاءا بالفرنسية وأن الباحثين قد أخذوا ابترجمة الأمرين كما نشرتهما الجريدة الرسمية « الوقائع المصرية » ، وهو مالم ينتظره الأهرام الذي قدم ترجمته الخاصة وكانت مختلفة..

جانب من هذا الاختلاف تبدى في انعكاس مفهوم الأهرام لقيام المؤسسة الجديدة ، فمجموعة تلك الوثائق تشير الى التسمية التي جاءت في أصل خطاب الخديو اسماعيل بالفرنسية ، وكانت : Conseil des ministres فبينما ترجمتها الوقائع «مجلس النظار» فقد ترجمها الأهرام «مجلس الوزراء»، والفرق كبير!

ترجمة الوقائع جاءت توخيا للوضع القانونى لمصر ، وهو الوضع الذى يقوم على تبعيتها للدولة العثمانية ، وهو أيضا الوضع الذى لم يسمح بوجود مجلسين للوزراء ، أحدهما فى استنبول والثانى فى القاهرة ، ومن ثم لم يكن هناك مناصا من أن يأخذ مجلس القاهرة تسمية مختلفة ، وهى التسمية التى لم يتم التخلى عنها الا بعد سقوط التبعية القانونية للباب العالى عام ١٩١٤ .

ترجمة الأهرام لم تلتزم بهذا الشكل القانونى بل تعامل مع الوضع الفعلى ، وهو الوضع الذى كان يقوم على حكومة مستقلة أو شبه مستقلة فى القاهرة عن حكومة استنبول ، وهو موقف يحسب للصحيفة الوليدة بلا شك !

العبارة الأخرى التى اختلف الأهرام مع الوقائع فى ترجمتها كانت: , je veux dorenavant gouverner avec et par mon conseil des veux dorenavant gouverner avec et par mon conseil des آرجمتها الوقائع «بمعنى أننى أروم القيام بالأمر من الآن فصاعدا باستعانة مجلس النظار والمشاركة معه»، بينما ترجمها الأهرام بقوله « والخلاصة انى اريد أن تكون حكومتى منذ اليوم مقيدة أو شوروية »، ومع مايبدو من أن محرر جريدتنا قد ترجم « بتصرف » الا أن تلك الترجمة تشى برؤية الصحيفة للمؤسسة الوليدة، رؤية تقوم على التأكيد على الاتجاه الشورى ، وهى رؤية كانت قد حكمت مواقفها من الحياة النيابية .

من بين ماتضيفه أيضا جملة الوثائق الخاصة بتأليف الوزارة الأولى التى نشرها الأهرام فى عدده رقم ١١١ وثيقة لم تتضمنها المصادر الأخرى .. تلكم هى الرسالة التى بعث بها نوبار الى «حضرة قناصل الدول» فى العاصمة المصرية، وكان مما جاء قيها : « أما الادارة فستوكد لها بالضرورة مباديء الاقتصاد الحسن .. والمؤكد أن

حكوم تكم تنظر بحين الرضا الى دخول حضرته السامية (يتحد الخديو) في هذه الطريقة الجديدة وأن ميلها وتساهلها يساعدان عمل سموه الذي غرض الى رفقاني وأر ، القامه».

وتؤكد هذه الرسالة التي انفرد الأهرام بنشرها على سقيقة البالاد الأوريل للززارة الصرية ال46 ولي .

أنه إلفان الأهرام قد أشار الى واقعة لم تشر اليها المراجع الآرى بالنسبة لتشكول الوزارة الأولى ، فلم تذكر أى من المصادر أن شريق باشا الشخص المحرب الحرب السياسية الكبيرة كان قريبا في أى وقت من تشكيل هذه الرزارة ، راكب الأرام تقبل انه تد جرت اتصالات مع « صاحب الدولة والاقبال مولاى شريف باشا الأنظم » لشخل أحدى الوزارات ، وتعرب عن أملها أن تسفر هذه الاتصالات عن اقتاده بذلك « فلا تفرتها فوائده وسامى هممه وحرية أفكاره وحسن دراية به ودرايته » ، بيد أن هذا الأمل الاهرامي لم يتحقق أبدا!

女女女

انصبت عناية الدراسات التاريخية التى تناولت الحياة القصيرة للوزارة الأولى - أقل من ستة شهور - على متابعة الصراعات التى ظلت محتدمة بين الوزارة والحديو الذي كان رافضا فى أعماقة وفى تصرفاته أن تفرض عليه الدول نوبار والوزراء الأجانب على هذا النحو ، الأمر الذى دعا ممثل انجلترا فى القاهرة الى التدخل لتحذير اسماعيل من مغبة تصرفاته مع وزرائه .

هذه الصورة لم يقدمها الأهرام سواء لمخاطر الاقتراب من مثل هذا الصراع على جريدة محلية وليدة . أو لأن تفاصيله الدقيقة لم تعرف الا بعد سنوات طويلة وكشف الوثائق التى حوت أسراره .

بالمقابل الصورة التي قدمها لم تعنى بها الوثائق ولم تعنى بها أيضا الكتابات العلمية ، وهي صورة متعددة الزوايا ..

زاوية من هذه الصورة متعلق بمكان ونظام انعقاد « هيئة مجلس النظار » ، أما المكان فقد كان في « دائرة الحقانية » لأن مقر رئاسة مجلس الوزراء لم يكن قد أنشيء حتى ذلك الوقت ، والنظام أن المجلس « ينعقد مرتين في الأسبوع » ، كما أشار الأهرام في عدده الصادر في ٨ أكتوبر عام ١٨٧٨.

يتصل بالنظام أيضا علاقة الخديو بالوزارة الذي قال فيه الأهرام انه «لم يكن يدمضر

اجتماع الوزراء ولا يعترضهم بل كان يكتفى بالتوقيع والتصديق »! وفيما نراه فان هذا الموقف الذى التزم به اسماعيل لم يأت طواعية واغا جاء تحت ضغوط قناصل عموم الدول خاصة القنصلين الانجليزى والفرنسى ، وان كان الأهرام قد اعتبره شكلا من أشكال «نزاهة النفس عن العمل»!

زاوية أخرى متصلة بذلك التقليد الذى أرسى مع كل متغير كبير فى السياسة المصرية .. تقليد إطلاق سراح عدد من المسجونين ، فيسوق الأهرام خبرا يقول فيه انه «بعد تشكيل الوزارة أطلق سبيل مائة من السجن وسبيل خمسة من الليمان» وان كانت الصحيفة الوليدة تقدم لهذا التقليد تفسيرا مختلفا..

فبينما يقوم هذا التفسير في مراحله الأخيرة على أساس «العفو لمناسبة كريمة» فان تفسيره في تلك المناسبة الأولى قام على أساس أنه قد « ثبت أن سجنهم كان مبنيا على غير قوانين شرعية » !

الزارية الأخيرة تتمثل في تلك العناية الكبيرة التي أولاها الأهرام لمن أسماهم «بالمتوظفين الوطنيين»، وهي عناية كان مصدرها ما أخذ يكابده هؤلاء من حملات توفير بسبب الأزمة المالية التي كانت الحكومة قد أخذت تعانى منها . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى مانتج عن السياسات التي توسع فيها اسماعيل بتوظيف الأجانب في شتى الادارات الأميرية !

ففى مقال طويل نشره الأهرام فى ٤ أكتوبر عام ١٨٧٨ تحت عنوان: « الوزارة أن المصرية والمتوظفون الوطنيون » قال فى جانب منه « أفضل مايجب على الوزارة أن تراعية النظر فى حال المستخدمين الوطنيين أبناء اللغة العربية الشريفة بأن تعتبر انهم أحق من سواهم فى الحصول على الوظائف او بقائهم مالكين زمام وظائفهم » ثم يحذر الأهرام ٤ أسماه «بالاعتياض عن الوطنى بالأجنبى » وكيف أن ذلك يؤدى الى وقوع الحسارة من أوجه ثلاثة: «الأجنبى يحتاج الى مترجم للقيام بواجباته.. الأجنبى يجهل اصطلاح البلاد وعوائد الأهلين وليس كذلك الوطنى وصاحب البيت أدرى بالذى فيه، ثالثها ان الفوائد التى ينالها الأجنبى فى هذا الاعتياض إن هى الاحقيقة ماينبغى أن يكون للوطنى » !

وفى تقديرنا ان هذا المقال يشى بموقف مبكر من الاهرام بالانحياز لمبدأ «مصر للمصريين »، وهو المبدأ الذى رفعته الثورة العرابية والتى تفجرت بعد سنرات قليلة من قيام الوزارة الأولى بل وأدت نذرها الى الاطاحة بها.



غل يد اسماعيل عن التدخل فى شئون الحكم ، وسياسات التوفير التى اتبعتها وزارة نوبار حيال العاملين فى الحكومة المصرية خاصة من ضباط الجيش وتدخل الوزيرين الأجنبيين فى شتى شئون الحكم الأمر الذى بدا معه وكأن السلطة قد انتقلت قاما الى أيديهما .. كل هذا كان وراء العمر القصير الذى عاشته الوزارة المصرية الأولى ..

واذا كان الأهرام قد تجنب الخوض فى القضية الأولى. قضية موقف الخديو من الحد من سلطاته بحكم ما كان يحوطها من محاذير، فانه قد اقترب من القضية الثانية بحذر، الا انه عالج القضية الثالثة بتوسع وهى القضية التى نبدأ بمحاولة تبين موقف الأهرام منها ..

طرح الأهرام قضية تدخل الوزيرين الأوربيين في عدده الصادر في ٢٧ فبراير عام ١٨٧٨ وجاء هذا الطرح على شكل تساؤلات .. تساؤل منها جاء فيه « أمن الواجب ان يعتبر الوزيران الأوربيان انهما كمستخدمين مصريين أم كنائبين عن أوربا ؟ » وأردف ذلك بالتساؤل الثانى : « وهل يجب ان يشتغلا قبل كل شيء لصالح الدائنيين أو لصالح البلاد وإصلاحها ؟ ؟ » ومجرد طرح هذه الاسئلة الها يشير الى حسن النوايا التى تناول بها الأهرام قضية الوزيرين الأوربيين ، والتعلق بحسن نوايا الدائنين وهم نظن أن البلاد المدينة استمرت تعيش في أحضانه ، رباحتى يومنا هذا ؟

ويبقى بعد ذلك قضية توفير العاملين المصريين فى السلك المدنى او العسكرى ، والتى أدت أخيرا الى الحادثة المشهورة « بمظاهرة الضباط » التى قام بها ١٦٠٠ ضابط يصحبهم أربعة من أعضاء مجلس النواب فى ١٨ فبراير عام ١٨٧٩ والتى احتجزوا خلالها نوبار وويلسون فى وزارة المالية فى قصر النيل ولم يمكن فض هذه المظاهرة الا بعد حضور الخديو شخصيا، وقد وقف الأهرام من تلك المظاهرة موقفا شديد التحفظ)

فقى عدد الأهرام الصادر بعد يومين من المظاهرة أشارت الجريدة الى ماتسبب عن «إباءة (إحالة) الجند للتقاعد» من حوادث وأن السبب فى ذلك اقتناع هؤلاء « ان ما سيعين لهم لا يقوم بلوازمهم » ، وان أهالى المحروسة « توقعوا حدوث أمر جلل ، ولكن إلتفات سمو الخديو المعظم وهمة سعادتلو ناظر الجهادية وحكمة أولئك الجنود أزالت الوجل»!

ومع أن مراسل الأهرام في المحروسة قد وعد أن يوافي جريدته بما يستجد من تطورات في هذا « الأمر الجلل » فان عدد الأهرام التالي الصادر في ٢٠ مارس لم

يشر من بعيد أو قريب للمظاهرة الشهيرة.

قد يعزى ذلك في أحد جوانبه للحساسية الشديدة التي احاطت بالحادث خاصة ما علم من أن اسماعيل نفسه متورط فيها ، وقد يعزى ذلك في جانب آخر الى ان الحادثة قد سببت قلقا شديدا في الدوائر المالية رصده الأهرام وحرص على عدم تضخيمه، وقد يعزى في جانب أخير الى أن وزارة نوبار قد اضطرت للاستقالة بعد خمسة أيام فحسب من المظاهرة ، وكان من الطبيعي أن ينصرف اهتمام الاهرام الى «استعفاء» الوزارة الأولى أكثر عما ينصرف الى المظاهرة التي أدت الى هذا الاستعفاء ثم إلى المشاورات التي ادت الى تشكيل الوزارة الشانية والتي استغرقت أكثر من أسبوعين كانت الصحيفة خلالها في قلب الأحداث التي تغير مسارها!

مراجع القصل الثالث عشر:

اعداد الأهرام:

	رمم العدد
	111
	117
	1/1
	1/4
	117
	177
	170
	177
^	177
	177
	١٤.
	101
	101
	17-
	137
	١٧٠
	•

⁻ أحمد عبدالرحيم مصطفى مصر والسالة المصرية ١٨٧٦ - ١٨٨٢ - القامرة ١٩٦٥

ـ د. يونان لبيب رزق: تاريخ الوزاراك للصرية ١٨٧٨ ـ ١٩٥٣ ـ القاهرة ١٩٧٠

الفصل الرابع عشر

المتنوق البرالوليولو



- على «جرنال الأهرام» ألا يدرج المواد الموجبة لتهييج لأفكار الأهلية
 - «الأهرام تجاوز الحدود المعطية له في الأمور السياسية»
 - حبس بشارة تقلا واغلاق «صدى الاهرام»
- تحرير التعهد من الأهرام على ٨/١ فرخ ورق كاد يودى بالصحيفة
 - «الطعن في حق الحكومة في قالب مستهجن لا ينبغي ذكره»

بدون سياسة تتحول الى نشرة لا يحفل القارى، بشرائها ، هذه الحقيقة أدركها الأخوان تقلا منذ الشهور الأولى لصدور الأهرام وكادت محاولة تسييس الأهرام أن تقضى على الصحيفة الوليدة قبل سن الفطام مرة ولم تكن قد بلغت الشهور الأربعة ، وبعد أن عبرته مرة أخرى ولم تكن قد بلغت السنوات الثلاث ا

فالسياسة وقت صدور الأهرام كان يمكن أن تتعاطاها الصحيفة الحكومية ، الوقائع المصرية ، وكان هذا التعاطى يتم فيما يشبه البلاغات الرسمية ،أو تتناولها الصحف الأوربية ، وكان تأثيرها محدودا في الجاليات التي تقرأها ، أما في خارج ذلك النطاق فقد كان « محنوع البولوتيكا » ، ومنذ اللحظة الأولى لصدور الجريدة .

يكشف ذلك « العرضحال » الذى تقدم به سليم تقلا لطلب الترخيص والذى نص على انها لن تحتوى سوى على « التلغرافات والمواد التجارية والزراعية والمحلية .. وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضيات والأشيا التاريخية والحكم والنوادر والأشعار والقصص الأدبية وما شاكل ذلك من الأشيا الجايز طبعها بدون أن أتعرض للدخول مطلقا في الأمور البوليتيقية » ! ، وهو تعهد كان صاحب الأهرام يعلم أن جريدته لن تصدر أبدا بدون أن يقطعه على نفسه .

بيد أن الوفاء بهذا التعهد كان يعنى أن يسير الأهرام فى نفس طريق الصحيفة التى سبقته .. صحيفة « روضة الأخبار » التى امتلكها عبدالله أبو السعود افندى وكان واضحا انها تسير فى طريق مسدود فقد اقتصرت على النقل عن الوقائع المصرية من جانب ، وشغل بقية صفحاتها عدم ولى النعم من جانب آخر ، ولم يكن القارىء فى حاجة الى مثل هذه الصحيفة ، فالأصل موجود .. الوقائع الرسمية .

وقد أدرك أصحاب الأهرام منذ صدور صحيفتهم أن السبب فى استمرار صدور «روضة الأخبار» هو العون المالى للخديو ، وهو ما لم يحصلوا عليه ، فلم يجد الباحثون فى بنود الميزانية المصرية الخاصة بالأموال التى صرفت للصحافة عامة على أى اعتمادات صرفت للأهرام أو لمحرريها ، من ثم كان على آل تقلا البحث عن طريق آخر ، ولم يكن سوى طريق السياسة وتحويل الأهرام من مجرد نشرة الى جريدة حقيقية، ولكن الطريق كان مليئا بالألغام ، وكان مطلوبا السير فيه بحذر شديد .

بدا هذا الحذر في تجنب الخوض المباشر في شئون « البولوتيكا » فقد حرص الأهرام في اعداده الأولى على النقل عن الصحف الأجنبية، الأوربية والمحلية ، أو بعض البرقيات التي تنقلها وكالات الأنباء ، وأحيانا النقل عن الوقائع المصرية فيما يمس الأوضاء الداخلية .

وقد تزامن صدور الأهرام مع بدايات الاشتباك بين الصرب والدولة العثمانية ، ولم تتهيب الصحيفة الوليدة أن تخصص بعضا من أعمدتها بل وصدرها ، لتتبع مجريات الحرب ، وهو الأمر الذي خرج عن المألوف بالنسبة لصحافة العصر . الأخطر من ذلك من أقدم عليه الأخوان تقلا من الحاق صحيفة يومية بالأهرام بعد نحو شهرين من صدور، هي صحيفة «صدى الأهرام » دون الحصول على ترخيص بها ، وقد اشترك فيها عدد كبير من « تجار الأرباف وعمدها ومشايخها لاشتمالها على مطلق الأخبار التجارية والأشغال الريفية » حسب ما جاء في أحد التقارير الرسمية ، ولم يكن كل ذلك يكن أن يمر على السلطات دون تحرك !

محافظ الاسكندرية كتب إلى « ناظر الحقانية » في القاهرة يبلغه ان « محرر جرنال الأهرام باسكندرية قد نجاوز الحدود المعطية له في الأمور السياسية الغير جايز تداخله فيها فضلا عن ذلك نامه تشبث بطبع جرنال تلحيق للجرنال بدون إذن » ا

فى يوم ٣ ديسمبر عام ١٨٧٦ ، وكان قد مضى على صدور الأهرام أربعة شهور ويوم واحد ، وصل إلى « سليم تكله افندى بسكندرية » أول انذار فى عمر الجريدة المديد .. الانذار وجهه ناظر الحقانية وقد ذكر صاحب الأهرام بأنه قد تعدى حدود الرخصة وقوانين المطبوعات ، ثم دلف من ذلك الى التنبيه « بأن لا تشتغلوا من الآن فصاعدا الا بالمواد الرخص لكم بالتكلم فيها ويجب عليكم أيضا الامتناع والاحتراس من ويكم تطبعوا في جرنالكم مواد سياسية سواء كانت محررة بقلمكم أو تكون منقولة من بعض الجرائيل » ويخلص التنبيه من كل ذلك الى الانذار بأنه اذا لم يحدث « الاحتال بدون تأخر لهذه التنبيهات » فعلى سليم تقلا أن يعلم انه سيصير « اتخاذ الوسائل انقوية في حن الجرنال المذكور والمطبعة تعلقكم » ؛

رد سليم تقلا على الانذار يؤكد انه لم يخرج « عن جادة الصواب بما يتعلق بالأخبار الداخلية فإن ما كند، أنشره كنت أنقله حرفيا عن جرنال الوقائع المصرية .. وأما ما يتعلق بالمواد السياسية فما كنت انقل الا على سبيل الاستطراد من الجرنالات الشهيرة الخالبة من التعصد. والمقبولة من الحكومة ..، وإن من تكون طويته هكذا لا يعامل معاملة الذنب » !

وام تستمع السلنت لتبريرات صاحب الأهرام وكان عليه أن يكتب تعهدا بأن « لا يدرج الواد الموجبة لا يبيج الأفكار الأهلية عن أحوال الحروب الحاضرة بجرنال الأهرام» واننهت أزمة الأهراء الأولى مع « البولوتيكا » ولكنها لم تكن الأزمة الأخيرة في عصر أدما على !

**

بين الأزمة الأولى من ديسمبر ١٨٧٦ والأزمة الثانية في أبريل مايو ١٨٧٩ كانت الدرب من في أبريل مايو ١٨٧٩ كانت الدرب من في إن كن يق أضفت على تلك الأزمة الأخيرة طابعا شديد الاختلاف ...

من بن طلع أنه بات ما استنبع استحكام الأزمة المالية من تفاقم التدخل الأوربي في الناون المدينة المصربة فابعة في الناون المدينة المصربة فابعة في موضع الدورج الدورج السياسة بلفح كل الوجود!

من بينها أيضا ان اسماعيل نفسه أفسح هامشا لا بأس به للحركة الوطنية انطلاقا من التصور أنها يمكن أن تكون دعما له في مواجهة التدخلات الأوربية ، وقد تمتعت الصحافة بجانب من هذا الهامش ومنها الأهرام بالطبع !

من بينها كذلك أنه قد ظهر خلال تلك السنوات عدد من الصحف الأهلية التى لم تتهيب من الخوض فى مجال « البولوتيكا » مثل أبو نظارة زرقاء والوطن ،مصر والتجارة ، وقد اكتسبت الأخيرة التى كان يحررها أديب اسحق شهرة خاصة فى العمل الوطنى باعتبارها ناطقة باسم الجماعة التى تحلقت حول السيد جمال الدين الافغانى .

من بينها رابعا ما أصاب المؤسسات السياسية المصرية من صحوة، مجلس شورى النواب الذى أصبح « مجلس النواب» ، والدواوين الحكومية التى أصبح « مجلس النظار » ولم يكن متصورا ألا تقترب الصحف من كل تلك المتغيرات المتتابعة بكل ما تخلقه من واقع سياسى .

ونظام الامتيازات الذي استشرى في سائر أنحاء الدولة العثمانية والذي كفل للرعايا الأوربيين فيها معاملة خاصة أخذ يتعاظم في مصر نتبجة لتعاظم المصالح النربية فيها ، هذا من جانب وتعاظم الوجود الأوربي من جانب آخر ، الأمور التي وصلت الى ذراها فلال سبعينات القرن عقب ظهر الأطرام .

ومع مرور الوقت اكتنف هذا النظام في مصر ظاهرتان ؛ أولا عما : تزايد عدد الدول التي يتمتع رعاياها بالامتيازات ، وثانبتهما : أن المابة لم تعد مقصورة على أولئك الرعايا بل امتدت أن يطلبها ، حتى من الرعابا العثمانيين ، أو « المامليين» بالتالعصر.

وقا، وجد آل تقلا في هذا النظام المطلة التي عكن أن نحميهم من مخاطر الاشتغال بالبه إوتيكا ، من ثم أبأوا إلى « القونصلاتو الفرنساوى » وأصبحوا من المعمين من والدرية الفرنساوى » وأصبحوا من المعمين من

ولي أصحاب الأطرام إلى الخواية القرنسية دون غيرها مفهى على خود العلاقة الخاصة على خود العلاقة الخاصة عين الطلاقة الخاصة عين الطائفة التي المحاويا منها عامانة فاليوم الكاكمانات وينا فرنسا فرائ الكائمان عن الثقافة الفيات في الثقافة الفيات على الطائم الكنب أدبائها الكنب أدبائها الكنب أدبائها الكنب أدبائها الكنب أدبائها الكنب أدبائها وينادها وينادها الكنب أدبائها الكنب أدبائها وينادها ويناده

باریس »!

ومنذ وقت مبكر ، وحتى قبل حصول آل تقلا على الحماية الفرنسية فان عداء «الأهرام» للانجليز وتعاطفه مع الفرنسيين كان ظاهرا ، ففى باب الحوادث الداخلية ، وقحت عنوان « القطر المصرى، في العدد الصادر في ٢٧ فبراير عام ١٨٧٩ عقد مقارنة بين آداء كل من ريفرز ويلسون الوزير الانجليزي والمسيودويلينير الوزير الفرنسي ، وبينما اتهم الأول بالعمل ضد المصالح المصرية فقد حيى الثاني لأنه يعمل لتحقيق هذه المصالح !

وعلى ضوء كل تلك المتغيرات يمكن أن نتابع المعركة الثانية من المعارك التي خاضها الأهرام خلال سنيه الأولى من جراء خوضه في غمار أعمال البولوتيكا ا

لم يقتصر خوض الأهرام فى شئون السياسة على الحرب الروسية ـ التركية بل تعددت منيادين هذا الخوض ، من الشئون العثمانية خاصة فى فترة « الانقلاب الدستورى » الذى قاده مدحت باشا ، ثم فى الشئون العربية حتى انها كانت تتعامل مع الشئون الشامية بشكل شديد التوسع ، أما فى الشئون الداخلية فقد اقتحم أبواب مجلس النواب بنفس القدر الذى اقتحم به أبواب « مجلس النظار » الناشىء ، وكلها أمور سياسة فى سياسة !

وفى ظل كل هذه الظروف تفجرت الأزمة الثانية .. الأزمة سببها مقال نشره «الجرنال التلحيق » أى « صدى الأهرام » في ٢٩ أبريل عام ١٨٧٩ .

المقال كان تحت عنوان « ظلم الفلاح » وهو مقال لم يعشر أحد على نصه وإن تم العثور على بعض شذراته ... جاء في شذرة من تلك الشذرات :

« ان الفلاح مظلوم فى ماله وتربيته وينبغى عليه أن يعرف هذا الداء ويعرف أن له دواء وهو فى يده لا فى يد قادته فان كان هو صابرا ذليلا جبانا دون حقه كان المولى عليه مطاعا طلابا جريئا عليه بالمغارم وإلا كان الأمر بالعكس » !

وقد نظر المسئولون الى هذا المقال باعتباره حضا للفلاحين على العصيان ، وعبر عن ذلك محافظ الاسكندرية فى تقريره الذى رفعه الى الداخلية فى القاهرة وكان مما جاء فيه وصفا للمقال انه قد ورد به : «عبارة صحيحة بالطعن فى حق الحكومة ونسبتها للتساهل وعدم الاعتناء بحقوق العباد وتجاوز بأن جعل ذلك فى قالب مستهجن لا ينبغى ذكره » !

بناء على ذلك التقرير صدر اخطار رسمى من ادارة المطبوعات بتعطيل الصدى لمدة ١٥ يوما غير أن الأحداث تلاحقت على نحو كاد يودى بالأهرام وصاحبه ، وقد تباينت الروايات حول ماهية تلك الأحداث ..

وفقا للرواية التى جاءت فى تقرير « مأمور ضبطية سكندرية » ان سليم لم ينفذ القرار رغم ابلاغه به واستمرت الصدى تصدر ولم يذهب الأخذ التعهد اللازم بل بعث «بأخيه الصغير »، ولما أفهمه « مندوب الضبطية » بضرورة تحرير التعهد «حرر تعهدا بقطعة ورق عبارة عن ثمن فرخ ورق بخلاف المقصود ولم يضع اسمه ولا فرمته (يقصد فورمته أو توقيعه) ولا ختمه عليها كالواجب » !

أما رواية خليل مطران فى ترجمته لبشارة تقلا فقد جاءت مختلفة ، قال انه بعد نشر المقال بعث المساعيل بعض الجنود للقبض على أخيه سليم فلما علم بشارة بذلك أرسل أخاه الى « الوكالة الروسية » وذهب مع الجنود الى سراى عابدين فأمر الخديو بسجنه ثلاثة أيام لم يقابل فيها أحدا .

ونحن غيل الى تصديق الراوية التى جاءت فى تقرير ضبطية اسكندرية لأكثر من سبب، فهى قد كتبت وقت الحادثة على عكس رواية خليل مطران التى كتبت بعدها بنحو ربع قرن (١٩٠٢)، فضلا عن أن الترجمة التى وضعها مطران لبشارة تقلا جاءت بمناسبة وفاته بكل ما يحوط بهذه المناسبات من جيشان عاطفى يحيط ويضفى على صاحب الترجمة هالة من البطولات تفتقر الى الكثير من الحقيقة .

المهم أن الرجل بقى فى المجلس لثلاثة أيام لم يتم بعدها الافراج عنه فحسب بل انه حظى بعدها بقابلة « ولى النعم » أى اسماعيل نفسه ومرة أخرى تتضارب الروايات حول أسباب هذا التطور الدرامى .

بينما تقول رواية من تلك الروايات ان هذا الافراج قد تم بناء على تدخل القنصل الفرنسى تأسيسا على متع بشارة تقلا بالحماية الفرنسية فان رواية أخرى تقول انه قد تم بناء على تدخل ولى العهد «البرنس توفيق باشا» الذى كانت تربطه صلة طيبة بسليم الذى وسطه للافراج عن أخيه .

ورغم تضارب الروايتين فانه ليس ثمة ما يمنع من أن يكون الأمر ان قد حدثا ، فتدخل القناصل للدفاع عن أولئك الذين يتمتعون بحمايتهم كان يتم فى أمور أهون من تلك كثيرا ، ولم يكن متوقعا أن يسكت القنصل الفرنسي على ايذاء أى من صاحبى أحد أهم الجرائد المصرية المدافعة عن السياسات الفرنسية فى مواجهة منافستها العتيدة المجلترا ، وفى نفس الوقت فانه كان معلوما أيضا أن البرنس توفيق كان قريبا من قلوب الوطنيين وكثيرا ما اتخذ مواقف الدفاع عنهم .

ولعل الترحيب البالغ الذي قابل به الأهرام تعيين توفيق خديويا على البلاد بعد عزل أبيه في أعقاب تلك الحادثة بأسابيع قليلة اغا كان يعبر عن امتنان الأخرين تقلا من موقفه خلالها عا يرجح صحة تدخله لانهائها ، ووساطته لدى أبيه لاستقبال بشارة .

وقد كتب الأخير عن هذه المقابلة في الأهرام الصادر في ١٥ مايو عام ١٨٧٩ يقول: «وقد تنازل سموه للاعراب عن غايته التامة في انه يود أن تكون الحرية ناشرة لواءها وان الجرائد تراعى حقوقها وواجباتها بنشر الأخبار الصادقة مع ملى الحرية وان مجلس النواب سيراعى حرمة الصحف الإخبارية لتنقل عنه الى الأمة أعماله كما أن مجلس الشورى سيفتح لأرباب الجرائد بابا رحبا فيدخلونه ويلتقطون من فرائد فوائده درر المعارف ويقدمونها للرعية »!

وقد حاول بشارة في هذا المقال أن يعزو ما وقع الى كيد الكائدين وأن من فعلوا به فعلتهم « استندوا إلى أسباب أوهى من نسيج العناكب » على حد تعبيره.

بيد أن الأهم ثما جرى لبشارة ما جرى للأهرام ..

اول ما نتج عن هذه الحادثة بالنسبة للأهرام الأسبوعى أن تعطل لأول مرة منذ صدوره في ٥ أغسطس عام ١٨٧٦ لمدة أسبوعين فلم يصدر العددان اللذان كانا يفترض صدورهما يومى ١ ، ٨ مايو عام ١٨٧٩.

ولم يعد الأهرام الأسبوعى الى الصدور الا بعد أن صدر اخطار رسمى من إدارة المطبوعات الأهلية جاء فيه :

«تقدم في ١٠ جمادى الأولى ١٩٩٦هـ (أول مايو ١٨٧٩) أن أعلناكم ضمنا لزوم تقدم في ١٠ جمادى الأولى ١٩٩٦هـ (أول مايو ١٨٧٩) أن أن تنتهى محاكمتكم بسبب ما توقع وحيث الآن عفى عنكم وصرف النظر عن المحاكمة فلا مانع والحالة هذه من اجراء اعادة نشر الجريدة المذكورة فقط كما كانت»!

وكان معنى ذلك وقف الملحق اليومى للجريدة .. صدى الأهرام نما كان يشكل كارثة حقيقية للدار فقد كانت أغلب دخولها تأتى من الملحق اليومى وليس الجريدة الأسبوعية بحكم انتشاره الأوسع وبحكم الاعلانات التى كانت تحفل به خاصة بعد أن أدرج ضمن الصحف التى يحق لها نشر الاعلانات القضائية بمقتضى تصريح من الحقانية .

من ثم بادر الأخوان تقلا الى مواجهة هذه الكارثة بمحاولة نشر ملحق يومى للأهرام تحت مسمى جديد هو « الوقت » وقد أخذوا يروجون له في العدد التالى مباشرة .

فقد جاء فى العدد رقم ١٤٦ الصادر فى ٢٢ مايو عام ١٨٧٩ وتحت عنوان «الرقت» ما نصه انها « جريدة يومية تجارية سياسية علمية اختارتها جريدة صدى الأهرام عنها نائبة ولفوائدها كافلة ولأخبارها شاملة ولمحاسنها جامعة » !!

وانتقلت من ذلك لمناشدة « المشتركين الكرام والمطالعين الفخام » بتحية هذه الجريدة واحلالها محل القبول ، ولم تنس في النهاية العمل على استرضاء السلطات حتى لا يقع على الوقت ما وقع على الصدى فتقول :

« فعلى الوقت في عدده الأول أن يقوم بوفاء ما عليه لسمو ولى النعم المعظم ولأولى الأمر الكرام أخصهم دولتلو رئيس الوزارة الأفخم » شريف باشا الذي كان قد ألف الوزارة المصرية الثالثة قبل أيام قليلة .

وصدرت « الوقت » على غرار صدى الأهرام .. جريدة « يومية سياسية تجارية » حافلة بالأخبار الداخلية المنوعة خاصة أخبار المحروسة وكان لملحق الوقت بالأهرام هدف اقتصادى محدد وهو أن تستمتع الصحيفة الوليدة بقرار « مجلس الاستثناف» الصادر في ٢ أبريل ١٨٧٨ بتعيين الأهرام ضمن الصحف التي تقوم بنشر الاعلانات القضائية، والأمر الذي خصص له الملحق الوليد صفحته الأخيرة ، فلم يكن الأهرام يستطيع أن يستغنى في ملحقه عن تلك الاعلانات .

ومن خلال السماح بعودة اصدار الأهرام بعد اسبوعين من التعطيل وصدور الوقت عبرت صحيفتنا العتيدة أسوأ أزمة واجهتها في عصر اسماعيل بسبب الاشتغال بالبولوتيكا ، وهي أزمة لم تترك بصمتها على تحرير الصحيفة ، فقد استمرت البولوتيكا عنصرا أساسيا من عناصر ليس فقط صناعة الأهرام بل قبل ذلك وبعده صناعة موقفه والتعبير عن هويته !

بيد أن تلك الأزمة من جانب آخر خلفت أثراً على علاقة الأهرام بولى النعم ، الخديو اسماعيل ، فلم ينس آل تقلا ما كاد يصيبهم على أيدى هذا الحاكم ، حتى أن الأهرام مع ترحيبه البالغ بتولية توفيق في اعقاب خلع أبيه فإنها لم تبد أسفا يذكر على رحيل الأخبر ، ولهذا قصة أخرى.

• مراجع الفصل الرابع عشر

التاريخ		 -	رقم العدد
1/1/1/1/4/4			١٢٥
1/1/1/14			147
1444/0/10			110

ـ د. ابراهيم عبده: جريدة الأمرام ـ تاريخ مصر في خمس وسبعين سنة القاهرة ١٩٥١ تطور المحافة المصرية ١٧٨٨ ـ ١٩٨١ - ١٩٨١ ـ خليل مطران: بشارة تقلا ١٨٥٢ ـ ١٩٠١ القاهرة ١٩٠٢ ـ رمزى مبخائيل: تعلور الخبر في الصحافة المصرية القاهرة ١٩٨٥ ـ عبد الرحمن الرافعي: عصر اسماعيل (جزء ٢) القاهرة ١٩٤٨ ـ كيف عاشت الأمرام بين المطرقة والسندان منذ خمسين سنة الى اليوم نشر صفحات مطوية ووثائق رسمية لم تذع قبل اليوم مجلة مصر المصورة ١٩٢٦ الجوادث المداخلة ووبالها من افارة الملوعات الاملة المعلّارس تبضين تبطيل صدى الامراع شدة خسة عفر يوساً صورة الاخطار

حيد أن جريدة صدى الاهرام لره ٢٠٠ المورخة في 1 من سنة ٣٦ لد خت سخيا تفا لذا للاخطار السابق اصداره انتخراتمال تعطرل انجريدة مدة خسة هغر يواكا على حسب تظامنات المطبوعات ... ولى ذال ذلك ما بال

حضرة صاحبه البهاد جريدة الامرام والصدى

" حيث صدر المكل جديدة صدى الامرام
إصلاً موفدًا مدة * 1 يومًا عل سلتن الاعماد الرس
المندوخ مورة البلاء فيناه على ذلك قد فمرو هذا ابذا نا
الجنابكم لمكون سلومًا في ٢٦ص سنة ١٦ مدير المعلوجات

للما طالب الاعتمار المذكور اجلاً الملوف في عدد الصدى المدين مترد أن نشب على السب الذي لم يسه الاعتمار فا هذا الحب ولك ان حالك سرّان الدان و المناز المحدد با ليسطانكار بافي ما الشان و فرالينا بالاغتماء مين يجب علينا طاحته فاطمنا ولكن لابد من أن تنبل المنية فالسمج لايخل على ذي حيين وكال بالادارة وات شدة امهامنا فرات أن تحكم علينا بفرصة للراحة فاجرت ما اجرت على أن حكم علينا بفرصة للراحة فاجرت ما اجرت على أن حيم ولاينا إلى الذارة واجرت ما اجرت على الدارة واجرت على التحديد ولاينا المرصة للراحة فاجرت ما اجرت على الدارة واجرت ما اجرت على الدارة واجرت على الراحة المارية والتيارة والتيارة

الاعبار النبارية الميا الم تكون لما الراحة الذكورة والسدى المي تحرج مدالا مرب العدى المنا بالادرام بالدس ما مرووا و ورود الرسالة عم المرافلا الرائيس المربرة المنتزكان الذي لانشك المم حافظون حنول حربرة عديم من السين المان منافسة عن المطاور والمدرة التي وغير ناطقة عن الموى كما يشهد كل ذي صدى وبدل ولمرا ما اشارت البد وفدرة احدى المراك المنا في هذا الفان إلا بنيل إن تلفت المو والاتحال عائلا بلومنا فإن مدحما وذمها ميان والوذات مراد الهارا والمان والموانا المان والموانا المان المراك المنا والمنا المان المان المان والوذات مراد الهارا والمان والموانا المان والمنا المان المانا المان المان

ويناء على ما ذكر ترجوحشرة كانهما أن لايما مريا عن أسدار الرسائل المنهدة كالعادة فان الحتى بكامل لم مطلوبهم - رائد ولى التوليق

أخطار رسي وردالنا مذا ١٦خطار مزاداره المعابوعات فسنرياءً كامرها وهو

لند سار ۱۲ ما على الجملى بجريدة مدر الدادر بوع الدوت ٢٦ صرية ٢٦ فوجد نيو بند بحنوي على الرسال طابور من عما كر الإسكندرية الى جوبة - وماج وقد ابدي الو بحر رسوباً عَبَرَجًا لِذَلَكَ بدون معنوا الله ان ستبته الإمرانا كان هماك خوبانه غرمن عما كر السواري وعلى منتنى التربيات الجي اجريت في نظارة السواري وعلى منتنى التربيات الجي اجريت في نظارة السائمة على هذا المنبر ما يقوقي أو مان المعلى السائمة على المان المدل المن ولا بني المناز المان المدل المن واجالت إلى المن واجالت إلى المن محت لاميا ما بست قدر في ما يكون عور منتوجون محت لاميا ما بست قدر في مناز المناز المدل المنتب المناز المنا



الفصل الخامس عشر

مُلَع المُديو.. يهيا المُديولا



- عندمابكي أفندينا!
- أول صورة في الأهرام لـ «توفيق» الأول خديو مصر وعزيزها!
 - فضل اسماعيل في رأى الأهرام:
 - «أنه أنجب الخديو الجديد وأسماه «توفيقا»
 - عيوم قراءة «الفرمان الباذخ الشأن» في ميدان القلعة

اسماعيل كان أول من يخلع من حكام مصر من أبناء أسرة محمد على، ولعنة الخلع وإن لم تطل أحدا من أبنائه الذين اعتلوا العرش من بعده، توفيق وفؤاد ، فانها طالت حفيديه اللذين توليا حكم البلاد، الخديو عباس حلمى الثانى الذى خلع غداة اشتراك تركيا فى الحرب العالمية الأولى اواخر عام ١٩٥٢، والملك فاروق الأول الذى خلع على أيدى ثوار يوليو عام ١٩٥٢.

والحقيقة التاريخية عن خلع اسماعيل أصبحت شائعة، فهذا الخلع قد حدث بناء على الضغوط التي مارستها الدولتان الاستعماريتان، انجلترا وفرنسا، على الباب العالى الذي خضع لتلك الضغوط وأصدر الفرمان القاضي بعزل باشا مصر.

أصبح شائعا أيضا أن اساعيل راح ضحية اندفاعه للاغتراف من أوربا.. من مظاهر الحضارة وخزائن الأموال، حتى أوقع البلاد في مأزقها المالي الشهير الذي وصفه بعض المؤرخين الأوربيين به «نهب مصر».

أصبح شائعا أخيرا ان محاولة اسماعيل للتملص من القبضة الأوربية، وهى المحاولة التي بدت في تحريض الضباط على وزارة نوبار وفي توسيع صلاحيات مجلس النواب وفي إطلاق الحريات الصحفية، كانت فوق ما يطيق ساسة لندن وباريس الذين دبروا لعزل الرجل.

كل هذا وأكثر منه أصبح شائعا ومعروفا تناولته دراسات تاريخية عديدة.. غير أن ما لم تفعله تلك الدراسات هو تتبع قصة خلع الخديو الأشهر وتولية ابنه توفيق، ليس من وثائق وزارات الخارجية وتقارير الممثلين الديبلوماسيين التى تتعامل مع المصالح والسياسات واغا من خلال الوقائع الشخصية، وهي وقائع شديدة الانسانية تفتقر اليها في أي الأحوال محفوظات الخزائن الحكومية!

نتابع هذه الوقائع من مصدرين.. مؤرخ مصرى معاصر عاش فى خضمها وعاينها وسجل ما عاين، ثم جريدتنا العتيدة «الأهرام» التى قدمت رؤية اتفقت فى أغلب مناحيها مع رؤية المؤرخ المعاصر وان اختلفت فى مناح أخرى، وان كانت الروايتان تتفقان فى ابراز هذا الجانب الانسانى لعزل حاكم مصرى، وبحجم اسماعيل!



المؤرخ المعاصر هو ميخائيل بك شاروبيم والذى يعرفه المؤرخون من خلال كتابه «الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث» والذى قارب عمره من قرن، وقد نشر له منذ أقل من عامين فحسب مخطوط احتفظ به الرجل وقد عنونه به «الرقيب أو حوادث مصر الأخيرة لجامعها الفقير الى رحمة ربه الكريم ميخائيل بن شاروبيم عفى عنه آمين!» وقد سجل فى الصفحات الأولى من هذا المخطوط القصة الكاملة لعزل اسماعيل.

وفقا لما جاء في تلك الرواية تبدأ القصة ببرقية وصلت الى «محمد توفيق باشا»

وليس الى اسماعيل، فى تمام الساعة الرابعة والنصف من عصر يوم الخميس ٢٦ يونية عام ١٨٧٩، كان مما جاء فيها «توجيه الخديوية الجليلة الى عهدتكم» وان على اسماعيل باشا «التخلى عن النظر فى أمور الحكومة» ويطلب الصدر الأعظم الذى بعث بالبرقية من توفيق أن يعلن هذا «التلغراف حال وصوله للعلماء والمأمورين والأعيان وأهل المملكة جميعا وتباشر من بعده أمور الحكومة»!

بالنسبة «للأهرام» والذى كان مازال يصدر حتى ذلك الوقت اسبوعيا فان عدده رقم النسبة «للأهرام» والذى كان مدر في صباح نفس اليوم الذى وصلت عصره برقية خير الدين باشا وكان عليه أن ينتظر أسبوعا كاملا قبل أن يصدر عدده التالى كانت الأحداث تتدافع خلاله.

فى هذا الاسبوع تمت مبايعة توفيق وكما قال ميخائيل بك «فبايعته الجند ورجال الحكومة والعلماء والرؤساء الروحانيون وأعيان مصر المحروسة فى داره المعروفة بسراى الاسماعيلية فى أبهة وزينة»!

الأهم من ذلك ما جرى يوم الاثنين ٣٠ يونيه، بعد أربعة ايام من وصول برقية الصدر الأعظم حين رحل اسماعيل في مشهد انساني مؤثر يسجله صاحب الرقيب فيقول انه في الساعة الخامسة من عصر ذلك اليوم خرج الخديو المخلوع من سراى عابدين «متركئا على ابنه توفيق فصعد الى عربة كانت أعدت له وجلس ابنه على يساره، وركب بعدهما الأمراء والأعيان والرؤساء.. وكثير من نساء وجوارى الخديوي المخلوع يصحن ويولولن بما تنفطر من سماعه الأكباد وتذوب لهوله القلوب.. حتى وصل الى محطة السكة الحديد فنزل الخديو توفيق وأخذ بيد أبيه وأنزله وسارا حتى وقفا الى محطة السكة الحديد فنزل الخديو توفيق وأخذ بيد أبيه وأنزله وعيناه مغرورقتان بجانب القطار وبعد برهة وجيزة جدا تقدم الخديو توفيق لوداع أبيه وعيناه مغرورقتان بالدموع وانكب على يديه يقبلهما فضمه أبوه اليه وقد هاج ذلك المنظر خاطره فهطلت دموعه على لحيته وبكى بكاء مرا».

كل ذلك حدث ولم يكن موعد صدور العدد ١٥٢ من الأهرام قد حان بعد، فقد كان باقيا عليه ثلاثة أيام، وانقضت الأيام وصدر الأهرام..

العدد ١٥٢ من الأهرام الصادر في ٣ يوليو عام ١٨٧٩ كان عدد ا فريدا، فلأول مرة في تاريخ الصحيفة الوليدة التي كان قد انقضى من عمرها ثلاث سنوات فحسب تخرج وفي صدر صفحتها الأولى صورة كبيرة لـ «صاحب السمو والمجد توفيق الأول خدير مصر وعزيزها المعظم»، وهو أمر لم يتكرر الا بعد عامين حين خرج أهرام ٤ مايو عام ١٨٨١، وكان قد أصبح يوميا، وعلى صدر صفحته الأولى صورة «للمسيو فردينان دى ليسبس الشهير»!

ورغم أن صورة توفيق كانت سابقة في تاريخ الصحافة المصرية بيد أن الأهم منها

كان المقال الذى شغل الصفحة الأولى بأكملها وجاء تحت عنوان «مصر وخديويها العزيز توفيق»! وهو المقال الذى يمكن الخروج منه بطبيعة الموقف الذى استقر عليه صاحبا الأهرام خلال الأسبوع الذى مربين عزل اسماعيل وصدور ذلك العدد.

والواضح أن الأخوين تقلا قد وزعا فيما بينهما الأدوار خلال تلك الأزمة، فبينما كان بشارة في القاهرة يتابع تطوراتها كان سليم في الاسكندرية يعد لاصدار هذا العدد الفريد من الأهرام.

وليس من شك ان انقضاء الاسبوع بين عزل اسماعيل، بل ورحيله من مصر كلها بعد أن استقل يخته «المحروسة» من ميناء الاسكندرية مساء يوم الاثنين ٣٠ سبتمبر.. هذا الانقضاء قد أتاح الفرصة للأهرام لتكون أقل انسياقا وراء العواطف التي صنعها الحدث الدرامي ولتكون أكثر تعبيرا عن موقفها دون مداراة!

قلم يخصص الأهرام سوى مساحة محدودة في إحدى صفحاته الداخلية لوصف رحيل اسماعيل كانت أقل كثيرا من الوصف التفصيلي الذي قدمه ميخائيل بك، وقد بدأ في هذا التوصيف اقتصاد بشارة تقلا في التعبير عن عواطفه حيال ما أسماه بالوداع حتى انه وضع نهاية تقريره في صيغة تساؤل جاء فيه «ماذا أقول لك عن تلك الدقيقة التي ركب بها القطار وجرى فيها التوديع وعن تلك العبرات التي تساقطت؟، ولم يجب أبدا عن السؤال!

نعود بعد ذلك للصفحة الأولى والمقال الرئيسى حول تولى الخديو الجديد، فلم ينس الأهرام وهو يستعرض الظروف التى ادت الى خلع اسماعيل الاشارة الى أن الحوادث «أفضت بنا الى ما أفضت وقابلنا شهر جونيو (يونيو) بأسبابه» وهو يقصد هنا ما تعرض له بشارة من حبس وما كادت تتعرض له الجريدة من اغلاق على أيدى اسماعيل.

كان من الطبيعى بعد هذا أن يعرض بالخديو المخلوع فى أكثر من موقع.. مرة وهو يقول «ساعد الاستبداد على ازدياد التأخر» ومرة أخرى وهو يعترف ان اسماعيل قد أتى «مما لا ينكر عليه الدهر فى المستقبل فضلا» ولكنه يتبع ذلك بأن ينعى على اسماعيل التضارب فى أعماله بالقول «كما لا ينكر عليه مباينة بعض الاعمال ضربا وشكلا»!

ونما يدفع الى الابتسام فى هذا المرقف المأسوى أن الأهرام لم يجد ما يمدح اسماعيل من أجله سوى أنه أنجب الخديو الجديد وأسماه توفيقا (!) أو كما قال بالحرف الواحد انه «قد أوحى منذ سبع وعشرين سنة الى جناب الخديو اسماعيل أن لا يسمى بكر بنيه الا توفيقا، وقد كان، وليس من أمل لفتح باب العصر الجديد لهذا القطر السعيد الا بمنتاحه وهو في يد توفيق»!

ولم يدار الأهرام السبب وراء حماسه للخديوي الشاب فيما جاء في نفس المقال من

القول.. «نعم نعم هو ذاك الأميسر الذى لم يتأخر أهرامنا وصدى أهرامنا ووقتنا (الصحف التي أصدرها الأهرام) عن ابانة مناقبه وارتياحه الى راحة الفلاح ولعلك لا تنسى أيها المطالع عن مثل ذلك تنويها » (۱) وهو يشير بذلك الى موقف توفيق المساند له خلال أزمة يونيو والتي تفجرت بسبب مقال نشره الأهرام عن أحوال الفلاح.

وقد تبدى هذا الحماس فى التغنى بمناقب توفيق الذى يعرف من اللغات «العربية والتركية والفارسية والفرنسوية والانكليزية ونصيب من الايتالية» (!) وانه زار أوربا «مرارا بدلا من مرة وزار عواصمها كلها واطلع على كل امر ونقب فى كل عمل».

اما عن خبرته بالسياسة فقد ادرك خباياها «فضلا عن ظواهرها.. وولى مدة بعد مدة امرها برعايته اهم النظارات ورئاسته على الوزارة ومراقبته حركات الاعتمال وسكناتها »!

ومع ان كل ذلك مما يمكن ان يؤخذ على الاهرام على اعتبار انه قد اولى لعواطف الثار من اسماعيل الاولوية فى صناعة موقفه من الرجل بعد سقوطه من موقع القوة، فان ذلك لا ينفى أن روحا من الاستبشار قد سادت صفوف العاملين فى ميدان السياسة بسقوط الرجل وتولى توفيق، فضلا عن ذلك فانه قد خلط بين حماسه الظاهر للخديوى الجديد وبين ما تصوره ان ولايته انما سوف تحقق مصالح مصر.

تبدى هذا الحماس فى قوله فى موقع: «هذا هو توفيقك يامصر يخاطبك قائلا [يامصر بلادى جرى ذيل الفخر تيها ودلالا]، ويقول فى موقع آخر «وهذه مصرك ياتوفيق تنشدك الاخلاص».

وقبل أن ينهى الأهرام هذا المقال الهام لم ينس أن يختمه بما أسماه دعاء متواصلا قال فيه «فليحيي توفيق الأول خديو مصر المعظم» ولم يكن قد مضى على رحيل أسماعيل اكثر من يومين ونصف!

خلال الاسابيع التالية خصص الاهرام جانبا من صفحاته للكشف عن بعض اسرار عزل الخديوي السابق، وفي استمرار التغني بمزايا الخديو الجديد.

الاسرار نقلها الاهرام عن بعض وثائق وزارة الخارجية البريطانية التى نشرت عن الازمة والمعروفة بالكتب الزرقاء، فقد كشف العدد الصادر في ٢٤ يونية وجاءت فيه الدعوة للتنازل عن العرش للبرنس توفيق، وانه لو استجاب لهذا الانذار فانه سوف «يكفل لنفسه راتبا كافيا ويضمن لعائلته حق الوراثة»، وهو انذار قريب للانذار الذى قدمته القوى الأوربية لمحمد على خلال ازمة عام ١٨٤٠.

أما التغنى فلم يكن من وضع الاهرام هذه المرة الها كان نقلا عن الصحف الاوربية، ويكفى في هذا الصدد ان ننقل ترجمة آل تقلا لمطلع مقال طويل نشرته جريدة «الجوكي» الفرنسية.. جاء فيها:

«لم تطأ الأريكة الخديوية قبل اليوم قدم ملك محبوب مثل سمو الخديو الشاب توفيق ذى الوجه الصبوح ولم يخفق قلب ضمن الملابس العثمانية اشرف من قلبه واكثر استقامة منه».

ويتضح ليس من اختيار المقالات فقط والها ايضا من طبيعة الترجمة الانحياز الكامل من جانب الاهرام، وهو انحياز لم ينكره اصحاب الجريدة على اى الأحوال!.

البرقيات وحدها لا تكفى لتنصيب الحكام، وبالتالى فان برقية ٢٦ يونيو بخلع اسماعيل وتولية توفيق كان ضروريا ان يتبعها اصدار الفرمان السلطانى بتولية الحاكم الجديد، الامر الذى يستكمل معه توفيق بقية اسباب الشرعية، وهو الامر الذى استغرق نحو شهرين.

كان مطلوبا اعداد الفرمان الذى اعتاد الباب العالى ان يبعث به مع «باشكاتب المابين» أى أمين الديوان السلطاني، على بك فواد، الذى وصل الى الاسكندرية يوم ١٦ اغسطس على متن احدى البواخر السلطانية ونزل فى سراى راس التين، وتوجه فى اليوم التالى الى القاهرة حيث نزل بقصر النزهة بشيرا.

وفى المحروسة بدأ الاعداد لاحتفال «بتلاوة الفرمان العالى الشأن»، وكان مراسل الاهرام موجودا يرصد ويكتب ويبعث الى مقره فى الاسكندرية ليقدم للتاريخ وصفا ممتعا لهذا للاحتفال الذى كان فى حقيقته احتفالا بتتويج الحاكم الجديد!

يقدم الاهرام في عدده الصادر في ٢١ اغسطس وصفا لاحتفال تتويج الخديو توفيق ويلقى في هذا الوصف الاضواء على مراسم ذلك الحفل..

أول ما يلاحظ في تلك المراسم انه رغم انتقال مقر الحاكم المصرى من القلعة الى عابدين فان الاحتفال تقرر اجراؤه في نفس البقعة التي كان يقام فيها منذ ان وقعت البلاد تحت الحكم العثماني قبل ما يقرب من اربعة قرون.. في ميدان القلعة.

وفى الساعة الثامنة من صبيحة يوم الاحتفال وبعد ان اكتظت الساحة بالحضور دخلت المركبة التى كان يستقلها الخديو من جانب بينما اتت المركبة التى كان فى داخلها حامل «الفرمان العالى الشأن سعادتلو على بك فؤاد» من الجانب الآخر، ونترك بقية القصة يرويها بشارة بك تقلا الذى كان حاضرا الاحتفال. قال:

«بعد الانتظام واستقرار المقام تقدم عطوفتلو على بك وقدم الفرمان السامى لسمو الحديو المعظم فقبله بالاجلال ودفعه الى سعادتلو طلعت باشا فتلاه بالاكرام وبعد الفراغ تلا حضرة شيخ جامع القلعة خطابا ضمنه الدعاء بحفظ الحضرة السلطانية والجناب الحديوى ثم اطلقت المدافع مائة مرة ومرة وجرت التشريفات من العلماء الاعلام يتقدمهم حضرات الموالى الكرام شيخ الاسلام والسيد البكرى وكبار العلماء والمشايخ والموظفين والذوات والقناصل ورؤساء الملل وغيرهم».

وتضمن تقرير الاهرام الاشارة الى دور اعتضاء السلك الديبلوماسي الاجنبى في الاحتفال، فقد تقدم عميد هذا السلك، المسيو دى مارتينو قنصل عام ايطاليا، والقى خطبة باسم الدول صاحبة التمثيل في العاصمة المصرية.

ومثل هذا التقليد الما كان يحمل بين ما يحمل التأكيد على الدور الدولى فى العلاقات بين مصر والدولة العثمانية، وهو الدور الذي تقرر منذ عقد معاهدة لندن عام ١٨٤٠.

يبقى بعد كل ذلك ما تضمنه فرمان ترلية توفيق أو ما أسماه الاهرام «الفر مان الباذخ الشأن»، وله اهمية خاصة في تاريخ العلاقات بين القاهرة واستنبول.

فمصر التى اكتسبت وضعا خاصا داخل الدولة العثمانية احرزته فى ميدان القتال خلال ثلاثينات القرن وتقرر فى فرمان ١٣ فبراير عام ١٨٤١، قد تمكنت فى عصر اسماعيل ومن خلال الفرمان المعروف بالفرمان الشامل عام ١٨٧٣ من اضفاء المزيد من اسباب الاستقلال على هذا الوضع وهو الفرمان الذى حصل عليه اسماعيل بوسائل عديدة ليس منها محاربة الدولة.

وقد اخذت المخاوف بتلابيب المصريين بعد الاخبار بخلع اسماعيل من ان تنتهز الدولة العثمانية الفرصة لتسحب الصلاحيات الاستقلالية التي تمكن هذا الخديو من الحصول عليها لبلاده.

عبر عن تلك المخاوف ميخائيل بك شاروبيم عندما اشار الى القلق الذى أخذ يسرى فى نفوس المصريين بعد تأخر وصول الفرمان، فكما سبقت الاشارة كان قد انقضى نحو ستون يوما بين وصول البرقية بخلع اسماعيل وتولية توفيق وبين وصول حامل الفرمان، وهى مدة احتسبها المصريون دهرا طويلاا.

غير ان تلك المخاوف تبددت بعد ان فض طلعت باشا الفرمان وتلاه على الحضور، فقد لاحظ هؤلاء ان الباب العالى لم يتنصل من أى من التعهدات التى قطعها على نفسه عام ١٨٧٣.

اعترف السلطان بما جاء فى الفرمان بتوجيه الخديوية المصرية الى اكبر الابناء «وحيث انكم اكبر ابناء الباشا المشار اليه ـ اسماعيل ـ فقد وجهت الى عهدتكم الخديوية المصرية».

اعترف ايضا بالصلاحيات التى حصل عليها الحاكم المصرى والتى اسماها الفرمان «بالامتيازات الحائزة لها الحديوية المصرية» فيما يخص الاذن لخديوى مصر «بوضع النظامات اللازمة الداخلية المتعلقة بهم.. وايضا يكون خديو مصر مأذونا بعقد المشارطات مع مامورى - ممثلى ـ الدول الاجنبية فى خصوص الكمرك والتجارة وكافة امور المملكة الداخلية».

اعترف اخيرا لمصر «بالحدود القديمة المعلومة»، والاهم من ذلك «الأراضى المنضمة اليها المعطاة الى ادارة مصر»، وتبدو اهمية هذه الاضافة من ان عصر اسماعيل قد شهد ضم مساحات واسعة من الاراضي، خاصة فى الجنوب. دارفور فى غرب السودان، والمناطق الاستوائية فى جنوبه والتى وصلت الى حدود أوغندة، ومناطق واسعة من سواحل البحر الاحمر فى اريتريا والصومال. كل تلك الاراضى اعترف «الفرمان العالى الشأن» بأنها اصبحت جزءا من مصر، وهو اعتراف له اهميته القانونية.

على الجانب الآخر فقد اقر الفرمان بقية القواعد التى حكمت العلاقات بين الطرفين منذ عالم ١٨٤١ خاصة تلك المتصلة بتحديد عدد رجال الجيش المصريب ١٨ الف رجل، وهو التحديد الذيل لم يلتزم به توفيق!

فبينما كان اسماعيل يتحايل لزيادة القوات المصرية عن ذلك العدد فان ابنه وتحت ضغوط تفاقم الديون الاجنبية وممثلى الدول عليه قد اخذ بسياسة التوفير التي طالت رجال الجيش المصرى الامر الذي ادى الى تصاعد الاحتجاجات بين هؤلاء الرجال والتي وصلت اخيرا الى حركة عامة هي التي عرفت بالثورة العرابية، ولها قصة مع الأهرام!.

مراجع الفصل الخامس عشر

اعداد الأهرام

التاريخ	رقم العدد
1444/1/11	101
1471/1/1	70/
\\\\\\\\\\\	70/
\AY\/V/Y£	100
\AY\/A/Y	\°V
14/4/11	101

المراجعة

ـ د. حمد عبدالرحيم مصطفى: مصر والسنالة الصرية ١٨٧٧ ـ ١٨٨٧ ، القاهرة ١٩٦٥

[.] جرن مارلو: تاريخ النهب الاستعماري لمصر (ترجمة د، عبدالعظيم رمضان) القاهرة

ـ ميخانيل شاروبيم: الرقيب ال حوادث مصر الأخيرة اتحقيق د. يونان لبيب رزق ، القاهرة ١٩٩٢



ا فواعد المكالى وار ترجل من - بان سال وانس الاسالاء الاطامل المام اليراب كالو الاثر الهم إلى الرسول ملن اللَّمْ حِينَ اللَّهِي فَقَوَا وَتَرَّوَا اللَّهَا وَقُعُ وَمَكُذَا أَمْ يَبْلُحُ النفة حد اعد السائد ١٧١٠ . ﴿ اوالها رق الدرية

والركة والطرب والترسورة بالكالزية وتدس الإيالية أبو في حميا يمدن أدانناه ولتراءة والكالام ويدياه الناليبا وبتونيا وتدريبا ذاك سلأعن الطرو بيعري النتلة والرياسة الي النياسية درمو IL SELECT والأطوي كاب البلزو وطوي ما المدت في سدوه

الرحب تزم الدالوارف في فراب اساق الاندار فقس الداورا برازا على برد واز عرامها كلا والطبح ولوكل الرواب أياب عل أو وب وجد الساية الم قررب الليف، والكام الرابة عادما معالاً عن طواعرها وتداحل في المكام وباي بدد سد مدد الر مهايوام العنارات ورنات مؤ الرارتوم الهوسركات الاعتل وسكامها وتدرسه الاسكنا ورداهة وملاءة ارقية ً قد جلهت گلو فلزت ' إسيمان رطوب واجبين غلومانة فيه طالة بأرجه وبالكاد بالأوق بعالم * عند من حالة فيكل وقد ما كان بلف فركام ميه طرائو وافكارم من حودة الداءد ، وأكل مع مدريات با زي

عرش موذاك محبرات أعافر امراسلوساى لمُرْضَاءُ وَلَمَا عَنَايَاتِ سَالَا وَرَيَاسُوا إِلَى مِلْتَ الْعَلَاجِ وأسلك لأنس ابيا المنائع و. سل ذلات تويمًا، م نم لب ياية ١٧ وامة الدرارة الل شكل وإيمادكل اسلاح وفا تداجع فإلى الدال وأوريا وألد بنيا على فن الله لاتكرن 14 و بارتداكل كافل الايامر حُكِيم عَلَ يُتِي مِو وَاقْدِمُ الْمِيرُ أَنْ لَا وَمِيلًا لِلَا يَسَلُّمُهُ عاليد فلدل فاثر ألو ذفك ربايه المكر حب ات بالوث يومية غراء ولو ام دانك أن مناصف يرم لكان جونو (مروان) سنة ١٨١٢ الموامل ساح ر-التوريغ ١٢٤٩ وي اللك عاملة عن متأولاك الخيآد بردي ۽ رساً "مدين بن مصرفاتم توفيلاول وق عائد ديت انبئري آو ان السنة الساحة والبيترين من جره

عدا موتوبات بالدر للطك فأثلأ راباله بلادي مرَّي * بَلُ الْمَرِي، بَدِدَةُ * بِأَدِيلُ عَلَى المَرَّةُ ومنة الْحَالِدَةُ * حداثًا قيسا بيل سبي ال لا تبطّت عن عدمك التار والوار ودرك الولاا تاءد هي البلاماً يُتُكسك أثمرُ وأو أو أو مامنون إلى اللئر وبهري دم او مدائل ومن وكدي الأعلى الحك أعد الرطق والزفاق مي تاوال حارة الرطي

والقام مصاربتها إيراني المسكلة مأقاحي الأشارات بالبرائة فيرد الائزمالة أراءته أرابيل ما البه فاحدر مأ فلرهم مازنك والمدل الرباء وأماثلها فوصاراته علوط لأوا حيا بن يا 🕟 وحقح شوور بالأو راه فها خسأتهار ركبت بله المقاء واعواداغوة مولی کل ملاً از در اسار اسامك لمات انداریشد. والمجاس وعدامهم غاية واعا بتواصلا الهي لومان الارث معيوسان

غمار اللبت ادارة من كل ذاك واوعرعتم بميو من مندأة الجوي مير معمل على يتم تمر المحلول الافت الذي مات الله الله المحلول الديمة الميل الرسية المبسطة المحلول الديمة المبسطة ومل المر المعل في وم شر و اوالد سيا لايداما ماوارع برز آنور محلف اسدُ وم محلف الای از نام به ای استرف بایا عناوت چنگ م برگوه وی این اعلاق الله سایا

والكسيساة خالد الازما ا ملاصل شامع م. معرود عله الخيرة المتأمرة عل مُ وَلَيْ عَمَارِهِ مِنْ ظَالُوا السَّارِهِ ينطر ملا أعطرس ومده الالا والاسمال والم نقت الجد مالاط عاملاح والسم

وخي عنه عموم أعبار والاعلاء استام الاسكام لل الوا وكارا من كار ماسدًا عن الدحوالية الأأورة مرافيت البيل البين فابت شاه أأكمة غوانينا الدياسة بالايسكام عابلاء أوامراء ره كان المطرب كابرًا بإذاع بكسرة الوسؤلاسا 4 أنفراهمه في كارس كات أأبرنا اد دال أدوب

يواس ومكوا والنطاليان لمرتب لاجالنا شراد أفعاد

بالمسه يكاكراوت الرماء الشب ولالماشير جردو (سويران) بلسلوطائي، سوذاك اتحدير اسبال ان يعاول عو اريكا العورة الدرباب ال استرطيا ب عدد ستطال ما اللها لا ينكر وليالا مر في المستثل نهاؤكا لايكرطه بهارة سلى الاول مرا وتكا وفي على المناه المناورة المناورة المناه المكاركوة مرين فالهاف فركاني اللوث واستدان اولى ال المشرعدة حيقا طواوت الداوريا والناء الدك الداء ترميد ملاسع واليمان سدائل حاف المعاد عاسيل ان الايس تكره في الاتيمانًا وأد كـ وأص

اينك من حج تاريو دجاية and they the classified had been س عدد عاع کوک سعدتی الدی استرس رص اثير أحد تهوجة تنع رسير وبأثاث بأيد. 17 14 هرياتها حروسا سعر وكان سهد السائح انكوأ الحا برأة عمراتكنا وطهم تهرة فالراج أأبوش وأ مشريق ألحديد والاعتالة وأندا المريث الرأاء فاحرع سر ماور السلم، بل بيادي ترب اب ديون واست

أراعظها الدرخ برابه اأسية طزدادت الأمنة أجيلا فأوواه الغياء أردياه الاعار

يبسط وفضوا والرعة وسادي يان اللهم . بيرغال فيبلد قوق اللبند منها حق

س الل شح علمت المصدر الديد عُنه استرائب و أنا

بقائح وموثي بد موتوايل مصرواهما وعريرها ووأي أمرا ومد غراة المرام من ملة علم اللي الله مر الدم بوجوده ويرشب كل خاان دعوار غيث وحبوه عاست باعاماً علاد مرّا لادمرسياء ، واستأثم ما

فانها لمبراه البرمائن وسكت عامم بأن الجارط و للتي 10 يم عود او يها من طورياً عشل الك الرائد بالبلغائل طراق بروائل اسوارال عدر ترا يبو بالعابد سنة بل الراساد كا احم طالب عالم به كالمساول الاستعادات وشبابة الميضوع واعطات الزيلة والكلاتكان مصويبا مرسًا ارقا الالرب الميا وديا حالية يندي. من خاع مُ يُعِلِ بِن خَالِمَ عَارِجَ عُوْصِلُوا النَّاكَ مَا هِي وَ مِن الدر مذا الشراغدري وبالوال طوس الموادث رواند به در ۱۳۹۱ کا ایمار کا عال مرافزت از به در ۱۳۹۱ کا ایمار کا عال مرافزت از ای چه در در ا رای سال می مواند. ایک علی می میاند که استکام دول دیکیا فوا نداشت. وأعرب فأب غواج الباح الجهوا الباح الجاوا الاظمال ما ترضع أن نوى لماء بأعد الليه وبرادره ريك الرابيا عادة ط ذاك والملك ترد الزنوف ر ترب فانبان ان المائد He و كان غر بها آلاد سرادًا بي سرّ راح الزياد سنون النظ ميث مع الدرة معان عن طراك العد الجه بعد

علاس برهاد باكان ويند البيع علم اث

عد في ما الدو الإل إليار عادت الكله اراك

الزرين عد التهامن مروان بعقوا الواق والادل

فدير سير وتربونا السلم اسا ربيا بالآيل بديسا البائل وإموادث الاسكنديال الززأ لولو) سه ١٨٧١ تقريس والامز الطاع الكسب بيزا بها كان بالأباد موشة سيادح الموادث المصود بالالد وكلت موكا المجل الوشد لمط

ئوفىق ^{بر}ول

عبر وفديريها أأبزيز ۰ توفیق^۰

فكر طبنا فلاقان وألايأم والدمن الزمان سماك مقد لا العامل والعام - وعلم العام عليه الإلمال عند وروذها يت هرف ورحد الماهول طان الأولوات كا افائد ي النبير بإن ادي افر ايس عاد الاول بل الديور با عال احر المراء والا الله عالت ١٧١ .ب. من المراقي أوقالون النافج الترمق ا فالح الازين سنسيما كوبيه للم وأكير لمست للعطع مد الما بارده ومن داك تراد د اعك الايا م للزن طاجرنا طالباق هنل شكسنا دمليا مدموج إيام المزينة لمنة موت الرياح والتساد بوستنى الإبال والعلمان السار الكالم كالاسان مالكة ومع مد تسليل الأل الاندلي سلانا ونبلأ اذ في يو على المان العادد عن سوار مرد البايق الإيضافي المص عدرانا مسأبة بالبر المنال الكال ١١١٨ : حالمة المكن ول عراسها ، إحكام اللايرد بالاصلى مورد بلكة ولالصط بل ارتكاب الكران روعه هم العراد لايلا إلى بكرال ما عرركان دور المترايا إبدا وإيك رالا قبل الد علي الم ماجية و عدد ما مه و

أنه العدلى الرباد في بهي أفلاداء المؤود اليا الراد ال العمل بحرات وادراج الملق عان أدن المراحد عبر المؤرف المراجد العمد الدخير المؤرد عادرت المراد الاخراف المراجد المراد المواجد المراد المرد المراد المرد المرد ا

فاجار سبق با بالل بناء الفيلية الدينة المستقدمة المستقدمة

ا مرمان البالا والعدان

. گلاستید اناکر بوطاستان آنگذیون ۱۲۱۱م شار دیانا با العالم دخاط سامل ۱۲ مادر امیر البیدر باشکر اشاک حم بهام الالم بالرافي السائد مها بدلت الاواة والمقبل متيد اركان السلدية الالسار مرتد براس اتعلانه المكبري شنئل بالبرر الأشار أأسني الأموار عمرف عوامك الأفد الاطي دويري مدر الحائر فرشة للمعارد الهلا ملا الملل فهداما الإبرق الرمع المناق وابغاما المرمع الميدي وزيري مبر النال. عرفي باننا كادام الم تعلق ابيلاقا وضاحف النابد الهدارة والهاد اله لدوروسول برارسا الامرق الرميع يكورسُلونا أمر الدينة مل التمال أسبل بادا هويوي معرالي أقريتك أدبى مردير والمراسا الماكا ا وحس عدامكم ومذافكم ورطامكم لذاتنا فللتماية وغائع ووقنا أفلة وفا مرسلم فدينا بال كم واومًا لمُحَدَّقَا فِي عَمْرِهِي الْأَحَوَّلِ الْمُرَاءُ وَأَكُمُ كابرا غدوية ينقى إلاموال الليم الردية الورخيرة بصر سلامده وإسلامها وجهنا الدعيدتكر الديرية القدرية الجدودة بالدور الدوة الدارة ح الاراض القدمة الجوا المنالة الل ادارة حدر تزارةا الخامة باللاد بالتربار الناتي التبادر أيا لخرخ أأا الرياسة ۱۲۸۴ المقدن تربيه الديوية الدرية لل أكد يعولا وحد اكم أكد لود قلدا المعلم الو قد وجهد الو ديدكم المديرية المدرة والأكان ترايد حراق المديوية المعرية وسادتها وتلبث راساكمانا امالها وكانها يرفانهم فيدن المؤد البداديا ورد لبل برغوعا ومالوبها ولد خير ان مغر اسماء الربل الله المثال المي عل تبهل ود المادد اللهرية المبن فيوالا بالراحد الدائرة الأفاله يوساند ريا لدي مدا سه الإمراق الموكلة الدهرة المأب صار كالمد المواد الولة بأوم تعويلات عدد ١٩ مبارات وقاكيد بارمار تيديل المؤد اشتى تدبلها و ١٥٠٠) واصلاحها يا عرد أجراوهُ الان در الراد أو أية رق ان كان واردائد الملة الدكوية يكرن أميلا بإطباعا والما العامل وبيعان اعال بدبر ايدك يَّنْ يَهِمَ وَرِقِهَا النَّرْمُ وَالْفَصِ إِذَا الْمَرِيَّةُ طَرِّوهُ الْمَارِةِ الرراغكة المقتا بإلاياله والمداة معرط الراد يديين مالم ادل مال ولا تعلُّ في الله والله من الدوالات غديري مدر كروت مادريا برمع المائدة ١١ ردة الداعلية المطلة مع وللمها عورة وأد ا وحدًا "ود ها يرجه عدر ملاوة كالد وأبدود المعلرمانيا مع بالبيري أتدول الاحدية ليخصوص أتكرك والخززة ركان أبيرا فأكه الداخل أول الرز الردرات ال بإلغارة بإضامها بإلمل لنوبة الملكون ألزوافي ود المكوة والاجاب أو الاطلق والجابر مع أدور شأبطاه الاجاب يشرط بشم وارح خال في مرامدات دولها اللهٰ الرازية ولي حاول سوميا .. ر الها وإفاقيل اطرت الدميرية المطرطات الي اداد مع ووجاب بوده الدورة يعيم تدورنا دل بأنا الدالي وليدًا يكين خارًا المدرنات فقلته في الهوا. ١٦٠١

مع الداوين القاصر بنءاو وكادي. الدين يتبريب وممّا ع الاعتراض أبو، سمرًا لا مويا أسيال الماليا المالية وحسوماً بيا وبعث ألب الإعالات الى أعليدال سروسرمق سرزارة الألبا اللبيا افي هسنديها اللديرية وتردعه أديها لايجوز لان سويد أو رسيلة فرك مذه ألد بأولت حرسيا او صفيها أ ترقد الساد ارض من الزافي الأ بريا إلى الله وعلماً ويثرو الدية مرام (٢٥٠) المداءة ديانية الذي من الرمركوالمروالة لاكل سة لانهاء وكذلك مع الالود فاي عمرت في مدر ذكي رابر ا العاملي ولا يعود جم عدا كروبادة من (١٨) الله ال وذا الدركان لمامل العا أباك رورالاامل سية دمد المسلح بيكا عبد أن أن سرالبرية وأبريه أن مرية أن أجل دولها الطا إبرزان براه بادار التناكر بالدورة التي تنادب حالاكين دوادة البله ادراء وفكون وإبات الساكر الجريا والأربا والفلاء الأراد أرب فالملم كزيلت صاكرنا الداماوه وبالديم وبناح لمديون ستران بعل الدياط الزوا بالتربة الحالمة درة أبد والله **بإطلاء ال** الزيا المائع والإيدعين الديوسة ان وال الله الله الاصد الادر وحدول رخمة صريحا لطبه الله من درادا للبلاء ومن الووم والله كاما العروط السافة الاكرة استاب مزواج مركة أباقها وحبت صدرت اوأددا الابرء يأجراء أقوام الساق ذكرما الداحدورا أمرنا مد حايل اللدر المراح نا لا يسطنا الماجل واو مرسل الله الحلو الامال مأيمه فو وصفره كالدرواد فاعر عل مؤاود بالديانكاني الاين أفايرق وس اعاطم رجال دوعنا الطه الدائر لماللل الباعد العاتبة إأيدية دات العان والنرار مرز أو النع مار ثير تبيار اشطر سا 1813 من ايرا صاحب اللو بإلارك

کها لایکون بالاوگاساد استرامی می ایش اسامیگا مرحسوالوسود والیکون دادیگاساد اسطراعی بالاعالی

الدعال بلاع اطربان المال الدار

وكرة في الامرام الملكة حيث تعرف سفرة معارفيز بلى إلى أمان أواد المائل الاران ومن توجه الى الخروبة، ولا عامر حوان دعر في الرف العبل حقا الامدال فاكان اللى لمقدرة الراء الامرام (١٧ الله) عن والك على ويد عامر فارل

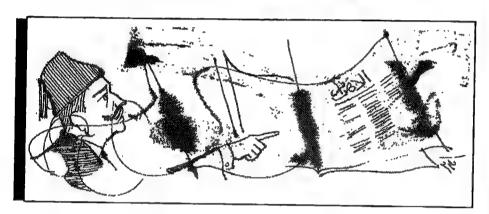
ن على الاست اطالها المس المؤلية المؤلية ان هلد الاستقال بقارة القراق لكند بريد المارة في طويق دو حرب مقادين وحد المادة المادة معيد دائد المؤلم المارد مركبة الأدرة المدروة وكات اند المبلد بن الجهة المارة بريدة الرساة الأدر على المهارة والمارة ولها المرادة المارة المادة به خارة المدائر في باك المادة المارة المالة المادة به المادة الموقد المادة المادة الموقد المادة الموقد المادة ال

را مداوعة بإسترار اعاد باطو تدو ساوطر بل لك ردم الرمان الذي المعرال من الدو المثير لدية بالوطال وما الدو المثير لدية بالوطال وردم الرمان الذي المعرال من المعرال من المعرال من الديا والمثير المعرال من الديا المعرال من المعرال وردم المعرال المعرال وردم المعرال ال

ان الركال الدارين والعامل بيادين سركا حل الديب ما ركال والديب الت حاكم ميزان الركال الركال الديرية الدرية الله معرم الياس الدراء الدائاة الديرل بها حقيد معها إن ان الكرال المائد الدارا سنة يمثل لما طلاحاً الركال بدان حاد كرانياً سركا إن الدين جائل الدائل مسكا وصل، إصل ط المعتمدان الله العامدان اللهم المسكال المائدات الله

الفصل السادس عشر

المُنْ المعال المدا المالية



- الأهرام في الأرياف الخديوية والممالك المحروسة وأوروبا وبومباى
 - الأهرام يصدر جريدة يومية للمصريين فقط
 - الأهرام يوميابعد شهرين فقط من صدوره
 - اصحاب الاهرام:

أننا في قطر سعيد ينطق بلغتنا العربية الشريفة فيه نيف و خمسة ملايين!

يوم الخميس ٣٠ ديسمبر عام ١٨٨٠م المرافق ٢٨ محرم عام ١٢٩٨ إنتهى الصدور الأسبوعى للأهرام الذي بدأه في ٥ أغسطس عام ١٨٧٦ أي قبل ٢٣٢ أسبوعا بالضبط احتجب خلالها مرتين نتيجة لأزمة مايو ١٨٧٩ فكان آخر أعداده الأسبوعية هو العدد رقم ٢٣٠٠

وفى يوم الاثنين ٣ يناير عام ١٨٨١ أى بعد انتهاء الصدور الأسبوعى صدر العدد الأول من الأهرام اليومى وكان من المتوقع إما أن يبدأ بترقيم جديد أو يستكمل ترقيمه فيظهر العدد رقم ٢٣١ ، ولكن ما حدث كان مفاجأة فقد ظهر هذا العدد تحت رقم ٢٠٠٧ عا أصبح يشكل لغزا في تاريخ الجريدة العتيدة ؛

اقتضت محاولة البحث عن حل لهذا اللغز، فضلا عن البحث في المصادر المتاحة، البحث في اصدارات الأهرام الأخرى حتى أمكن أخيرا التوصل للحل

فالمعلوم أنه بعد نحو شهرين من صدور الأهرام الأسبوعى أصدر الأخوان تقلا جريدة يومية تحت اسم « صدى الأهرام » وذلك في أوائل اكتوبر عام ١٨٧٦ ، ويسبجل مؤرخو الصحافة انها كانت أول جريدة يومية في مصر .

ونتيجة لأنه لم يتم الاحتفاظ بأعداد تلك الجريدة في أي من دور الحفظ في مصر بما فيها دار الأهرام ذاته فان ماعثر عليه الباحثون كان قليلا ،ومتفرقا في بعض المكتبات الخاصة ، ولم يكن منها على أي الأحوال العدد الأول ، الذي نعتقد أن صاحبي الأهرام ، حسبما تعودا في سائر الصحف التي قاما على اصدارها ، قد أثبتا فيه الدوافع التي دفعتهما الى اصدار أول صحيفة يومية .

كل ما تم العثور عليه بشأن صدور « الصدى » التنويهات المتناثرة التي جات عنه في بعض أعداد الأهرام ، فضلا عن بعض الأعداد المتفرقة من الصحيفة، وهي في تقديرنا كافية لتفسير السبب ..

يكشف هذا السبب ما كان يجىء في رأس الصفحة الأولى من الأهرام ومقابله في الصدى.

فقد حدد الأهرام قيمة اشتراكه في صدر الصفحة الأولى مما تضمن طبيعة الأسواق التي ينوى غزوها وكانت فضلا عن « مصر وسائر الأرياف الخديوية » أي القاهرة وبقية القطر المصرى ، الأستانة العلية ، سورية وسائر الممالك المحروسة ، أي أملاك الدولة العشمانية ، أوربا والجزائر وتونس وأخيرا بمباى وكلكته .. أي أن الأهرام صار دوليا عقابس العصر .

اختلف الأمر بالنسبة للصدى الذى حدد طبيعة الأسواق التى ينوى التواجد بها ، وقد اقتصرت على « الأسكندرية والمحروسة (القاهرة) وساير الأرياف » ، أى انها كانت صحيفة محلية قابلة للتوزيع فى مصر فحسب .

حقيقة أخرى يشير اليها ما جاء فى رأس كل من الأهرام والصدى ، وهى أنه بينما أدرج الأهرام قيمة الاشتراك الخاص به فحسب ، فان الصدى طرح خيارين أمام المشتركين ، إما الاشتراك فيه فقط ، وإما الاشتراك فيه هو والأهرام بما يحمله ذلك من دلالة . .

الدلالة في تقديرنا أن قارىء الخارج ليس أمامه الا الأهرام أما القارىء المصرى فأمامه : إما الأهرام وإما الصدى وإما كليهما !

وهذه الدلالة تبدو حاسمة بحكم أن سوق الصحيفة وقتئذ كان يحكمه المشتركون ، فلم تكن الصحافة بعد قد عرفت متعهدى البيع أو الأكشاك المنتشرة في كل مكان.

تفصح رؤوس صحف ذلك العصر عن تلك الحقيقة في انها عندما تحدد ثمن البيع فهي تحدد بالنسبة للاشتراك سواء لسنة أو لسته شهور ، وليس بالنسبة للنسخة .

انعكس ذلك على طبيعة عمل وكلاء الصحف والتى جمعت بين تحصيل الاشتراكات وتوصيل الصحيفة للمشتركين ، وبين القيام بدور المندوب الإخبارى فى البلدة التى يقيم بها ، بمعنى آخر أن معرفة الأماكن التى ينتشر فيها هؤلاء الوكلاء تحدد البلاد التى توزع فيها الجريدة .

وبملاحظة أن وكلاء الأهرام في مصر قد انتشروا في مدن الوجه البحرى :الاسماعلية ، المحلة الكبيرة ، المنصورة ، طنطا، كفر الزيات ، سمنود ،رشيد ، زفتى وميت غمر ، محلة أبى على وبورسعيد ، فان ذلك يعنى أن سوق الصدى قد اقتصر على تلك البلاد . . في البداية على الأقل !

وتتعدد الأسباب فى رأينا التى دعت صاحبى الأهرام فى بداية عهده إلى عدم المجازفة باصداره يوميا وإلى إصدار عده إسبوعى للخارج ولمصر، وإصدار طبعة يومية للأخيرة هى تلك التى أسماها بالصدى .

السبب الأول: أن آل تقلا رغم إصدارهم لجريدتهم من مصر فإن عينهم قد استمرت ترنو ، ويقوة ، للسوق الشامية ، فالحبل السرى لم يكن قد انقطع بعد ، ولعلهم نظروا وقتئذ لمصر باعتبارها مكانا آمنا لإصدار صحيفتهم أكثر منها سوقا لانتشارها .

الثانى: فرض عليهم ذلك إصدار الأهرام فى أول عهده أسبوعيا ، سواء لأن الصحافة العربية لم تكن قد عرفت حتى ذلك الوقت الصحف اليومية ، وإن كان الأهم من ذلك صعوبة أن تصل الصحيفة اليومية إلى الأسواق الشامية فى وقت مناسب لتكون يومية (!) ، فان هذا النوع من الصحف عندما يصل بعد بضعة أيام يكون قد فقد الجانب الأكبر من أهميته ، ولم يكن متاحا فى ذلك الوقت أن تصل جريدة من قطر إلى آخر فى يومين أو حتى ثلاثة .

ولعل ذلك الذي دفع الأهرام في أول عهده أن يقصر وكلاءه ، وبالتالي مشتركيه،

وبتعبير آخر قراء . . يقصرهم على الوجه البحرى فان الوصول إلى الصعيد وقتئذ كان فيما يبدو يقتضى وقتا طويلاً .

الثالث: أن قاعدة القراء التى رأى الأهرام أن يعتمد عليها فى توزيع عدده اليومى كانت من « تجار الأرياف والمشايخ والعمد » ثمن إرتاهم قادرين وراغبين فى الاشتراك فى صحيفة يومية يدفع فى مقابلها مع العدد الأسبوعى ٥٥ فرنكا، بينما لو رغب في الاشتراك في العدد الاسبوعى فقط فلم يكن ليدفع أكثر من ٢٥ فرنكا .

من ثم لم يكن أمام صاحبى الأهرام الا إعارة عناية خاصة بما يهم هؤلاء في العدد السبوعي . اليومى الذي صدر تحت اسم الصدى اختلف معها عن العدد الأسبوعي .

وقد لاحظ الباحثون عن قارنوا بين الأهرام وصداه أنه بينما غلب على تحرير الأول الطابع العام فانه غلب على تحرير الثاني الطابع المحلى....

فبينما رصد هؤلاء في الأهرام غلبة التعليق السياسي وأقوال الصحف الأجنبية التي يليها الأخبار الخارجية فالداخلية فالاعلانات ، لاحظوا بالنسبة « للصدى » أنها قد وجهت جل عنايتها للمقال والاعلان ، وهو ما أقرت به في رأسها بقولها أنها « جريدة يومية للتجارة والحوادث البرقية والاعلانات » وقد احتلت أخبار الاقتصاد المساحة الأكبر من الأخبار الداخلية والخارجية .

ويمكن تفسير ذلك بهذا الاتجاه المتسارع بنمر الرأسمالية الزراعية المصرية التى ارتبطت بالانتاج الواسع للقطن خلال عقدى الستينات والسبعينات ، وحاجة أبناء هذه الطبقة الجديدة للإطلاع أولا بأول على حركة الأسعار وهو ما عني به الصدى الذى خصص بابا يومياً تحت عنوان « حركة بورس (بورصة) الأسكندرية » ومن هؤلاء جاء أغلب المشتركين في الجريدة اليومية .

الأهم من ذلك محاولة تحديد طبيعة العلاقة بين الأهرام وصداه ، وتنشأ هنا اختلافات بينة ، فالرأى السائد حتى الأن أن الصدى جريدة ضمن الجرائد التي صدرت عن الأهرام ...

قال بذلك الرأى الدكتور إبراهيم عبده في كتابه المعروف « جريدة الأهرام ـ تاريخ مصر في خمس وسبعين سنة » ثم حذا حذوه الباحثون ، ولعل الأخذ بهذا القول هو الذي صنع اللغز . . لغز العدد ٢٠٠٣ ٠

من المعلوم أن الأزمة التى واجهها الأهرام مع إسماعيل فى ربيع عام ١٨٧٩ قد راح ضحيتها الصدى ، ومعلوم أيضا أن القائمين على الأهرام قد أصدروا جريدة يومية جديدة بعد أيام قليلة من وقف الصدى هى « الوقت » ،ومع ذلك الحدث والعثور على العدد الأخير من الصدى الصادر فى أول مايو عام ١٨٧٩ والعدد الأول من الوقت

الصادر في ١٦ من نفس الشهر بدأت بشائر حل اللغز.

بعض الباحثين اعتبروا أن « الوقت » صحيفة جديدة أصدرها الأهرام عوضا عن «الصدي» . غير أن أصحاب الأهرام لم يقولوا بذلك مما يبدو في أكثر من حقيقة . .

فهناك اولا ما كتبه الأهرام وهو يبلغ قراءه بصدور الوقت فيقول بالحرف الواحد أنها جريدة « اختارتها جريدة صدى الأهرام عنها نائبة ولفوائدها كافلة ولأخبارها شاملة ولمحاسنها جامعة » ، بمعنى آخر يريد الأهرام القول انه يعيد اصدار الصدى ولكن باسم مختلف !

وهناك ثانيا ذلك التشابة فى التنظيم بين الصدى والوقت ، وهو تشابه وصل فى بعض الأوقات الى درجة التطابق ، وإذا كان هناك اختلاف فى شىء فهو الاختلاف فى الموقف من الخديو اسماعيل ، فقد بالغت الوقت فى مديح الرجل على الأقل فى الفترة المتقضية بين ظهورها وبين خلعه ، وهو عكس ماكان يفعله الصدى .

وهناك أخيرا تلك القرينة التي لاتدحض ، فانه مع ايقاف « الصدى » وكان عددها الأخير تحت رقم ٦١٨ فان « الوقت » قد صدرت وعددها الأول تحت رقم ٦١٨ .

وقد قادت هذه السابقة الى محاولة البحث فى لغرّ صدور العدد الأول من الأهرام اليومى تحت رقم العدد الأخير من جريدة الوقت ووجد أنه كان فعلا تحت رقم ١٠٠٢ !

بيد ان حل هذا اللغز اثار مشكلة على جانب كبير من الأهمية فى تاريخ الأهرام ، تلكم هى مشكلة العلاقة بين الجريدة الأم ، الأهرام ، وبين الجريدتين اليوميتين ، الصدى والوقت !

فأغلب الدراسات الصحفية التى صدرت عن تاريخ الصحافة عموما أو تاريخ الأهرام على وجه الخصوص قد نظرت للصدى والوقت باعتبارها صحفا صدرت عن الأهرام وليستا الأهرام نفسه ، وقد ترتب على تلك النظرة أن ميز هؤلاء بين حقبتين للأهرام ، حقبة الأهرام الأسبوعى التى بدأت من ٥ أغسطس عام ١٨٧٦ واستمرت لما يقرب من أربع سنوات ونصف حين صدر عدده الأخير في ٣٠ دسمبر عام ١٨٨٠ ، وحقبة الأهرام اليومى التي بدأت من ٣ يناير عام ١٨٨١ ومستمرة حتى يومنا هذا وإلى ماشاء الله!

على ضوء استنطاق الأدلة التى بين ايدينا نقدم هنا طرحا مختلفا وهو آن حقبة الأهرام الأسبوعى لم تستمر سوى مايزيد قليلا عن شهرين ، وإلى أن صدر الصدى فى ١٠ أكتوبر عام ١٨٧٦ ، على ارجح الاحتمالات ، لأنه كان الطبعة اليومية من الأهرام وهو ما لانقول به من فراغ ..



لقد نظر آل تقلا الى الصدى والوقت باعتبارهما « الأهرام اليومي » ، أو على الأقل

رأيا ان العلاقة بينهما وبين الأهرام علاقة عضوية مما يمكن الخروج به من عديد من المؤشرات.

(١) الامتناع عن الصدور في اليوم الذى يصدر فيه الأهرام الاسبوعى وهو امتناع تغير ميعاده بتغير يوم الصدور الذى بدأ بالسبت ثم تحول الى الجمعة واستقر أخبرا على الخميس ، وهذا الامتناع كما حدث بالنسبة للصدى فقد حدث بالنسبة للوقت ،

(٢) الحرص فى تسمية الجريدتين اليوميتين على التأكيد على التبعية للأهرام .. فى الأولى كان الاسم صدى « الأهرام » ، وفى الثانية جاء الاسم الوقت بخط كبير وتحتها بخط اصغر قليلا « لجريدة الأهرام » !

(٣) خلال أزمة ١٨٧٦ حين دعا مندوب ضبطية الاسكندرية سليم تقلا لتحذيره من بعض مخالفاته فان مخالفة من تلك التي إرتآها أنه قد اصدر «تلحيقا » للأهرام وهو « الصدى » بدون ترخيص » وهذه الحادثة مع دلالتها من أن صاحب الأهرام لم ير في الصدى جريدة جديدة ، فان رضاء السلطات باستمرارها بعد ذلك دون الحصول على الترخيص انما يعنى قبولها بوجهة نظر الرجل ا

(٤) سواء في الصدى أو في الوقت كان يثبت على كل الأعداد في الرأس عبارة «وكلاء الصدى هم وكلاء الأهرام، بالنسبة للأولى و«وكلاء الوقت هم وكلاء الأهرام» بالنسبة للثانية.

اهم مما كان يجبى، على رأس الصحيفتين اليوميتين ما نشره الوقت فى عدده الصادر يوم ٧ أغسطس عام ١٨٨٠ من اتجاه النية الى تعبين « وكلاء عموميين يتجولون من جهة الى أخرى فى الريف ليستطلعوا الحوادث والأخبار على حقيقتها » قد جاء تحت عنوان « إعلان من الأهرام والوقت »!

(٥) لما كانت الاعلانات القضائية تمثل المصدر الأساسى من دخل الاعلانات فى صحف ذلك العصر ، وكان التصريح بنشر مثل تلك الاعلانات بقتضى قرارا من «مجلس الاستئناف »، وهو ما حصل عليه الأهرام بعد صدوره بأقل من عامين ، فى أبريل عام ١٨٧٨ فأنه حرص على أن تنصرف آثار ذلك القرار على جريدته اليومية، الصدى أو الوقت . الأول فور الحصول على التصريح والذى وضع على رأسه عبارة «فى ٢ أبريل سنة ١٨٧٨ قرر مجلس الاستئناف تعيين الأهرام (وصداه) لنشر الاعلانات القضائية » ، والثاني حال صدوره .

(٦) تعاملت السلطات مع الصحيفة اليومية للأهرام من منطلق أنها جزء منها مما تبدى خلال أزمة ربيع عام ١٨٧٩ ، فالمعلوم أن المقال الذي أثار اسماعيل عن الفلاح تم نشره في الصدى وليس في الأهرام ولكنه عندما اصدر أوامره بالاغلاق فقد أصابت تلك الأوامر الأهرام وصداه .

صحيح أن الأول قد تمكن من النجاة بعد تعطيله لأسبوعين والثاني قتلته الأزمة ، إلا

أن ذلك لايعنى أنهما كانا جريدتين بقدر ما يعنى أن الجزاء وقع على الأهرام اليومى الذى كان يصدر باسم الصدى بحكم عنايته الشديدة بالأحوال الداخلية والتى صدر المقال في اطارها ونجا منه الأهرام الأسبوعى الذى لم يكن متورطا في تلك الأمور بنفس القدر ا

بالأخذ بهذا الطرح .. طرح أن الأهرام قد صدر يوميا بعد شهرين فحسب من صدوره ، فان القضية تتحول الي البحث عن الأسباب التى أدت إلى تخليه عن تلك الصيغة التى ارتضاها لأكثر من اربع سنوات .. من صيغة أن يصدر اسبوعيا مع تلحيق يومى إلى ضم هذا التلحيق ليصدر يوميا ، ويؤكد على طبيعة الضم بصدور أول أعداد الأهرام فى ثوبه اليومى بالرقم التالى لآخر أعداد الوقت ، وتقدم الأهرام نفسه شارحا تلك الأسباب ..

ففى عدد « الوقت » الأخير الصادر يوم ٢٨ ديسمبر عام ١٨٨٠ ودع قراء «سائلا اياهم الأغضاء عما كان من القصور وسائلا لهم صفاء العيش وطول البقاء» وذلك فى نهاية مقال طويل شرح فيه اسباب اندماجه فى الأهرام الذى سيصدر يوميا .

بعد ذلك بيومين صدر العدد الأخير من الأهرام الاسبوعى وقد سجل في صفحته الرابعة نفس مقال الوقت وإن كان دون وداع ..

ومن هذا المقال المنشور مرتين ، والذى وضعه احد الأخوين تقلا شرحت الصحيفة الأسباب التي دفعتها الى دمج لسانيها ليصبحا لسانا واحدا يوميا ..

اتساع قاعدة القراء كان اول تلك الأسباب وهو ماعبر عنه المقال بقوله ان « اقدام المستركين واقبالهم على مطالعة جرائدنا وازدياد عددهم يوما عن آخر مما أحيا عندنا الهمة والجد .. والاتيان بمطلق ما يبعث على مسرة حضرات المشتركين ويغتنم مرضاتهم وميلهم » ولا مراء ان هذا الاتساع قد دفع الطمأنينة الى قلوب اصحاب الأهرام وأزال كثيرا من أسباب التوجس التى دفعتهم أولا الى اصدار الأهرام اليومى على هذا النحو .. نحو التلحيق !

وكان هذا التوجس مبررا من خلال التجربة التى خاضها سليم تقلا مع شروعه فى اصدار الصدى ، وهى القصة التى رواها جرجى زيدان فى كتابه « مشاهير الشرق » لدى ترجمته للرجل . .

فقد جرت عادة سليم لدى الشروع في اخراج احدى صحفة ان يصدر اولا العدد زيرو والذى كان يسميه « المثال » ويبعث به لوكلائه في الأقاليم للتوزيع على من يتوسمون فيهم الرغبة في الاشتراك ، وعندما فعل ذلك بالنسبة للصدى وطبع اربعة آلاف نسخة لم يقبلها سوى بضع عشرات ورجعت اليه بقية النسخ ، بيد أنه مع مرور الأيام تبين له أن هذا التوجس لم يعد له مايبرره .

سبب آخر ماتبينه الاخوان تقلا خلال فترة الأربع سنوات ونصف من أن سوقهم الحقيقية في مصر وليس في خارجها ، وهو ماعبروا عنه نفس المقال الذي جاء فيه : «اننا في قطر سعيد ينطق بلغتنا العربية الشريفة فيه نيف وخمسة ملايين كان لنا أن نرى جريدتنا الوقت اليومية لاتقوم بواجب الخدمة لصغر حجمها خصوصا لقاء اقبال المشتركين وازدياد عددهم » ، ونرى أن السعادة قبل أن تكون للقطر كانت لآل تقلا الذين رأوا اتساع توزيع صحيفتهم بحكم ما كانت تؤديه من خدمات « لتجار الأرياف والعمد والمشايخ » !

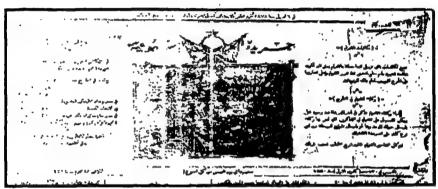
من جانب ثالث فإن المقال يشي بأن أصحاب الأهرام قد وضعوا خدمة القارىء غير المصرى في المرتبة الثانية والذي عبر فيه عن النية على الاستمرار في اصدار الأهرام الاسبوعية الى الخارج « فقط كالعادة حرصا على ميل الطلاب وعلى مقام الجريدة »!

وفى عملية ادماج التلحيق بالأهرام الاسبوعى ليصدر يوميا وضع اصحاب الأهرام تصورهم لذلك بقولهم أن الأهرام اليومى سيتضمن « الأخبار السياسية والداخلية والمحلية ومطلق الحوادث التجارية الداخلية والخارجية وبعض الروايات والنكات الأدبية وما شاكل ذلك . ولاريب أن جريدة بحجم الأهرام ذات ستة عشر عمودا بالخط الرفيع تكفى لمثل هذه الخدمة وتكون الجريدة الأولى العربية التى ظهرت فى هذا الحجم » ، ومن هذا التصور بدأ الأهرام اليومى حياته بالعدد ٢٠٠٣ !

شير	راجع القصل السادس : اعداد الإهرام
التاريخ	رقم العدد
\A\/\/\Y	A4
1444/0/22	731
1M./1Y/T.	۲۲.
\M\/\/r	۱۰۰۳۰ اعداد الوقت
التاريخ ٬	رقم العدد ·
M٦	w.w
۸۱.	\M./\/V
411	144./4/4
1)V	/W·\v\/\
43)	\M./\\/•
1	\ \\./\Y/Y\

ـ د. ابراهيم عبده: جريدة الأهرام ـ تاريخ مصر في خمس وسبعين سنة تطور الصحافة للمسرية ١٩٧٨ ـ ١٨٧٨ ط ٤ القاهرة ١٩٨٧

⁻ جرجى زيدان، تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر القاهرة ١٩٢٢ ـ رمزى ميخانيل: تطور الخبر فى الصحافة للصرية القاهرة ١٩٨٥



الأهرام العدد ٢٠٠ الخمس ٣٠ دسمبر ١٨٨٠



الأهرام العدد ٢٠٠٣ الاثنين ٣ يناير ١٨٨١

الفصل السابع عشر

تُعَامُلُ الأَمِنْبِينِينَ فَي بِي مِصر ا



- مكتب حاذق للأهرام في مدينة باريز»
- الله عليه المانيا: «أن تؤوب فرنسا كاسفة البال»
 - مصرسكة الهند والهند كنزبريطانيا
- النمسا وايطالياغايتهما الباطنة الحسد والضفينة!
- فرنسالن تهجع حتى تنزل بانجلترا الداهية الدهماء والبلية العظمى!

هذا العنوان تابع الاهرام تطورات التدخل الاوروبي في مصر خلال النورة النبوات الخمس التي انقضت بين بدء صدوره « ١٨٧٦ » وبين قيام الثورة المصرية المعروفة بالثورة العرابية « ١٨٨١ »، وهي السنوات التي شهدت سرعة خطى هذا التداخل على النحو الذي أدى في نهاية الأمر الى وقوع «البر» في اليدى قوة من هؤلاء «الاجنبيين»!

بدت هذه السرعة من انه مع صدور الاهرام كانت الازمة المالية قد بلغت ذروتها وأخذت مضاعفاتها السياسية تفرض نفسها على الساحة المصرية ، فقبل صدور الصحيفة بثلاثة شهور أنشىء صندوق الدين «مايو ١٨٧٦»، وبعد صدورها بشهرين فرضت الرقابة الثنائية الانجليزية ـ الفرنسية على ايرادات الحكومة المصرية ومصروفاتها«!»

ولا ينقضى سوى عام الا قليلا وتترجم اعمال «تداخل الاجنبيين» الى تدخل سياسى فاقع سواء فى لجنة التحقيق أو فى تشكيل الوزارة المصرية الاولى ، والتى أسميت بالوزارة الأوروبية ، ليس فقط لاحتلال وزيرين اوروبيين لاثنين من مقاعد الوزارة الستة والما لأنه كان لهذين الهيمنة الفعلية على الوزارة الاولى.

باختصار أصبح «تداخل الأجنبيين في بر مصر» حقيقة واقعة كان على ساسة ذلك العصر وصحافته التعامل ، ولأسباب عديدة..

لم يكن بعيدا عنه بحكم نشأته السكندرية حيث كان الشعور بالوجود الاجنبى أكثر وطأة من أى مكان آخر ، ففضلا عن الجاليات الأوروبية الكبيرة المتمركزة في الميناء الكبير، فقد استمر مقرا لغالبية ممثلي دول «بلاد بر» الدبلوماسيين.

لم يكن بعيدا أيضا بحكم الاهتمام الكبير الذى اولته الصحيفة منذ بداية نشأتها لمجريات الأمور الدولية ، وهو اهتمام بدا في أشكال مختلفة في تحريرها. سواء من تخصيص الصفحة الأولى للتلغرافات الخارجية التي كانت تصلها من سائر العواصم الاوروبية او النقل عن المجلات والصحف التي تصلها من تلك العواصم، فضلا عن متابعة الاحداث الكبيرة التي كانت أطرافها بعض القوى الاوروبية ووصل الاهتمام في هذا الشأن الى أن كان «الاهرام» أول صحيفة عربية تقيم لها مكتبا في عاصمة أوروبية عا ينم عن حجم الاهتمام المبكر للصحيفة بالعالم الخارجي.

يشير الى ذلك الخبر الذى نشره الاهرام فى عدده رقم ١٧٠ الصادر فى ٦ نوفمبر عام ١٨٧٩، والذى جاء فيه: «نعلن عن اقامتنا مكتبا حاذقا في مدينة باريز عاصمة الأمة الفرنسوية له تمام الاطلاع على ما يقع من الحوادث الكلية والجزئية..»

لم يكن بعيدا أخيرا بحكم ارتباطات آل تقلا مع فرنسا، وهي ارتباطات أتوا بها من بر الشام في جبل لبنان وازدادت توثقا في بر مصر.. في الاسكندرية،

 $\star\star\star$

مظاهرة الضباط التى قامت فى ٢٣ فبراير ١٨٧٩ كأحد مظاهر الرفض لسياسات «الوزارة الاوروبية» خلفت مضاعفات أدت الى تكريس هذا التدخل، فقد تألفت الوزارة الثانية فى تاريخ مصر الحديث برئاسة ولى العهد «محمد توفيق باشا»، وقد استمر الوزيران الاوروبيان فى موقعيهما بها، ولكن بصلاحيات أكبر «!» حيث أصبح لهما حق الاعتراض «الفيتو» على أى قرار لا يتوافق مع مصالح الدولتين الكبريين، فرنسا والجلترا، مما كان يعنى تكريس «تداخل الأجنبيين» الأمر الذى كان لابد وأن يثير التعليقات والهواجس أيضا «!» وهو ما نقرأه بين سطور الأهرام قبل أن نقرأه فى تلك السطور!

فى مقال احتل اغلب الصفحة الأولى من العدد الصادر فى ٢٠ مارس ١٨٧٩، أى بعد عشرة أيام من تشكيل الوزارة التوفيقية استعرضت الجريدة «تداخل أوروبا فى أحكامنا «شئوننا» وضع كاتب المقال توصيفا لموقف الدول الاوروبية من التدخل فى الشئون المصرية، وكانت فى رأيه روسيا وألمانيا والنمسا وايطاليا وانجلترا وفرنسا، وهو توصيف لم يختلف كثيرا عما طرحته الكتابات العلمية التى تناولت هذا الموضوع بعد عشرات السنين من تاريخ هذا المقال.

قام هذا التوصيف على التمييز بين موقف الدول الأربع الأولى: روسيا والمانيا وابطاليا والنمسا، والدولتين الأخيرتين، فرنسا وانجلترا.

روسيا كانت ترى أن الطريق الى استنبول يمر عبر القاهرة، وكما قال «الأهرام» انها كانت تأمل «أن يجر انكلترا الطمع الى الامتلاك «أى امتلاك مصر» فتنزع الروسية الى اقام عملها فى العثمانية»!

ألمانيا كانت تسعى الى توظيف المسألة المصرية فى الايقاع بين لندن وباريس مما كان يشكل ركيزة اساسية لسياسات المستشار الألمانى الشهير «بسمارك» وهو ما عبرت عنه الأهرام فى موقع آخر من المقال بالقول: «وأما المانيا فتروم أن يكون بين الدولتين اللتين لهما الصالح خلاف لتؤوب فرنسا منفردة كاسفة البال فتصفو الكأس للبرنس بسمارك»!

النمسا وايطاليا يشخص «الأهرام» موقفهما على نحو طريف فى قوله: وأما أوستريا «النمسا» وايطاليا فغايتهما الظاهرة حفظ الموازنة «التوازن» وعدم العبث بالحقوق و الباطنة «الحسد والضغينة»!

وخلص الاهرام بعد هذا الاستعراض الى أن الدولتين صاحبتى «المصالح الافضل» أى انجلترا.وفرنسا فى مواجهة ذلك قد سعيتا الى الوفاق و«أصرتا على حفظ حقوقهما واختلستا الفرص وقد فازتا بالمرام»!

اما «الفوز بالمرام» الذي عنته الصحيفة فقد كانت تقصد به دخول الوزيرين الفرنسي والانجليزي في وزارة نوبار..

يرتب الاهرام موقف تأسيسا على هذا الفهم، وهو موقف يقوم على أن «تداخل الأجنبيين في أحكامنا نشأ عن سوء سياستنا ولا ريب أن عدم التداخل أفضل ولكن جنينا على نفوسنا »!

وبعد أن يسلم الأهرام بأن الجناية على النفس جعلت لا محيص من هذا التدخل فان الخيار أمام مصر، إما بالتدخل من مجموع الدول المذكورة وهو ما ارتآه «يعود بالضرر علينا»، وإما باقتصار التدخل على كل من انجلترا وفرنسا وهو ما أفرد له بقية المقال.. جاء فيه:

«ان العالم على رأيين متباينين هل اتفاق الدولتين أفضل لصالح مصر أم اختلافهما فالفريق الواحد «الأول» مطلق الاعتقاد أن اختلاف الدولتين أفضل لصالح هذا البر «بر مصر» .. والقسم الآخر يعتقد غير ذلك ويرى الصالح في الاتفاق لا في الخلاف..».

وفى وسط هذه الحيرة التي يعبر عنها «الاهرام» عما هو أفضل لمصر .. اتفاق الدولتين أم اختلافهما، تتضارب المواقف، ويتبنى الأهرام أحد هذه المواقف المتضاربة!

كان رأى الجريدة باختصار أن «اتفاقهما أفضل لبر مصر» وهو الرأى الذى استمرت تدلل على صحته في عدد من المقالات الرئيسية التي حرصت على أن تحتل الصفحة الأولى في أكثر من عدد من أعدادها..

سلم الاهرام فى جانب من هذه المقالات أن «لانكلترة فى مصر صالحا غير منكر وهو مضاف الى أسباب كلية أخصها سبب واحد مهم جدا هو كونها سكة الهند لها وأنت تدرى أن الهند كنز بريتانيا »!

دلف من ذلك الى القول ان الانجليز أمامهم للحفاظ على هذا الصالح واحد من ثلاثة: «إما ترك مصر وإما تداخلها في أعمالها لصيانة سطوتها وإما الاستيلاء عليها».

بعد استبعاد الاحتمال الأول لتناقضه مع تعاظم المصالح البريطانية استبعد «الاهرام» أيضا الاحتمال الثالث، احتمال استيلاء انكلترة على «بر مصر» وكان في هذا مغرقا في التفاؤل!

اعتمد «الاهرام» في هذا الاستبعاد على ما اعتقده من قوة فرنسا التي لن تهجع

على حد تعبيره والتى سوف «تحرك ضدها». أى ضد انجلترا . جميع الجهات المتطرفة «النائية» وعضدها على ذلك دولة أمريكا التى لا تتوسم فى الانكليز الا شرا.. وتلك الطامة الكبرى «بالنسبة لانجلترا» والداهية الدهماء والبلية العظمى وبئس المصير»!!

لا يكون أمام انجلترا مع هذا، فيما اعتقده الأهرام، الا التدخل في مصر بالاتفاق مع أ فرنسا.

غير أنه يلفت النظر في أصحاب هذا الرأى أن توجساتهم من انجلترا كانت تمسك بتلابيبهم منذ هذا الوقت المبكر ، وبالمقابل كانوا أكثر اطمئنانا لموقف فرنسا..

وبذهب محرر الجريدة فى ذلك الى القول بأن سياسة فرنسا غير سياسة المجلترا، فبينما لا تسعى الأولى الى فتح البلاد «وذلك مبنى على لطف الحاسة!!، فقد وصف الثانية بالطمع وحب الذات، أو كما قال بالحرف الواحد: «ولا يخفى أن الطمع الذى هو نتيجة محبة الذات يغشى على بصيرة صاحبه.. وقد نعتت دولة بريتانيا بمحبة الذات فأوجس الضعيف منها خوفا»!

يصل «تداخل الاجنبيين» الى ذروته الدرامية عندما تنجع حكومتا لندن وباريس فى الاطاحة بالخديو اسماعيل، وهو أمر لابد وأن يكون قد نزل على رؤوس المصريين نزول الصاعقة، سواء لأنه إجراء لم يسبق للدولة العثمانية أن أقدمت عليه بعد تولى أسرة محمد على لحكم مصر قبل نحو ثلاثة أرباع القرن « ١٨٠٥ ـ ١٨٧٩ »، أو لما اكتسبه اسماعيل خلال الستة عشر عاما التى حكمها من احاطة نفسه بأسباب الأبهة والهيلمان، الأمر الذى كان يصعب على خيال أى مصرى أن يستوعب امكانية الاطاحة « بأفندينا ولى النعم» خاصة عندما تأتى هذه الاطاحة على أيد أوروبية!

أعقب هذا الزلزال السياسى مجموعة توابع مكنت «الاجنبيين» اكثر من رقاب المصريين، أو كان هذا على الأقل ما استشعره غالبية العاملين في ميدان الحركة الوطنية..

توفيق الذى علق عليه رجال هذه الحركة أمالا واسعة خيب تلك الآمال بعد أن أسفر عن نواياه الاوتوقراطية حين رفض التصديق على مشروع الدستور الذى كان قد وضعه شريف باشا، الأمر الذى كان يرضى المراقبين الاجنبيين بحكم ما كان يتيحه هذا الدستور للنواب المصريين من اشراف على المالية المصرية وما يستتبع ذلك من تقلص نفوذهما.

تبع ذلك أن أمر بنفى السيد جمال الدين الافغانى بتهمة أنه «رئيس جمعية سرية من الشبان ذوى الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا »!

الاخطر من ذلك بالنسبة للاهرام جملة الاجراءات القمعية التي اتخذتها حكومة رياض تجاه الصحافة، خاصة تجاه تلك الصحف التي كان معلوما انها تتبنى اتجاه

الافغانى، ولم يشفع لها أن اصحابها كانوا من الشوام ، على رأس هذه الصحف «التجارة» و «مصر» اللتين كان يحررهما اديب اسحق وقد جاء صدور «الحكم من ادارة المطبوعات بالفائهما مؤيدا» «!» في ٣٠ نوفمبر ١٨٧٩ ، بعدهما ألغيت جريدة «الاسكندرية» التي كان يصدرها سليم الحموى، أعقبها «المحروسة» التي كان يحررها سليم نقاش.. وكانت التهمة الاساسية التي وجهت لتلك الصحف هي تهمة الهجوم على الدول الاجنبية.

وفى هذه الظروف آثر الاهرام الحذر وغلب على مقالاته الطابع التحليلى دوغًا اتخاذ مواقف حادة يمكن أن تودى به، خاصة وانه منذ اللحظة الأولى لخلع اسماعيل انحاز للخديو الجديد، محمد توفيق، ولم يتخل عن هذا الانحياز رغم تقلبات الرجل.

توخيا لهذا الحذر يعود «الاهرام» لتناول موضوع «تدخل الاجنبيين» في مقال احتل للمرة الثانية أغلب الصفحة الأولى في عدده الصادر في ١٠ يوليو ١٨٧٩ ، تحت عنوان «حالتنا وأوروبا» وذلك بعد خلع اسماعيل بأسبوعين بالضبط!

وقد انصب تعامل الأهرام في هذه المناسبة على التدخل الفرنسي والانجليزي لما أصبح معلوما أن هذا التدخل كان وراء خلع الخديو المعزول.

عالجت الصحيفة في هذا المقال ما أسمته «بالحوادث الاخيرة» ويبدو الحذر الذي قررت أن تتذرع به من خلال هذا الكم من «حسن النوايا» الذي حفل به المقال والذي أثبت فيما بعد أنه كان «الطريق الى الجحيم»!

يتبدى الالتزام بالنوايا الحسنة من أن الاهرام بدلا من أن يرى أن عزل الخديو اسماعيل الها يمثل ذروة «تداخل الاجنبيين» لها ما بعدها ، فقد رآه بداية لانحسار هذا التدخل انطلاقا من فكرة أن سوء ادارة الخديو السابق هي التي صنعت التدخل.

فقد جاء فى جانب من هذا المقال: «أن اوروبا كلها وفى مقدمتها هاتان الدولتان «فرنسا وانجلترا» لها ملء الثقة بسمو خديوينا توفيق البر وعزيزه المعظم وكفانا فخرا ما نشرت فى شأنه جرائد اوروبا الشهيرة».

ونظن أن صاحبى الاهرام قد تأثرا في اتخاذ هذا الموقف بحسن علاقتهما بالحاكم الجديد أكثر مما حكما الاعتبارات الموضوعية التي طالما حكماها في كتاباتهما السابقة في هذا الموضوع.

ويبسط الاهرام القضية بقوله: «ليس من غاية لهاتين الدولتين في قطرنا إلا حل مشكلة المال على وجه عادل وإحكام ادارته بموجب شرائع وقوانين لا يزايلها انصاف ولا يخامرها خلل.. ويستفاد مما ذكر أن الدولتين غير متعنتتين.. واتفاقهما على ما ذكرنا وشيك الحصول فان علة الابتعاد في بادىء الرأى لم تكن الا فقد الثقة أما الان فليس شيء من هذا القبيل»!

ذهبت الاهرام الى أكثر من ذلك فى نغمتها التفاؤلية بالنسبة «لتداخل الاجنبيين» حين تحدثت عن استحالة أن تحتل إحدى الدولتين الكبريين «بر مصر» وعزت ذلك فى جانب الى أن «لكل من الدولتين» فرنسا وانكلترا رقيبة واقفة بالمرصاد، فلفرنسا ألمانيا ولانكلترا روسيا.. فالخلاف والحالة هذه من قبيل المستحيل حالا»!

وتخلص الجريدة في مقالها الرئيسي الذي نشرته تحت عنوان «حالتنا وأوروبا» في عددها الصادر في ١٠ يوليو عام ١٨٧٩ الى القول بأنه لا سبيل الا الوفاق وانه لا يتم «الا بواحد من أمرين» «إما» الاستيلاء عليه «اى على القطر المصرى» بالقوة وتقسيمه الى شطرين يعطى الواحد للواحدة والثاني للثانية و «اما» الارتضاء بتركه بعد تحسين ادارته ونوال كل منهما ما لها من الحقوق المالية» وقد انحاز الاهرام الى «اما» الثانية

. ***

تشير متابعة الاهرام خلال الفترة التى انقضت بعد عزل اسماعيل وبدايات احداث الثورة العرابية التى بلغت اهم منعطفاتها يوم ٩ سبتمبر عام ١٨٨١ بمظاهرة عابدين المشهورة إلى أن الصحيفة قد آخذت فى التخلى عن قناعاتها القديمة باستحالة احتلال مصر من احدى القوتين الكبريين..

مع حدوث ذلك فيمكن الخروج بثلاثة خيوط اساسية من نسيج كتابات الاهرام حول قضية «تداخل الاجنبيين»..

الخيط «الاول» يؤكد على التزام الاهرام بموقفه الموالى للخديو خاصة وانه لم يمسه أى ضر من ذلك الذي وقع على سائر الصحف .

الخيط «الثانى» يشير الى تصاعد عداء الاهرام لانجلترا، وهو تصاعد نتج عن اهتزاز القناعات القديمة لآل تقلا من أن الانجليز لن يقدموا على احتلال مصر، ذلك أن مجمل الاخبار التى كانت ترد من الخارج وقتذاك اخذت تشير الى أن تلك القناعة لم يكن لها ما يبررها.

من بين هذه الاخبار ما نشرته الاهرام في ٥ اغسطس عام ١٨٨١ حول اتفاق بين فرنسا وانجلترا حول تونس ومصر يؤدى الى ترك الاخبرة رهن تصرف الحكومة البريطانية، وإذا كانت الاهرام قد اعتبرت تلك الاخبار من قبيل «الترهات» الا أن اصحابها قد اخذت تنتابهم الهواجس من استئثار الانجليز «ببر مصر».

منها أيضا «التلغراف» الذى نشره «الاهرام» فى ٣ سبتمبر من نفس العام عن المكانية تدخل قوات انكليزية فى مصر عند حدوث فتن عسكرية الامر الذى حول الهواجس الى شكوك قوية. فى ضوء ذلك اخذ الاهرام يتخلى عن نغمته التفاؤلية القديمة وفى التنبيه الى مخاطر الاطماع الانكليزية فى مصر عند حدوث فتن عسكرية الامر الذى حول الهواجس الى شكوك قوية.

فى ضوء ذلك أخذ الأهرام يتخلى عن نغمته التفاؤلية القديمة وفى التنبيه الى مخاطر الاطماع الانكليزية كلما واتته الفرصة لذلك.

من أطرف تلك التنبيهات الحبر الذى نشرته الجريدة تحت عنوان «اختلاس اخضرموت» «!» وقد جاء فيه: « استباحت انكلترة اختلاسا جديدا هو أهم اختلاس اذ ضمت اليها حضرموت وليس بخفى أن الدولة الانكليزية تتسلط على رأسى العربية اعنى مسقاط «مسقط» وعدن، ولما كانت على ملء الثقة بأن تسلطها هذا لا يجديها نفعا دون ان تمتلك حضرموت الواقعة بين الرأسين المذكورين راعت الترصد والمراقبة.. وليس من يجهل ان انكلترة باختلاسها حضرموت قد وطدت سطوتها في عدن ومسقاط مفتاحي البحر الاحمر والجون «الخليج» الفارسي فأمست سيدة العرب الشمالية»!

غير أن تلك الروح العدائية التى تشبعت بها الاهرام تجاه الانجليز عبرت عن نقيضها تجاه الفرنسيين مما يمثل الخيط «الثالث» من نسيج الموقف الاهرامي حتى انه كتب في تلك الظروف يتحدث عن دولة فرنسا بانها: «مهد الانسانية ومنشأها والدولة الوحيدة التي كانت ولا تنفك منتصرة للانسانية ومفضلة الصالح العام على مصالحها ويكفيها والله ما يقوله الرأى العام في العالم ان للانسان حزبين احداهما حزبه الخاص والثاني حزب فرنسا اذ لا يحب من بعد نفسه ووطنه الا فرنسا فكأنى بها وطن العموم»!

وبالروح المشبعة بالولاء للخديو توفيق ، رغم تقلب مواقفه، وبالعداء لانجلترا وبالحب لفرنسا ، كان على الاهرام أن يواجه المرحلة التالية من مراحل «تداخل الاجنبيين في بر مصر ».. مرحلة الثورة الوطنية ضد هذا «التداخل».

وربما لم تختلف الآراء حول موقف اهرامي بقدر ما اختلفت على هذا الموقف من الثورة العرابية، وهو موقف له قصة تستحق أن تروى!

مراجع القصل السابع عشر اعداد الإهرام

التاريخ	رقم العدد
1444/11/1	111
\AYA/\T/0	178
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	144 *
1/3/1/2/	181*
1444/4/1.	105*
1444/4/12	100
14/4/4/1	109
1444/1-/4	•
1444/11/1	177
37\71\474	١٧٠
	\Va

احمد عبدالرحيم مصطفى: مصر والمسألة المصرية ١٨٧٦ - ١٨٨٢ القاهرة ١٩٦٥

[■] د. يونان لبيب رزق: تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ ـ ١٩٥٣ القاهرة ١٩٧٥ •

وأنى مذا المرشرح عانا فلنتخط بأمعالك

مادا و ودراو مید الحام واساد از ار مادا و دراو مید الحام واساد از ا

: يَعْلِمُ صَائِحِ ارْنَسَا وَكُمَّا فَى *الشَّاءُ بِلَايَةُ صَائِحِ الرَّوِسِ . ﴿ إِلَّهُ إِلَّ حَلَّمُهُ مُولِمُواناً

السلامة في الدراء وي - ربنة لايخامردا ريب ومث مذا التيل اخراد اتساع اذ لهر مالك مزاح والنكي إِنَّ إِلِيسَائِحِ المُعْتَرَاهُ فَأَنَّهُ كُلِّنَ وَلِا مِزَالَ مُوضِوعًا لَكُلَّ الْمُكُلِّلِ إِ رواع رهدا وطرباكرن ام اعالوط مهاحات المالة العرفيد الن النبك سائع الدول الماناة بمعدم الد المرفائب أبسل الواحدة على مواقبة ١٧عرى وألثاثه طئ سلطرة التالا: وكلين يشنطن والعسلن المعب والمشاولكن ا مهن دن یکون مودوعًا او عدقًا له باد مطاحهت کما - فِتْحُ لِكَ مَا ذَكُونَا انَ لانكُتُمُ وَأَنَّ مُرَبِّكُهَا لَهِدُولَةُ مُرضًا . فَلَانِي بِنَا 11ن الرَّفَعُلِّ ال الجيشلانشل اعفاء كبنه سلوك بريعانيا سع مصراطه فرنيها والناري معاني ما نوول البو اتعاله فعول من الأسلم ان الدوك الانكيرية لانستطع ان الله

فرنسا وكلترا ومعر الذر واسكم الصالح اساء المنواز اللول الموت كان

لمن أوعن الما المسل فون ابطاء في وكلو قلا بلي مِن لِفِيمًا فِي المُشرَحِ فِيلاً مِن أَعَالُ بَهَانِينَ الْفِيرَادِنَ لج الكان ومواعلها في احكام الماريا بهاد على ما ألما رَ اللَّهُ * وَإِنَّا كُلَّهِ وَاشِياعِ إِزَّاتِنَا لَى كُلَّهِ وَالْعَارِ المُمَاخِ رَمَا كَانَ وَيَكُونَ وَسِكُونَ مِنْ رَلَكُنَّا لَمُ عَنْدٌ فَي ملزنا ذكرنا حدد صائح عائب الديامين باليا فالان سأبيح اله استنطن أعبه لأواد والبيئة ومعا وندراه ك السالة لاعتامره أ تغول - كِلَّا عَلَى عَلَمُ الْمُلْمِنَ الرِّي الْكَثْمَةِ بِنَا أَنَّ رَصَرَ صَالَّحَ

غير منكروه ومضأف الواسيات كله اعمها سبسواحد م مُعَالِمُ مَن مَا يُعِدُ اللَّهِ لِلْمُعْتِمُ مِنْ اللَّهِ

ر وجابا ال غير البلاد المعرية عافظة عل وَإِلَّكُ الدَائِمُ عَبِلَهُ إِنْ بِنَاجِتِهَا مَا تُخْسَبُ لِمُعَلَّلُ وَتَوْمَ والباز . . . ثم إلابنرور عالمات النالسالح لد يكون تحت مُعَالَمُهُ الاحتماك وقد يكرُنُ عَلَما دون اشتراك ا عرابه وطال الاول مصر ولاسنانة متلأ ومثال الثاني اوسخاليا يوبعض جوائر الاوليانوس ، قان سائع برياما ق سير رياً متكاريا وتهريا واما صاعها لي اوسترال اللاً علاينابه غيدالدول اعرادانهم فرنسا ولاالمنانينولا الزؤسية ولااءئها ولاابطإلما ولاافتسا ازيزاسن أريناما ف سُبِّي ١٢ سَيْلاء على تلك المقادة المستبعة لا بل يسترسن سمرًا من تدرق انكف أينًا والبيلاتها علما وجاء ان "لم وُلِلهِ الله باب المعدن المنفع و واذ تبين لكم أن للدائج نويان وجب البحث في أبها أكثر اشكاكا ولتوصل

يلايض على الماذي إ حالاً مهاً فيعدر بإن مسائنها من النوع الاول كالتأني االمنانح الايطاط مزكلتا اسا تبله سدريكما تدآعها

وَالْ اللَّهُ عَلَم المُعالِم عَلَم المعلِلا عَلَم الما الما الرلَّ لأبغ ولاسياح ١٦ تكورُاللين ازيم حما اللاات اير المعدلة لودم المالة للرمر غلا شركم ولو اكروط على تركها ويدا الخال فعميل او باكري حادل فلس الدماعل المالي الامدرية للمداخل السياس رثلت سأ مراجعة عميل الديامة فواعدراهة لا تميل ناويلاً وا يكن متالك دورد • راماً الثالث نهدد فنارًا الدفرب البوائع الدهيدة طاما لتزيه لاشرسا يبكا مارحا سعك

تفائن فرندا شريكة انكائره في السائر فلها اذن وَمُوا بِرَاهُم بِمَارِضُ فَاقَا ترجه الَّي الاستبلاء على مذا ألأبر حكت عليها الضرورة واللكة باحداد عسكر جرار إلىهانة البلاد أتبي افا تستول عليها بوسيلة الافتتاح ﴿ رِذِلُكَ صِمْلِ ١٩مَلُونَ عَلَى إِنْ يَشْمِلُ مَارِياً ﴿ وَأَنَّا أَفْتُرَامِنَا . أنها المنت منهم ولكامه من استالتهم الحيها افتنى الانتواخ لما عدماً قاد ألا يتنقل ولا ولم ولا يسكن ال مسالعة والو تورد الخراب وأكنب شوك أفتاد اعق دولة فراساً التي لانتين س بيد ذلك سلامًا مع برينانيا ولوسلميا شاؤد الفيزة المعد من يمعل أن الله الكثرة وحد جدًا

رجيع الجهات المعارفة وتعلىدما كلي وألك دولة امركا الهولانتوم لي ١٧ تَكَارِز ١٧ شَرًا • وعى الحت فرف ا الكنروزير الادد تاه كان مريشو ماد ايدا من مِلر مِرخ الدُ ترك الدرو با الدافعات الدونات للطان تذكرى وإندامة الدونه وآبابة المتلى وجس المنهر من وال فريل ان دعامة الكاثر فرد ا ناذا اعد ، با كا _ كس سى على حدد بتشاو وليس من رَجَالَ ١١ مَكَثِرَ مِنْ بِشَرِبِ حَةً ذَكِكَ ﴿ قَعِ الْمَنْ الْبُ انكفته لاتود النروع الما الاسليلاء ولوان أليلاد عنابسة وعامها واقرة وماليها ذيها مي وما : أكل لانها تدرك المائرة وعلى الحكيم أف الأبثل أتدم الى ما يسلب أقدم ورح الأسن أأل

الاخرر في خمرد شار لشاريها

المكرلكل تلياغمة الموي

ولذ تقرر لها بهان ان صائح اكتبر. في مدر فهان بَعْرُكِمَا اللَّهُ وَلا بِالاسْتِهَادُهُ عَلَيْهَا وَحَسَّهُ أَنْ نَسَالُ ۗ بِ فِي ابي ٿيره ينوم صائح ا تڪثيره عصر - رمثل بصر بسائح مسر بًا يثن يوصائح انكِلره ، اتول ان صائح اسكفر لايترم ألأباسكام ادارد مصروعذا الشائح عية مونيس صائح ير^{اء}ُ مِنَا مَا أَرِي أَنَا وَأَمَا أَمْنَهُ فَأَعْثَمُ لِنْسَكُ مَا يُخْمَ وَلَكُن لا يَدِينِ أَن تُنسَى اسْهَا لَ جَلْنَا أَيْ . نرو واحكم. كاد ند انهما ألكانم من اعال الكنم، وجب ألا منأل الم الجعث في اليال فرندا وسأتهذ أبه وسر

يترخ بعقهم أن أبس أمراءا في مشر أن هنأخ مأرً للدا المعرفية أو القبري الديدات برق على ما الشعبة أن الدرم تركمه الكناريولكطوا أرار وتنافها الإدارة إز لترامًا ١٠ لا يَشتره من المضائح الد المركزات سروبها السائل ماعار اجاة به عدا الدر السلاجل رعاز أأسريس الذي مومشة أبدي رجائا أأثم مقامها الادبي طاؤدي افاسبمهافا كلاإساب ساسه ادغلوم

الافية على أن هذا الدائح يستدي رجال ازيدا ال إجراء سيأسة تباين في يعش الوجن سياسا انكتبرة وة ؛ مترة ال مام المسريين تلست فرندا اذن ١٧ ديا. مهينا او ساجرًا حدوثًا بيان طبع أفكاتمه وإنهارًا المسرس . وس دان عار أن أحكم الأبارا في عدا البريمان سياسة فردسا وليعيءن خزف دايا أن تسعولي بهام عالمان المكتر الماتع ما دكرة ان للنهندائاً مإن إس تلدول الاشرما لما من المتوق الدبية وأن اسكم الادار: يا-بها فكان وليما بعد علمه الابانة ان نري سيا ة واثم مارتنسها

لاستاحة أن خلل الادارة لاسيا المائية م الذن الرُّمَامًا اللَّهُ عَدْهُ الخَدْرِجَةُ وَأَنَّعُ كَذَاحِتُهِ بِأَنَّا فَوْجُونَ أَرْمَنَارُ ا في رياسا مهم لا أن ندفهم رغال دان طاب ١٠١ بالعدة من شنون اما ما فرة واما بالعلوق الدرد: ١٠٠٠ المترار نفت الانجواب حنائها فان مريدا الإراب كمنها تنافقا بوعاهل اسكام الادارة بإدلام المهر فيستاد الأفائل واثج مسرلاينورتا بالمكالم تلاءرا ورعاره فالواحمة ان صالى أ في وسع مسران عكم الدارم اسمرا ام ما زأك الى الساء: تأسرة مدايد از __غيكن واجب الوجود نسة لمواخذ ١٠ نسان المرابعة الملها المربعة الملها المربعة الملها المربعة الملها المربعة الملها المربعة الملها المربعة الملها المر المسايمة في المنظمة المنظمة المنظمة الما الفاريج إ توحل البعث في المرحة الخرى والاستعالية وفي الله حة والمائلها بهزراج لل فروحة وأوكائره في مدوع مينهم 16021112

بالمكنة بنعد التجرش وفلمة الزادت نثبت للغ سهال مرمة غور بيلة المكتمد فلت الاولى فاتبود الافتناج وذات من على لعلف الخاسؤ فان الاستلام على ما المعهر باده على من مامة صحب الفائية ولايدي أن أساء الذبن مو أجمة عند الذات خيرالمونية بدشي على السيرة صاحبه فلايرئ غير دائح تندي ولا يشعر بالم سواء ولا تمعت وواء مريناتها تاحمة الخات تجرابارشة فارجس السميف مها خوفارراقبيا ألعوي والكا الخفطا فبغا شاعن فنظامه تحربل المهلل التعرقيم صباغاتم سياها وسيريا كالم سيدما وه والمدولة لأن أفأش بالاستراء من تاويد معاول هي الحال الرو لما يها صائح ﴿ وَلَهِسَ لُوَكُلُونَهِ السَّوَاتُ وَمَا ني عال عقده الاماكن زلا مثال والعمرة في تومايد ال عالم وأزه باد المداخل الم الحد المراوب ، وحام على الدار الميادي تهددان ثرى الافارة الموطرة المسربة يمكنكر ميلاً الى فريسا منه الى انكنوه

فيسطاد بالدكرة ان المحكم الادارة أأهر بذؤير و مائح مصروسائح فرسا رصائح الكلاء ١٠١٠ إلاواء مقد أحركت ذلك والاستبرعاية كاما اكتانية أبيل مرامها المائمة قالا تناغف من عشد الاولى • ولم يحكم سائح النائد علها ان على علاف خسما لا أدا شاعب أن تعار أن الرويارين في مطانق الابانل • فاذإ كاستر الك عارير إلياكن النبية عابيا عنفيه

وأفلاصه فالمنال السلاومية الحمث المفارق طرأا الأ بأاحكامإداري بإسطاعة علمان بمكم نستبسو أفترو

الا كدرية في الوز (لولو) ما ١٨٢١.

حالتنا راو، با

للذا ان مسائما المريد المنسية الي واسرارالية إند كانت الاولى معلولة عن الثانية راكن حبل الشار أيها نهل المله وبعد نهل ولال الصربت حمالما وإندا كِي إدك بها لم نحسب المثلاً عاكات ما يكون واسها وْإِلْدُورْنِي وَاللَّكُ نُوجِهِ وَجِهُ الْإِمَالِيَّةِ اللَّهِ الرَّاوْفِ عَلَى الْوَالَّهُ المِلْمُكُلُ العَالُ وفي المُسَافَة المَالُمَة • ولمَا كَانَ الجِنْبُ أَمِهَا أينضُ علينا باطلاق عنان النَكر لنُكْسِ. وينسب في سادى الدائل والمدول وحتينة المشول فيوكان من الواجب إنَّ نهد في مذه المسأعل حل المنكل الذي عابو محرل

جاء في الإشال با معادً ، لا - ورل لازضاء المعمن ، ويُو مال منهاني أكدنا النبرية والبلط اله وادث الل اليه وُ باعرى الحدُهُ وستورّا لما قتا الماشرة آسض أوافك الذبن لم يتفرطوا معلى في سالك طباة السهاسة تقصول ان ابس من و بلا لمل مناكلا وبن اعتضام الدول حاراما رعاما مها وبها وخسارانا ادُّهَا وماديا قان أنَّ إ عالمات سهاسة لا يد من إلكت وأن عَلَيْهَا يُزَا الْم عَهِمَا ، قول ١٠٠ . عضدت الكوادث ١٧ عَيْرَةِ اراةً عَمَّا القريزَ فازداد بسكا با ارناى رلكن جهل منينه المتدمات الما فيست على الشيء واعتلت وإنا ليسطلك شرح المالة فتألي اما لما طما علما

أ لم إلى الما عبرنا ما فالما وكروناة مراوًا ولا ازال نارأة ردر ، لا يستطيع الشرق ان بخلص من تداخل العربب في احركه و الا عنى استطاع در نفسا ان بحكم نائم بندو , ولا بني على المداني ما ندس علاه الجملة أَمْ فَعَلَى مِن وَمُرَّا الْكَلَّامِ سَوْلَ مُعْكِرُون م وَلَ لَكُمْ ' النهزى ابن درجة المارغ او ما زال وطنها ثلا يد لماس رسي , مذا مر ٠ . إ لَّ الذي لا نَكَلْتُ النَّسَ بُحاد مَل تكل ا،ر أ الى السالع قان حا من البديهات وأكمت تَمَيُّكُانُهُ إِلَى النظر في حايفة السائل وهو أوويا أشول • اللِّي علدُ العمل في الصائح نهو بخار. المركة ركارماء الإيمال ولذا كان الروسة طانكتر من الاعتام بالمالة الذركية المنان أكار ما لاوستريا وفرنسا وأبا أكشرعا لالانيا وإبطالها كماكمان لذرنسا وإنكناء من الامتام بالمسأله النوفه المصرية أكترما للرذيبة طالمانكس رما فل ذلك الا انتزاب الماكم ار اتعاد أ و را ماكم ر وإنمالة عده اما سنة رار عمائيك كا اشرنا الى هذا ئ الهر مذا المتام فاندان كرن علنا كالأف وإختلانا عال الولمان ولم مه ب عك ان لاراسا وانكثره أي تعارنا المصري ساكمًا منفأ رمو نوعان ماليه رسهاي • فاتعاقه ي الميانة هذه علمي الدرلتين اما الى الوفائق وإما الى الميانة ، ولانديول للوفاق الا مواحد من امرين اما ﴿ الإُسْفِيلًا عَلَمُو بِالدِّنَّ وَقَسِيهُ إِلَّى شَعَارِ بِن يَعَلَّى الْمَاحِدُ : لِلْهَا حَدُهُ وَالنَّانَ لَامَانِهِ * وَإِنَّا الارتَفَاءُ مُركَدُ بِهُ عُسِينُ أَنَّا أَدَارِنِو وَبَوْلِ كُلِّ مِنْهِا مَا لِمَا مِنْ الْحَدُونِ الْمَالَمَةُ وَحِنْ تمانين عادلة بسندبر بها ولايتمداما نتاس الماعدة يدا عل النابة نهو أكار منها وطيا التلاف للا ناحل ال .5. الاحذائمام

أترما ذكرما اما خلاف فاصله مدا المسام وإما وقال للا - تبلاء على ألور راسارنام لنركره بهد نايرد قرامين لة فادن بانكاش كل مهما عن النداخل لي احكا.و ١٠١٠ اكملاف حالاً إن نبل المستميل لانا يدعو ال الاضرار بالدرا بنولمة ينذدما مطلق أشؤ وجد المبل الاشابها وإرناطها الى حذيض الذلة والسكة فه نلما شر ء تلم وبرحما بخلى حايث وهست العافية ولاعلس من أبراد اساب ما ذكرنا ناميدًا المراما

لا نبهل أبيا المعامل ان أكن من الدرادين لرسالًم

وإنكاتره وفبيه بإننا بالمرصاد للترنسا المالها ولانكاترين الررسة وكنا الربيتين تود ان تنزع بأيضتها الى النزاع والنقاق ١ اما المانها فناس يو جامها ونرتاح ألى نوز بع. عــأكرما رنحنهض ناةابها ااني القات كاملها واضرت ماأ وأملت أوبها ولد فعل المبار في الكعام. • وإما المروسوء أسخم يو تُغْمِسَ أَوْدَ لِ الْمَاسِ مِن طَرَاعِدْمِهُ الْمُسَالَةِ الْدُرْمُهُ * ونستر اعلامها نوق اعلام جوبي ارريا وخم البهاما عُرِق الىفمو واذ ذاك ناذن المان الأوراطور الكدر بان بطان على تلك البلاد الم الاعاد الروس كا الحاق: الإ. براطور غيلموم على بالباره وسواعا الاليحاد الجرمائيماً نسببي الرواية وقال قراسا وانكلاه ولد قلف اءام أ ابراب السلام والراحة ونعظلت سبابها وساءت أسوالما وب

الكيلاف وإنمالة مذه من قييل المستميل خالاً مُانَاتُمُ الدولتين عائدان ما منالك ومدركنان ان وراء الاكة ما وراه ماورود ما ذكرنا ما بدا من امكتره أبيل الانالاب" الاعبر الديبيت ال إد الماتها تشتغل الماذأ أولى. ائملاف بني لذا نوعًا الوفاق اما احدها ومو الامابلاء على البر بالافناق فلا تدنر الحَمَاكُ عن الحَمَالَة الحَلانَــأُ ر الله ال الحلاف تحد ألا كان رهذا الوفاق تحد ١٠٠١، المالة دون روب رعاو غلس ثم الا الران الداني وقد تود إ عد مرارًا باولها ان اس سوايا لمانون الدرادين في نمارها ١١ مل مشكَّاءِ ١١الي على رجيعادل واخكم اداري ورجب شرائع رنوابين لابرابها انسأت ولا ِتنامرها عال وإن حر في ان نعورانكه شها عث الأنبالاء اما بالاضطرار راما بالديهار فالتابان ولك حاسل ١٤٠١ لار لاراسطة ١٤١١مل

أبسناد بها ذكرنا ان الدولين غير منسامت فارضارٌ ما المن من قبول الحكن والواقع ان يتال ان اتناتها عنى ما إذكرها رئيك المصول نان عالم الاساد في مادى، الراي لم نكل الا تند الثلة اما الان لَئِسَ شِيءٌ مِنْ عَذَا الْعَيْلُ لَلْ اورِ بِا كُلِّهَا وَلِي مَنْدَمَهَا مانان الدرليان لما مل الله محود خديويها توفيق البهرِّ. ر، بزر الدمار ركماما أنترًا ما نشرت بنم شاء حراثهم اورما النهيرة زُند عربها عبها في مذا الدد جلاً بأن ان تكتب ناء الاعب لاميا الرل المسوية إلى سريدة الديبا النراسوية الشهيمة تعلبك بمعالمة التحمينة الثانبة من عددتا مذا راك الحكم وإثناء

وإد نهين ليا إن غاية الدوابي حردة كان من اللهاج به أو رح عنها عل المذكن المالي علم وجه احمن عادل بهمط للدائن والديوم ما قا سائةوق المرعبة نلا كل البر بالديام باحال لا بسنط م استا لما كما لإ بكال الدائل الميهة غيراد وابد ويناب عدما ان سجري ما نوهناً عا في جانبا المصدرة في رتت الاربعاء

وسواءً من أن مائين الدولين تتنبأن أواءً في لائد، لحنا النتهش الماما ترقي اللائمة الوطية وبعد ذلك توحمان العارال اراء رجابها الالبي كاما عفوين أواللبغ ونا ظرين ألاد اردامة فالراس حضرة قنصابها الجدرالين الدر مناعي الدو تروكو طلتيولا المنزون شرح ارائها ومذاهبها وتعنددان كل ٧١ عناد على انكار سو ولي الدم نوفيذا الممثل وإراء رجالو الكرام و 100 مذا وذاك مر ران بالانعاق مع عربزما والدول الاعراكة مَالَهُ تَمَكَّهُ الرَّمِعِ بَاللَّهُ لِللَّهِ الْعَلَمُ اللَّهُ عَلَى الْعَارِيْنِ لَلَّا

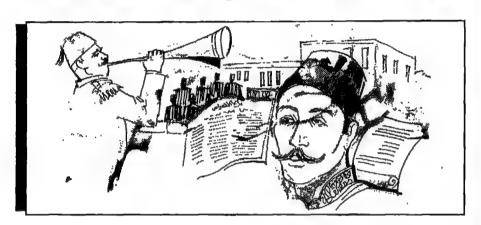
" وإذا يه ذر ولا ذا أه بنيم الجبة مذا وليس بحاف ان مشاكلا الماندة كله ومدرمانا عديدة وابس من سيبل لازالها الاحكة تواينا ورجاليا المتكون تر الدرصة فالارلى حاصلة والثابة في ١٧-١١عة فلا تفط أيها الوطق فسترى عا فابل مطلق ما أمرت ونهار أن أله عامدك بالترابق فكان أرطك خير روابل



احمد عرابی بك

لفصل الثامن عشر

ون (السلاملك)) إلى ((النسفة))



- الضباط لا ينفكون عن التجمع والتخرب والتألب
- عرابى يشرب من كأس التصافى على محبة الحضرة الخديوية!
 - عثمان رفقی یختفی فی کیس ملابس
 - الأهرام بعد حادثة قصر النيل:
 - «الراحة مستتبة وقد مر الاضطراب مرور السحاب»!



شهور وثمانية ايام هى فترة «الحمل الثوري» التى انقضت بين يوم اول فبراير و٩ سبتمبر عام ١٨٨١، والتى تحولت خلالها حركة الجيش المصرى من مجرد حركة فئوية الى حركة عامة تعبر عن المطالب

الوطنية.

اليوم الاول يسجل مشهدا من مشاهد الميلودراما التاريخية.. مشهد الخديو توفيق وقد وقف فى شرفة «سلاملك» سراى عابدين يصيح بأعلى صوته طالبا من جماعة «بروجى» السراى إطلاق «نوبة حضور» لضباط الحرس لمنعهم من الزحف الى ثكنات قصر النيل لتخليص عرابى ورفاقه من المحاكمة التى كانت قد دبرت له من قبل الخديو نفسه، ولم يستجب الضباط وساروا فى طريقهم لا يلوون على شئ، فعجلة التاريخ كانت قد دارت!

اليوم الثانى يسجل مشهدا آخر، هو اشهر مشاهد الثورة العرابية، مشهد المظاهرة العسكرية التى قادها أحمد عرابى الى ميدان عابدين أو «فسحة سراى عابدين» عسميات العصر.

وإذا كانت تفاصيل ما جرى خلال تلك الشهور السبعة التى انقضت بين يوم «السلاملك» ويوم «الفسحة» قد اصبحت معروفة من مظان عديدة فإنه يبقى من شهود الحوادث صحافة العصر، ونقدم هنا شهادة «الاهرام» بكل ما لها وما عليها!

يضيف احد شهود العصر تقديم الضباط المصريين «لعريضة» الى رئيس النظار المصرى يوم ٣٠ يناير عام ١٨٨١ بأنه « مبدأ الحوادث المدلهمة»! فقد تتابعت تلك الحوادث على نحو غير متوقع خلال الايام التالية..

تشكو العريضة من عثمان باشا رفقى ناظر الجهادية (وزير الحربية) «وان سعادته يعامل ضباط العسكرية بالذل والاحتقار» (!)، وتشكو من إحالة الضباط الوطنيين، الى الاستيداع، دون غيرهم من الضباط «من بنى جنسه»، تقصد الجراكسة، وتنتهى المذكرة بطلب «رفع سعادة المشار اليه من مسند نظارة الجهادية الذى لا تسمح القوانين الحرة بتوجيه هذا المسند لمثل سعادته»، وحملت العريضة توقيع احمد بك عرابى.

سببت هذه العريضة قلقا شديدا لدى الدوائر الحاكمة، رياض باشا والخديو توفيق، ويقول نفس الشاهد أن الأول «اضطرب اضطرابا شديدا وداخله من الوسوسة والخوف ما أربكه»، وأن الثانى «بالغ فى الضرر الذى يحدق بالعرش فيما لو استتب أمر هذه العصابة واستفخل عملها»!

وكانت هذه هي البداية ليوم «السلاملك» يوم الثلاثاء، أول فبراير عام ١٨٨١، حين حررت ثلاثة أوامر الى ثلاثة من «امراء الجند هم على بك فهمي المشهور بالديب، امير

جند الحرس الخديو، واحمد عرابى بك أمير جند العباسية، وعبدالعال بك حلمى المعروف بأبى حشيش أميرالجند السوداني المعسكر بطرة من ضواحى مصر القاهرة، وقضت تلك الأوامر بمثول الثلاثة امام محكمة عسكرية.

بقية القصة معروفة فان المحاكمة الصورية التى عقدت لهؤلاء فى مقر ديوان الجهادية بقصر النيل وتجريد الرجال الثلاثة من رتبهم ووضعهم فى السجن انتهت الى تحرك قوات الحرس الخديوي بقيادة البكباشى محمد عبيد واقتحمت الديوان وحررت الضباط الثلاثة، وجاءت نهاية عثمان رفقى الكوميدية عندما هرب الى ورشة الترزية حيث «سره رئيسها ببعض اكياس الملابس كى لا يراه احد من الجند، وبقى هناك حتى عادت الجند الى مقرها بفسحة عابدين»ا

أول اشارة عن الحادثة في «الاهرام» عن يوم «السلاملك» او ما عرف في التاريخ باسم «حادث قصر النيل»، جاءت في العدد الصادر يوم الخميس ٣ فبراير، أي بعد يومين من حدوثها، وقد حرص مراسل الجريدة في العاصمة ان ينبه الى ان البعض اعتبرها «من الحوادث المهمة وقاس وفصل وخاط عليها» وانها في تقديره «لا توجب التشويش والاضطراب»!

وقد التزم «الاهرام» بموقف التهوين من الحادث، بل وبما اعقبها من حوادث، وهو موقف نرى انه قد انبعث من اعتبارين: الاعتبار الاول ناتج عن ولاء اصحاب الاهرام للخديو توفيق، وهو ولاء استمر طول الوقت، والثاني صادر عن الرغبة في عدم بث الخوف في المجتمع السكندري، وهو مجتمع شديد الحساسية بسبب الوجود الاجنبي العريض فيه، وبسبب تعدد وجوه النشاط المالي بداخله، بكل ما هو معروف من جبن رأس المال؛

يتبدى هذا التهوين ليس فقط من التأخر النسبى في نشر خبر الحادث وانما في الصيغة التي وضع بها..

أهم ما فى هذه الصيغة ما حرص الأهرام على ابرازه من ان الحادث بسيط، وان الضباط الثلاثة توجهوا الى عابدين «وتشرفوا بحضرة الجناب العالى والنظار وأعلنوا عن خضوعهم.. وانقضت أحكام هذه الحادثة فورا كأن لم يكن شئ وسكن هيجان الأفكار واستولى الهدوء»!

ورغم أن الاهرام قد اعترف أن «سعادتلو عشمان باشا رفقى ناظر الجهادية قدم استعفاء فقبل وخلفه حضرة سعادتلو محمود باشا سامي» (البارودي)، فأنه أكد على «انصياع رجال العسكرية على حفظ القانون» وأنه لن تأتى الايام بمثل هذه الحوادث وأن «الراحة مستتبة وقد مر الاضطراب مرور السحاب»!

وخلال ما يقرب من اسبوعين بعد الحادث درجت سياسة الاهرام على الاستمرار في

اشاعة الطمأنة.. اشاعتها في نفوس الناس وفي نفوس الضباط أيضا..

فى نفوس الناس بالقول ان الضباط «تشرفوا بحضرة اميرهم وقدموا الخضوع والاحترام واستماحوا غض الطرف عما جرى واعترفوا بفضل الجناب العالي.. وهم يعلمون حق العلم ان الممالك والأمم لا تقوم الا بحفظ القوانين والشرائع ولا توطد الا بالاتحاد والوفاق».

ولا تنسى الصحيفة بعد ان تنبه الى مخاطر الانقسام والتخاصم ومن «ان الاوربيين مترصدون مراقبون حتى اذا ما تبينوا أمرا ولو طفيفا نزعوا الى التدخل».. لا تنسى التأكيد على «أن الاخبار كلها مكذوب فيها مختلقة ساقطة»!

وفى نفوس الضباط بالتأكيد على عفو الخديو عنهم فى كل مناسبة وكان لهذا التأكيد اسبابه..

فالضباط قد اعتقدوا، وكانوا محقين في ذلك، ان توفيقا ورجاله كانوا يتربصون بهم، وينتظرون الفرصة للايقاع بهم..

عبر عن ذلك الزعيم احمد عرابى فى مذكراته التى وضعها تحت عنوان «كشف الستار عن سر الاسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية»، والتى تحدث فيها عن «دسائس الخديو ورجاله»، وعدد ثلاث عشرة دسيسة خلال الفترة بين يوم السلاملك ويوم الفسحة!

ولعل ذلك ما دفع الاهرام الى تفنيد الاقوال التى شاعت بأن عفو الخديو موقوت وجاء به يوم ١٠ فبراير مقال طويل أنهاه بقوله «وعليه فانا لنأمل الثقة بكون العفو قد صدر عن قلب طاهر لا يخامره غش ولا يرتاب به، كيف لا ونحن نعلم ميل هذا الامير الى تحسين احوال الجندية ورعاية الوسائل اللازمة في شأن تعزيزها ورفع عمادها وحفظ شرفها»!

لعله ايضا هو الذى دفعه الى الاحتفاء احتفاء ظاهرا بالاستقبال الذى اعده توفيق بسلاملك سراى عابدين ظهر يوم السبت ١٢ قبراير وألقى فيه خطبة أكد فيها على نفس المعنى، فقد قال بالحرف الواحد فيما ننقله عن الاهرام..

«لا أخفى عنكم ما حصل لى من الاسف بأسباب الحركة التى حدثت وانقضت ومع هذا فإنى قد عفوت ولم يبق من آثارها شئ بالكلية فيلزمكم من الآن فصاعدا أن لا تشتغلوا بشئ خارج حدود وظائفكم واجتهدوا فى أداء واجباتكم العسكرية»

وقد اعتبر الاهرام هذا النطق الخديوى «كفالة تامة بالعفو عما توهم من تلك الحادثة السابقة فيكون موجبا لاطمئنان حضرات الضباط وكمال انتمائهم على انفسهم وشرفهم العسكرى»!

وينقطع الاهرام عن النشر عن الحوادث لأكثر من شهرين بعد ذلك، وعلى وجه

التحديد حتى يوم ٢٢ ابريل ، وهو انقطاع لم يعن توقف الاحداث. ★★★

لعل اهم ما حدث خلال هذين الشهرين ان جماعة الضباط قد أصبح لهم رجل داخل مجلس النظار، هو محمود سامى البارودى الذى حل محل عثمان رفقي، وقد وقف الرجل بالمرصاد لأية محاولات لايذائهم.

من ناحية اخرى فقد نشط رجال الحاشية للايقاع بالضباط المصريين، وتم خلال نفس الفترة القبض على أحد الضباط الجراكسة فى الآلاى السوداني الذى كان يقوده عبد العال بك حلمى، وهو يحرض الجنود ضد قيادتهم، وبعد التحقيق معه تبين انه قد تم تحريضه من بعض رجال السراى الذين استمروا على حد تعبير شاهد محايد «يدبرون لهم (أى للضباط) المكائد ويعملون على هلاكهم».

وفى مثل تلك الظروف كان متوقعا ان يستمر الصراع، ورغم الحرص من جانب الاهرام على الاستمرار في عزف نغمة «التهوين» إلا انه في متابعته للأحداث كان يكشف بين الحين والآخر عن تصاعد الأزمة..

فى العدد الصادر يوم ٢٢ ابريل نشر الاهرام «صورة امر عال بزيادة ماهيات الضباط والعساكر البرية والبحرية وصورة امر عال آخر بتشكيل قومسيون (لجنة) عسكرى للنظر في كافة ما يلزم اجراؤه من التعديلات في التنظيمات والقوانين العسكرية»

وقد ضمن الأهرام مع الأمرين قائمة «بالماهيات الجديدة» بكل ما تقرر فيها من زيادات ، والتقرير الذي رفعه رياض للخديوي يشرح فيه الأسباب التي دفعته الى قبول مطالب ناظر الجهادية، ولم يكن سوى محمود سامي البارودي نفسه!

ويسجل شاهد معاصر عاين تلك الأحداث ان رياض باشا وسائر الوزراء قد قبلوا هذا تحت ضغط البارودى والضباط الذين «لا ينفكون عن التجمع والتحزب والتألب، أينما صاروا، وحيثما ساروا، حتى في الشوارع والطرقات وأمام بيوتهم وخصوصا امام دار زعيمهم احمد عرابي بك».

فى ٢٨ ابريل ينشر الأهرام خبر المأدبة التى اقيمت فى «نظارة الجهادية فى قصر النيل «ليلة الأحد السابق» على نفقة سعادتلو محمود باشا سامى « وألقى فيها «عزتلو أحمد بك عرابى» خطابا..

ورغم ما تضمنته تلك الخطبة من مناشدة للحضور « ان تشربوا معى كأس التصافى على محبة الحضرة الفخيمة الخديوية وحضرات نظارنا الكرام وجناب المراقبين الفخام »(!) إلا أن مسجرد عقد المأدبة على هذا النحو وفى نفس المكان الذى حوكم فيه الضباط الثلاثة قبل اسابيع قليلة، ثم ان يكون زعيم هؤلاء هو الخطيب الرئيسى فى الحفل.. كل ذلك لم ينزل على وجه اليقين منزلا مريحا فى قلوب الخديو والوزراء.

ويسكت الأهرام ستة اسابيع اخرى كان واضحا خلالها ان المياه ما زالت تتدفق تحت الجسور في نهر الأزمة..

يشير الى ذلك الخبر الذى نشره فى العدد ١١٢٤ الصادر يوم الخميس ٩ يونية، وقد اكد فيه ان قناصل الدول قد التقوا بالخديوى وحادثوه عن انتشار الشائعات «بخصوص حركات جديدة من الضباط بمصر مما يخل بالراحة العامة وانهم مستعدون لأن يعلنوا ذلك لدولهم حتى ترى فى الطرق المناسبة للإسكان والراحة».

ومع ان الخبر تضمن رد الخديو بأنه سيبذل كل جهده «فى إزالة كل إشكال من هذا القبيل» فإن الأهرام لم يألو جهدا فى انتهاز الفرصة للتنبيه الى ان الضباط أعلم «بالطريقة المثلى والمنهج الأقوم» والتنبيه الى تربص أوروبا «ومراقبتها حالتنا وتوقعها التفتيش على اسباب ولو طفيفة تنتحلها علة للتداخل».

بيد ان الملاحظة ان «الأهرام» قد اعطى عناية ظاهرة بعد ذلك بتتبع اخبار «عزتلو احمد بك عرابى الأفخم» على حد توصيفه له، فمرة يتحدث عن دوره فى «القومسيون العسكرى» الذى كان الخديو قد اضطر لتأليفه من ١٤ من كبار الضباط كان ثلاثة منهم من الأجانب وعشرة من الضباط المنحدرين من أصول تركية، وكان عرابى الضابط الوحيد الذى ينحدر من اصل مصرى. ومرة أخرى يتحدث عن احتفال جمعية التوفيق الخيرية بمصر «بليلة أنس وسرور» تحت رئاسة أحمدبك عرابى «احد مؤسسى الجمعية»،

يوم الأحد ١٤ اغسطس عام ١٨٨١ كان علامة هامة فى الطريق بين يوم السلاملك ويوم الفسحة، ففى ذلك اليوم صدر امر عال لرئاسة النظار جاء فى سطر واحد.. قال: «بأنه بناء على ما تقرر واستحسن قد تعين سعادتلو داود باشا ناظرا للجهادية والبحرية»، وكان معنى ذلك ببساطة ابعاد البارودى عن هذا المنصب الحساس ليتولاه احد رجال الخديوى، فهو فضلا عن أنه من اصهار توفيق، فقد وصفه مراقب اجنبى وقتذاك بأنه «رجعى متطرف لا يتردد فى أن يأتى أى عمل يكون فى مصلحة العصبة الماكمة».

صنع هذا الاجراء قلقا شديدا في صفوف الضباط المصريين اعرب عنه الأهرام في مقال طويل بعد ذلك بيومين تحت عنوان « الجهادية وحضرات النظار » والذي جاء في مطلعه «أكثر العالم من الأقاويل وتضارب ظنونا في مسألة الجهادية التي امست في الحقيقة نقطة لتوجيه الأفكار اليها من العموم.. »

وكان من المنتظر ان يستتبع هذا القلق مزيد من الأحداث، ومن الجانبين.. الناظر الجديد اصدر امرا بابعاد الفرقتين اللتين يقودهما عرابى وعبد العال حلمى الى خارج القاهرة.. احداهما الى الاسكندرية والاخرى الى دمياط، وهو الأمر الذي كُلف البارودي من قبل بوضعه موضع التنفيذ الاانه رفض ذلك الامر الذي ادى الى

استبداله بدواد باشا.

الضباط الذين كانت تساورهم الشكوك طوال الوقت من نوايا العصبة الحاكمة اخذوا في بناء الجسور مع قوى الحركة الوطنية، وفي تلك الظروف ظهر «عبد الله النديم» الذي لعب دورا ملحوظا في ذلك البناء. فقد وضع بالاتفاق مع الضباط منشورا يطلب في من الشعب إنابة عرابي في المطالبة بحقوقه والتحدث باسمه، واخذ يجمع التوقيعات عليه مما كان بمثابة أول «حركة توكيلات» في التاريخ المصرى الحديث. وبدأ أن الطرفين يندفعان بخطى سريعة للمواجهة.

لم تخفف نسمات الخريف المصرى المعتدلة من سخونة الموقف المتأزم في القاهرة، كما لم تخفف منها صياغات الأهرام المعتدلة لذلك الذي يجرى في العاصمة..

من بين محاولات التخفيف الاهرامية ذلك المقال الذى نشره يوم الجمعة ٢ سبتمبر قبل حادث «الفسحة» بأسبوع واحد، وقال فى مطلعه «أنه ليس هناك مايوجب القلق والقلاقل فهى مسألة قديمة » وأن « الضباط ومقدمى قواد العساكر اعلنوا عن تكدرهم مما عزته اليهم بعض الجرائد من عدم الانقياد الى النظام فى حين نرى انهم باذلون جهدا وعاملون بما فى وسعهم لمرضاة اميرهم وولى امرهم ورجال الحكومة السنية..».

ولم تجد نغمة التهدئة اصحابها فتيلا ففى يوم الجمعة التالى وقعت الواقعة . . مظاهرة عابدين، والتى اسهبت شتى المراجع فى وصفها ولكنا هنا نطالعها مع قراء الاهرام فى يوم ١٠ سبتمبر عام ١٨٨١.

العنوان الذى اختارته الجريدة للمظاهرة «حادثة مصر» ساقت في جانب منه أخبارها وفي جانب آخر التعليق عليها..

فيما يتصل بالأخبار قالت انه: «في نحو الساعة الخامسة وردت العساكر الى فسحة سراى عابدين وكان قد ارسل حضرات الضباط بشير كولارى (كلمة تركية تعنى المراسلة) الى جناب القناصل يعلنون فيه انه ليس لهم غاية في ايقاع ضرر بأحد من الأجنبين والوطنيين ولكن لهم غاية واحدة تتحصر في ثلاث مسائل، اولها تغيير الوزارة واستبدالها بوزارة يؤلفها دولتلو شريف باشا. والثانية اقامة مجلس نواب. و الفائدة وجوب السير بالقانون العسكرى الذي شكله القومسيون المشكل من وطنيين وأحنين،

ويلاحظ من قراءة بقية الخبر امران. اولهما ان المظاهرة التي يشير الخبر انها قد استمرت حتى الساعة التاسعة، اي أربع ساعات بالتمام والكمال ، قد انتهت بأن «تفرقت العساكر معلنة تمام خضوعها لسمو الخديو المعظم».

الأمر الثانى ان الخبر لم يشر من بعيد أو من قريب لطبيعة المحادثة التي دارت بين توفيق وعرابي والتي اثبتها الأخير في مذكراته وجاء فيها عبارته المشهورة: «لقد

خلقنا الله احرارا ولم يخلقنا تراثا وعقارا، فوالله الذي لا اله الا هو اننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم».

ويمكن أن يعزى ذلك الى أن مراسل الأهرام الذى ذكر أنه كان موجودا فى «الفسحة» خلال المظاهرة، لم يكن قريبا بقدر كاف يمكنه من سماع المحادثة، وأن كنا نرجع أكثر أن السبب يعود الى ما درجت عليه الصحيفة طوال الأزمة من أتباع سياسة التهدئة..

يؤكد ذلك ما جاء فى تعقيب الاهرام على «حادثة مصر» وردود فعلها فى الاسكندرية من «اضطراب مركز البورس (البورصة) حتى سقط السعر الى الحد الذى ترى».

وينهى الاهرام تعقيبه بقوله: «ان حكمة خديونا المعظم وحسن النوايا العامة ستزيل ما هنالك من الإشكال وتدفع الأوهام. ولنا ان نشبت للجميع ان السلام في العاصمة مستول والراحة مستتبة والسكون شامل والله المسؤول بحسن الختام».

غير أن تلك الآمال لم تتحقق فقد سارت الامور في طريقها الثورى وهو طريق لم يكن ليستريح له الأهرام على اى الأحوال. مما يشكل فصلا آخر من فصول علاقة الصحيفة بوقائع ذلك العام.. «عام الحوادث المدلهمة»!.

• مراجع القصل الثامن عشر

	اعداد الإهرام:
التاريخ	رقم العند
1W1/1W1	1.14
\AA\/Y/A	1.71
1441/1/1.	1.77
3/\7\18	1.77
\W\\t\\t	1.27
1441/4/44	1-41
\M\/1/1	37//
١٨٨١/٦/١٠	1170
M1/1/1r	1177
11/1/11	1144
\M\/\/\1	////
\M\/1/\.	1194

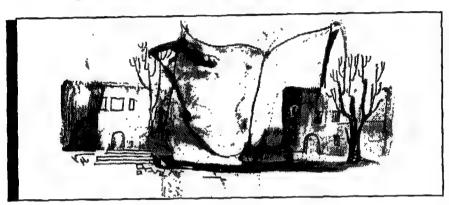
ـ أحمد عرابي: كشف الستار عن سر الاسرار في النهضة المصرية المعروفة بالثورة العرابية جزءان القاهرة ١٩٥٢

⁻ ميخائيل شاروبيم: الرقيب أو حوادث مصر الأخيرة تحقيق د. يونان لبيب رزق القاهرة ١٩٩٢

الكسندر شواش: مصر للمصريين ـ أزمة مصر الاجتماعية والسياسية ١٨٧٨ ـ ١٨٨٢ ـ تعريب د. روف عباس حامد القاهرة ١٩٨٢

الفصل التاسع عشر

يوم حريق الأمرام!



- الاهرام والسيرعلى حبل مشدود
 - ميدان القناصل بدا «كأتون نار»!
- الهمام أحمد بكعرابي لا يبالي بالأتعاب!
 - 11 يونية بين المذبحة والشغب الدموى
- الطائف: لسان العرابيين الرسمي وترجمانهم الصحيح

المسيو سرسق بشارع مطبعة الأهرام ، دائرتان للمسيو أنطون أديب «مائرة الخواجات بشارع مطبعة الأهرام بما فيه ادارة الأهرام ومطبعتها، دائرة الخواجات بسترس وتويني بشارع مطبعة الأهرام» كانت بعضا مماجاء في بيان طويل «لأسماء المحلات التي أصيبت بالحريق في ثغر الاسكندرية وأسماء أصحابها» فيما نشره الأهرام في عدده رقم ١٤٢١ الصادر في ١٤ أغسطس عام ١٨٨٢.

الحريق الذى يشير اليه الأهرام وراح ضحيته المطبعة والادارة هو الحريق الذى أشعل فى الاسكندرية فى اليوم التالى لضربها من قطع الأسطول البريطانى فى ١١ يوليو من نفس العام، وهو يشكل فصلا من فصول ذلك الصيف الدامى الذى بدأت نذره منذ مظاهرة «فسحة عابدين» فى ٩ سبتمبر عام ١٨٨١، على حد تعبير الأهرام، ولم تتحقق آمال الصحيفة، أو أصحابها، من أن الاستجابة لمطالب «الجهادية» سوف تضع حدا للأزمة..

فقد أعقب تلك الاستجابة طريق طويل من الأحداث الثورية يمكن تتبعه من خلال جملة من العلامات الرئيسية، وهي علامات معروفة في التاريخ المصرى، بيد أنه من الطلوب التذكير بها هنا سعيا بعد ذلك الى تتبع موقف «الأهرام» منها..

العلامة رقم (١) ما تبع حادثة والفسحة» من سقوط وزارة رياض وتأليف وزارة شريف التى فرض عليها العسكريون أولا استبقاء البارودى وزيرا للجهادية والذى قبله الرجل على مضض (١)، تبع ذلك محاولة من جانب رئيس الوزراء الجديد لابعاد الجيش عن السياسة من خلال اخراج عرابى من القاهرة الى رأس الوادى، وهى المحاولة التى أتت بعكس المطلوب منها فقد حول عرابى مسيرته الى مقره الجديد الى مظاهرة شعبية تأكدت من خلالها زعامته، الأمر الذى دعا الحكومة الى اعادته للقاهرة.

العلامة رقم (٢) تتجسد فى الخلاف الذى دار بين الزعامة الثورية من جانب وبين شريف والحديو والقوى الأوربية، التى أسفرت عن موقفها من خلال المذكرتين اللتين تقدمت بهما انجلترا وفرنسا فى ٧ و ٢٦ يناير عام ١٨٨٧، من جانب آخر، حول صلاحيات مجلس النواب الذى شرع فى تكوينه، وما إذا كان من حق هذا المجلس الإشراف على شئون مصر المالية أم يحرم من هذا الحق، وهو الخلاف الذى أدى الى استقالة شريف.

العلامة رقم (٣) تبدت في تشكيل وزارة محمود سامى البارودي في ٤ فبراير عام ١٨٨٢ الذي ارتآه المؤرخون «انتصارا لإرادة الشورة» ليس فقط لما كان معلوما من مساندة الرجل للتيار الثوري، وانما الأهم من ذلك لتولى عرابي «وزارة الجهادية» في الوزارة الجديدة، الأمر الذي استتبعه السيطرة الفعلية من هؤلاء على أداة الحكم.

العلامة رقم (٤) فيما عرف «بمؤامرة الجراكسة»، فقد اتهم كبار ضباطهم بالتآمر

على اغتيال زعماء الثورة، وقدموا لمحاكمة عسكرية حكمت بنفى اربعين منهم الى أقاصى السودان، وأدى رفض الخديو التصديق على تلك الأحكام بإيعاز من القنصلين الانجليزى والفرنسى، الى استحكام الأزمة بين الطرفين، وسعى كل منهما الى التخلص من الآخر، ومع تدخل النواب ورجال الدين قت تسوية الأزمة، ولكن بدأ ما يمكن توصيفه بمرحلة التربص بين توفيق والثوار.

العلامة رقم (٥) والأخيرة تبدت في الوضع الشاذ الذي أعقب استقالة وزارة البارودي في ٢٥مايو عام ١٨٨٧ نتيجة لمذكرة مشتركة ثالثة طالبت بهذه الاستقالة وبابعاد عرابي عن الجهادية (الحربية)، فقد بقيت مصر بعد هذه الاستقالة ٢٦ يوما، وحتى ٢١ يونيه بدون وزارة، واستمر يشرف على تصريف الأمور فيها وكلاء الوزارات وعلى الخفاظ على الأمن أحمد عرابي من خلال موقعه الذي احتفظ به وزيرا للجهادية.

وفى تلك الأيام التى قاربت من الأربعة أسابيع شهدت مصر أحداثا جساما، نرى قبل الاقتراب منها تقليب صفحات الأهرام للتعرف على موقفه من تتابع الأحداث خلال الشهور السابقة.

السير على حبل مشدود أصدق توصيف يمكن أن يخرج به أى قارى، مدقق لأعداد الأهرام خلال ما يناهز الشهور التسعة الممتدة بين ٩ سبتمبرعام ١٨٨١ و ٥ يونيه من العام التالى حين اختار الاخوان تقلا ايقاف صدور الجريدة حتى تنجلى الأمور، وهذه قصة سوف نعرض لها في موقع آخر من ذلك الفصل .

صنع هذا «الحبل المشدود» رغبة ظاهرة من جانب الجريدة في الابقاء على ولائها للخديو توفيق، سواء للعلاقة التي ربطته بآل تقلا منذ آواخر عصر أبيه، أو لاعتبارهم اياه ممثلا للسلطة الشرعية، ولم يكن لديهم من أسباب الثورة عليه تلك التي كانت لدى المصريين الذين شاركوا في الشورة، وفي استرضاء القوة الثورية بقيادة «أحمد بك عرابي» التي كانت تكسب أرضا كل يوم.

وبينما استمرت رغبة الأهرام في الولاء للخديو ظاهرة قبل الأحداث الثورية، وفي خضمها، ثم بعدها، فإن المأزق الحقيقي الذي وقعت فيه الصحيفه بدا في محاولتها بناء علاقة جيدة مع قيادة الثورة، وهي في هذا اتبعت سياسات عديدة..

الترحيب بحكومة شريف باشا التي جاءت بناء على المطالب التي تقدم بها العرابيون يوم الفسحة.

وعندما تطورت الأمور وتولى «صاحب العزّة أحمد بك عرابي» وكالة نظارة الجهادية أبدت عدم شكها «بأن هذه النظارة ستنال بحضرات سعادتلو ناظرها «البارودي» ووكيلها ما يجعلها قدوة في النظام »!

وبعد أن بدأ عرابي في ممارسة مهام منصبه في الوزارة جاء تعليق الأهرام بأن ذلك

جاء «بمثابة اعطاء القوس لباريها» (!)، وذلك بعد تقديم وصف للاستقبال الحافل الذي لقيه عرابي في الوزارة.

ويقدم الخبر الذى نشره الأهرام فى ١٤ يناير عام ١٨٨٧ نموذجا للموقف الاسترضائى الذى اتخذه من الزعامة الثورية.. جاء تحت عنوان «الجهادية» ما نصه «نرى سعادة الهمام محمود باشا سامى يشتغل فى ادارة نظارته حق الشغل وكفاه انه حزوم لايعرف التردد وهى صفة من أفضل معدات الادارة ونرى نظارته آخذة فى الاقتصاد المحكم ورؤساء الآلايات عاملين تحت رياسة الهمام أحمد بك عرابى بتكميل الآلايات الجديدة غير مبالين بالأتعاب» !

ووصل الأمر بالاخوين تقلا فى اتباع هذه السياسة الى درجة أنهما خرجا عن بعض تقاليد الأهرام حين أفردا جانبا من الصفحة الأولى من العدد رقم ١٣٤٣ لنشر نص ترجمة «المقابلة التى قت بين سعادتلو عرابى بك ناظر الجهادية ومراسل جريدة الطان».

من جانب آخر وحرصا من الأهرام على عدم التورط في نشر أخبار الأزمات المتلاحقة فقد كان يصوغها بشكل يتجنب معه اتخاذ أي موقف (!) وتتعدد الأمثلة..

عن الخلاف الذى نشب بين عرابى ورئيس مجلس النواب سلطان باشا، عندما تنشر جريدة التايز اللندنية خبرا مؤداه أن الأول قد أوسع الأخير تهديدا «ويده على قبضة السيف اشارة الى مايحل بالنواب ان خالفوا الحزب الجهادى (العسكرى)»، يصف الأهرام ذلك «بالاختلاقات التى لم تكن لتخطرعلى بال».

يبدو ذلك بشكل أوضح فى التعليقات على «مؤامرة الجراكسة» التى كانت مصدرا للخلاف بين الخديو ووزارة البارودى، أو وزارة الشورة، الذى بدأ فى شكل من الحياد البارد .. بل والبارد جدا.

أول خبر نشره الأهرام عن المؤامرة وضعها فيها في مرتبة الأقاويل والشائعات!

يصمت بعد ذلك لنحو أسبوع بينما مصر كلها مشغولة بأخبارها، وفي نهاية ذلك الأسبوع يسوق خبرا مقتضبا بأن المجلس العسكرى سيصدر الحكم على «٣ اشخصا بنزع الرتب عنهم ونفيهم جميعا»، ويصمت مرة اخرى لأكثر من اسبوعين ليقول: «شاغل الجمهور وموضوع أحاديثهم حكم المجلس العسكرى وتنفيذه وقد تشعبت الأقاويل وتنوعت دروبا فبتنا لانفرق بين الصحيح منها وغيره»!

من جانب أخير فانه مع كل هذا الحذر لم يغفل الأهرام التعبير عن ولاته للخديو فى سياق تقديمه لأخبار عرابى كأن يقول وهو يسوق خبر تعيين الرجل وكيلا للجهادية: «اقتبل (استقبل) سمو الخديو أمس سعادة أحمد بك عرابى وكيل الجهادية فشكر للجناب العالى التفاته بتقليده هذه الوظيفة»(!)

وبينما كان يعلم الجميع أن موقف توفيق من الحكم العسكري الذي صدر في قضية

مؤامرة الجراكسة كان سببا فى أسوأ نزاع مع حكومة الثورة، الأمر الذى أدى الى استقالة البارودى تطلع الأهرام علينا بقولها: «أننا لم نكن لنشك بفضل سموه الذى له حق التلطيف ولابما لوزارتنا السامية من حسن السريرة وعليه فاننا نعتبر أن هذه المسألة أمست فى حكم الماضى»!

بيد أن كل ذلك لم يجد الأهرام نفعا فالثورات لها منطق آخر .

يقوم منطق الثورات في العادة على أن «من ليس معنا فهو علينا» ومن ثم فان سياسة السير على الحبال المشدودة عمرها قصير مهما بلغت مهارة السائرين ..

وقد بدأ الثوار بصناعة «من معنا»، وقد قدم عبدالله النديم أكثر صور هؤلاء بروزا، والذى كان على صلة وثيقة بأحمد عرابى شخصيا، وتشير المراجع الى أن الأخير كان هو الذى أشار على النديم بالكف عن الاستمرار فى اصدار «التنكيت والتبكيت» ذات الطابع الهزلى وانه هو الذى اختار للصحيفة الجديدة التى أصدرها النديم اسم «الطائف» تيمنا «بالبلدة الموجودة بهذا الاسم فى الحجاز»، وتفاؤلا بأنها ستطوف البلاد الاسلامية، وتسجل أحد المصادر المعاصرة أن الطائف كانت «لسان العرابيين الرسمى وترجمانهم الصحيح»!

تبعوا ذلك بأن رفضوا "من علينا"، وقد دفع ثمن تلك السياسات بالأساس الصحفيون الشوام على اعتبار أنه كانت لهم اليد الطولى في إصدار الصحف الأهلية في ذلك الوقت.

لم يفرق الثوار في ذلك بين الصحفيين من أصحاب التوجهات الوطنية الذين عانوا من السياسات الاستبدادية لرياض باشا في مستهل عهد توفيق وبين غيرهم ..

فقد شجع تطور الأمور على النحو الذى أدى الى اسقاط رياض فى ٩ سبتمبر عام ١٨٨١ الى عودة رجل مثل أديب اسحق، صاحب جريدة التجارة الشهيرة التى كانت لسانا لجماعة الأفغانى، وشروعه فى اصدار جريدة أخرى باسم «مصر»، غير أن العرابيين لم يستريحوا لما اعتبروه اعتدالا فى سياساتها الأمر الذى دفعه الى الكف عن الكتابة فيها ثم توقف صدور الصحيفة بعد بضعة أشهر من صدورها.

وكان من الطبيعى أن يعانى «الأهرام» من تلك السياسات رغم كل ماتذرع به من أسباب الحرص، فقد نالت الجريدة خلال أسبوع واحد، بين يومى ١٧ و ٢٢ أبريل عام ١٨٨٢ انذارين، ولأسباب لم تخف بواعثها على صاحبى الأهرام..

الانذار الأول تعلل بأن الأهرام قد نقل من جريدة فرنسية خبرا عن المؤامرة على عرابى وقد طالبت ادارة المطبوعات الجريدة «بضرورة تحرى الأمر حتى يثبت صدقه أوكذبه وأنه لايسوغ للصحيفة نشر كل ما يقع تحت يدها من أخبار».

الانذار الثانى الذى أجبر الأهرام على نشره فى صدر صفحته الأولى فى عدده رقم ١٣٧٧ بتاريخ ٢٤ أبريل عام ١٨٨٧ كان لأغرب سبب يمكن أن تنذر بسببه جريدة . . انها «نشرت خبرا يتعلق بفصل عزت افندى من خدمة المالية وقد تضمنت هذه الجملة من الكلام مالا يليق نشره مع جهلكم بحقيقة الحال»!

والواضح أن السلطات الثورية قد استهدفت من وراء ذلك بعث رسالة الى أصحاب الأهرام بأن يحملوا أمتعتهم ويرحلوا، وقد زاد من وضوح تلك الرسالة عمليات الاغلاق التى كانت قد أصابت عددا من الصحف الشامية خلال الأسابيع القليلة السابقة، وقد فهم الاخوان تقلا الرسالة!

فهما من جانب اكتفيا بنشر الانذارات دون أى تعقيب، وهما من جانب آخر قد توقفا عن اصدار الأهرام بعد العدد رقم ١٤١١ الصادر في ٥ يونيه عام ١٨٨٢ (!)

امتنع الأهرام عن الصدور لنحو شهرين، وحتى يوم أول أغسطس من نفس العام، وقد شهدت تلك الفترة، على قصرها حدثين من أهم أحداث الثورة العرابية.. الحادثة الأولى التى جرت يوم ١١ يونية والثانية بعد ذلك بشهر بالضبط ..يوم ١١ يونية والثانية بعد ذلك بشهر بالضبط ..يوم ١١ يوليو.

حادثة ١١ يونية أسماها البريطانيون بالمذبحة Massacre ، ثم تبعهم في ذلك آخرون فتبنوا التسمية والتي ترجموها أحيانا أخرى بالمجزرة وثالثة بالمقتلة (!)

وقد افترض هؤلاء أنه لابد وأن يكون وراء ماجرى بالاسكندرية في ذلك اليوم لون من المؤامرة، الأمر الذي دعا خصوم عرابي الى اتهامه بتدبيرها، ودفع أنصاره الى اتهام رجال الخديو مرة والانجليز مرة أخرى .

ولم يضع كثيرون فى حسبانهم أن «المناخ العام» الذى ساد مصر وقتذاك كان يمكن أن يفضى الى مثل هذه الحادثة، والتى وصفها أحد الكتاب الأمريكيين «بالشغب الدموى Bloody riot » والذى نراه وصفا أدق.

يقدم أحد المعاصرين توصيفا لهذا المناخ فيقول: «وكان منذ قدمت سفن حرب الدولتين (انجلترا وفرنسا) قد أخذ الأجانب يفدون عليها أفواجا أفواجا وهم فرحون بها مطمئنون كأنهم لايخشون بجوارها جائرا فكبر ذلك على العامة والسوقة من أهل الاسكندرية وحسبوه اهانة لهم وإذلالا وظنوا أن الأجانب اغا يريدون بأهل البلاد الشر فأظهروا التغيظ وبدت منهم دلائل الشر وأغلظوا في مخاطبة الأجانب فكان إذا كلم الواحد منهم أجنبيا هز له الرأس وأسبل الجفن توعدا وتهديدا فأحس الأجانب بما وراء ذلك وخافوا شر العاقبة فأخذوا في التأهب والاستعداد وأكثروا من شراء البنادق والبارود واستخدام بعض عظمائهم بعض الأقوياء من أسافل اليونان وزعر الطليان»!

لم يكن غريبا مع ذلك ما حدث في ذلك اليوم والذي فجره الحادث المشهور بالمشاجرة التي جرت بين المالطي والمكارى المصرى، والذي انعكس بدوره على الأهرام..

فإذا كان الاخوان تقلا قد توقفا عن اصدار الصحيفة قبل الحادث بنحو اسبوع فانه عجل برحيلهما في أعقابه ضمن ألوف من الناس، خاصة من الأجانب الذين استقلوا ما توافر لهم من سبل النقل البحرى مغادرين البلاد، ورغم أن العديد من المصادر تشير الى أن صاحبى الأهرام قدتركا الاسكندرية عائدين الى جبل لبنان في أعقاب وقف اصدار الصحيفة الا أن بشارة تقلا يشير في كتاباته في الأهرام في أعقاب إعادة إصدارها في أول أغسطس أنه كان موجودا وقت شغب الاسكندرية الدموى والذي أسماه بالمجزرة.

من ناحية أخرى فقد تبنى الأهرام موقف خصوم الثورة باتهام عرابى بتدبير الحادثة، فتحت عنوان «مجزرة ١١ يونيو» في عدده الصادر في ٧ أغسطس قال : «ان العاصى (يقصد عرابي) وأخاه محمود البارودي بعثا بهذه المأمورية حسن موسى العقاد ونديم ولدينا براهين عديدة تؤيد حجتنا هذه ..»، غير أن هذا القول قد جاء بعد ضرب الاسكندرية وعودة أصحاب الأهرام وانسحاب الثوار من الميناء بكل تأثيرات ذلك على تغير موقف آل تقلا، أوشارة الذي كان قد سبق أخاه في العودة.

أثناء تغيب الأهرام أيضا حدثت واقعة ضرب الاسكندرية في ١١ يوليو وما استبعها في اليوم التالى من إحراق المدينة من جانب بعض الضباط العرابيين، حيث تجمع المصادر على اتهام «سليمان سامي» حكمدار الآلاي السادس، والذي اعترف بالفعل بانه قد أصدر الأوامر بذلك ، وقد علل البعض هذا العمل بأن من بدأ في احراق المدينة كان ما أصابها من قذائف الأسطول البريطاني وبأن الاستمرار في العملية من جانب العرابيين الما جاء تنفيذا لسياسة «احراق الأرض» التي كان قد اتبعها الروس في مواجهة تقدم نابليون نحو موسكو قبل ذلك بسبعين عامابالضبط !

على أى الأحوال وكيفما كانت الأسباب وراء الحريق فان آثاره كانت محدودة فى المناطق الشعبية، بحيث يمكن توصيفه بحريق من الدرجة الأولى ،وفى المناطق الأوروبية تصاعدت درجات هذا الحريق الى الدرجة الثانية والثالثة، وقد دخلت منطقة وجود الأهرام قرب ميدان القناصل فى أخطر هذه الدرجات .. الدرجة الثالثة !

يؤكد ذلك مشاهدات أحد رجال حاشية الخديو، أحمد شفيق، والذى قال بالحرف الواحد في مذكراته ، عن يوم الحريق :

«.. وما زلنا نسير بين هذه المناظر المؤلمة حتى دخلنا المدينة فى وسط لهب الحرائق التى كانت مشتعلة فى الأحياء المهمة، وكانت فظيعة لاسيما فى شارع شريف وميدان المنشية (القناصل) الذى بدا لنا كأتون نار. وما كنا نتصور اننا سنجتاز هذا الميدان دون أن نصبح طعاما للنيران».

ولم يكن مقدرا أن تنجو مطبعة الأهرام وأدارته من هذا الأتون، وكان على بشارة بك تقلا بعد عودته الى الاسكندرية في أعقاب جلاء الجيش المصرى واحتلال البريطانيين

لها أن يتعامل مع هذا الواقع الجديد .. خرائب الجريدة.

وكان من المحتم أن تترك تلك الأوضاع أثرها ليس على نفسية الرجل فحسب واغا الأهم من ذلك على سياسات الأهرام خلال ما يقرب من شهر ونصف الشهر منذ عودته وحتى دخول قوات الجنرال ولسلى الى القاهرة، وهى سياسات استمرت محل جدل شديد بين المعنيين بتاريخ الحركة الوطنية على وجه العموم، وتاريخ الصحافة المصرية على وجه الخصوص، وتاريخ الواد حلقة لتلك الأيام الخصوص، وتاريخ الأهرام على وجه الأخص، الأمر الذي يستحق افراد حلقة لتلك الأيام الأربعة والأربعين بين أول أغسطس و١٣ سبتمبر عام ١٨٨٧، وربما بعد ذلك بقليل!

● مراجع القصل التاسع عثس

اعداد الاهرام

التاريخ	رقم العدد
٥ يناير عام ١٨٨٢	. 1717
۷ پنایر عام ۱۸۸۲	1797
۹ ینایر عام ۱۸۸۲	377/
۱۵ ینایر عام ۱۸۸۲	1744
۱۸ ینایر عام ۱۸۸۲	17.7
، ۲۸ یئاپر عام ۱۸۸۲	1711
۲۳ يناير عام ۱۸۸۲	1771
۲۳ فبرایر عام ۱۸۸۲	1787
۱۱ مارس عام ۱۸۸۲	737/
۲۸ مارس عام ۲۸۸۱	1700
۱۲ ابریل عام ۱۸۸۲	1777
۱۸۸۲ ابریل عام ۱۸۸۲	NTN
۱۹ ابریل عام ۱۸۸۲	1777
۲٤ ابريل عام ۱۸۸۲	1777
۵ مایر عام ۱۸۸۲	١٣٨٧
۸ مایو عام ۱۸۸۲	١٣٨٩
ه یوئیة عام ۱۸۸۲	1411
٧ أغسطس عام١٨٨٢	1111
۱۴ أغسطس عام ۸۸۲	1271
۱۸ أغسطس عام ۸۸۲	1277
۱۶ أغسطس عام ۸۸۲	1411
۲۱ أغسطس عام ۸۸۲	1272

۱۸۸۷ عام ۱۸۸۲ ۳۰ أغسطس عام ۱۸۸۲

......

. أحدد شفيق: مذكراتي في نصف قرن جدا ، القاهرة ١٩٣٤ .

. ميخائيل شاروبيم: الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث ج ٤ القاهرة ١٨٩٩

· تبودور روذشتين: تاريخ المالة المصرية ١٨٧٥ · ١٩١٠ ترجمة عبدالهادي العبادي، محمد بدران القاهرة ١٩٢٣

ـ عبدًا لمنعم ابراهيم الدسوقي الجميعي: الثورة العرابية _ بحوث ودراسات وثائقية القاهرة ١٩٨٢

ـ عبدالمنعم أبراهيم الدسوقي الجميعي: عبدالله النديم ـ ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية القاهرة - ١٩٨٨

سمير محمد طه: أحمد عرابي ودوره في الحياة السياسية المصرية، القاهرة ١٩٨٦

- Cromer: Modern Egypt Vol I Laudor 1908

Wright, L.C. United States policy toward Egypt 1835 - 1914

الفصل العشرون

الحرية. مول الشرعية.



- الأهرام يتم توزيعه من بيت مدير التحرير الكائن على البحر
 - الثوار:

توفيق باشافى قفص الأنجليز وقد انفصل عن حزب الأمة

■ توفيق:

عرابى إجترأ على أفعال سيئة نفرت جميع الدول من أهل القطر

■ الاهرام:

اذكروا الأيام الجميلة التي لزمكم فيهاالتوفيق من يوم تبوأ سمو الخديوى توفيق

دونية عام ١٨٨٧ توجه الخديو توفيق اليها مصحوبا «برجال المعية الخاشية) وأغلب قناصل الدول الجنرال والمراقبان الماليان » تذرعا بعجة «تطمين خواطر الاوربيين بالثغر».

ومنذئذ انقسمت البلاد الى معسكرين .. الثوار الذين شمل معسكرهم سائر أنحاء البلاد، والذين سارت علاقتهم مع الخديو من سيئ الى أسوأ حتى انتهت الى وصمه بالخيانة والعمالة للانجليز، ومعسكر توفيق الذى تمترس بالاسكندرية واتهم العرابيين بالتمرد والعصيان، بكل ما يعنيه ذلك من خروج عن الشرعية.

وإذا كان هذا الانقسام قد بدأ مكتوما فى أول الامر إلا أنه خلال الشهر التالى، وبالتحديد منذ اليوم الثانى لقصف الاسطول البريطانى للإسكندرية، ١٢ يوليو، كشف كل جانب عن نواياه..

الشوار بأن أرسلوا قوة الى سراى مصطفى باشا التى كان يقيم بها الخديو تمهيدا للقبض عليه وإعادته الى القاهرة، الأمر الذى دعا توفيق وحاشيته الى الخروج الى قصر رأس التين حيث كان الأميرال سيمور، قائد الاسطول الانجليزى وعدد من بحارته واقفين فى انتظاره وأوصلوه الى السلاملك بعد تأدية التحية العسكرية!

الخديو الذى أصدر أمرا لعرابى فى ٢٠ يوليو جاء فيه: «ان خروجك من الاسكندرية بعد القتال الذى جرى فيها، من غير ان يصدر لك أمر بذلك، واستصحابك الجند الى كفر الدوار، بعد ان خربت الخطوط الحديدية، وعطلت البريد وأسلاك التلغراف ..كل ذلك دعانى الى اقالتك من وظيفتك فأنت معزول منذ الآن بمقتضى هذا الأمر من نظارة الجهادية والبحرية »!

وبينما كانت تجرى المعارك الحربية بين الثوار والانجليز كانت هناك معركة اخرى من نوع خاص تجرى بين عرابى والخديو، وهى معركة مختلفة، فقد كان موضوعها الأساسى «الشرعية» وهى المعركة التى نتابعها هنا سواء لقلة ما هو معلوم عنها، أو لدور «الاهرام» فيها، وهو دور لم يلق العناية الكافية لسبب أو لآخرا

السلاح الرئيسى فى أيدى العرابيين كان اتهام الخديو «بالخيانة»، الأمر الذى بلغ ذروته بقرار الجمعية الوطنية التى انعقدت فى ديوان الداخلية يوم ٢٩ يوليو والذى جاء فيه: «وجوب توقيف أوامر الخديو وما يصدر من نظاره الموجودين معه فى الاسكندرية كائنة ما كانت لأى جهة من الجهات وعدم تنفيذها حيث أن الخديو خرج عن قواعد الشرع الشريف والقانون المنيف»!

صحف الثورة نشطت في نفس الاتجاه، خاصة صحيفة «الطائف» التي كان يحررها

عبد الله النديم، والتى وضعت قائمة بالخونة على رأسها توفيق «بعد أن يئس كل مصرى من عودته لحظيرة الوطنية، بعد أن اعتز بالانجليز وخلع طاعة السلطان وباع الأمة لأعدائها».

من هذه الصحف أيضا «السفير» التى أصدرها حسن الشمسى بتشجيع من القيادة الثورية، والتى شنت بدورها حملة على الخديو كان مما جاء فيها «ان توفيق باشا فى قفص الانجليز وقد انفصل عن حزب الامة وانضم الى عدوها ولذلك صار مبغوضا من جميع الأهالى»!

وقد ملكت القيادة الثورية الكثير من أسباب النجاح في معركتها لضرب صورة توفيق في الوجدان الوطني لجموع المصريين.. كانت قلك اولا انحياز غالبية المصريين اليها، من خلال تصديها الشجاع للتدخل الأوربي الذي تحول الى تدخل عسكري..

كانت قلك ثانيا السيطرة على كل «بر مصر» باستثناء الاسكنذرية التى هرب اليها الخديو، ورغم ما حدث من رفضه اللجوء الى الاسطول البريطاني إلا أنه من الناحية الواقعية قد احتمى بمظلتهم، وهو الأمر الذي أعطى لتهمة الخيانة قدرا من المصداقية.

كانت قلك أخيرا أدوات السلطة الامر الذى مكنها من الترويج لحملتها ضد توفيق سواء من خلال الصحف التى شجعت على اصدارها، بل انها اعتبرت «الطائف» ناطقة بلسانها، أو من خلال الخطباء الذين انبثوا في طوال مصر وعرضها يدعون للثورة على الحديو، وإذا كان النديم أكثر هؤلاء شهرة إلا أنه لم يكن وحيدا في هذا الميدان.

وكان على توفيق أن يرد، ولم يكن الاهرام بعيدا عن محاولة الرد الخديوية..



في بداية الامر اتسم رد الخديو بقدر كبير من الشحوب، فلم يكن يملك أدوات الرد.

كان توفيق بعد ضرب الاسكندرية معزولا عن بقية مصر، بما فيها عاصمة ملكه، وكان الثغر قد تحول في تلك الشهور الى بقايا مدينة لم يزد عدد سكانها على عشرين ألفا (كان عدد المصريين وقتذاك خمسة ملايين) بعد أن نزح الاجانب منها في «الخروج الكبير» عبر مياه البحر المتوسط بعد الشغب الدموى ليوم ١١ يونيو، وبعد ان نزح المصريون منها في «الدخول الكبير» الى العاصمة وسائر الأقاليم المصرية بعد ضرب الاسطول البريطاني للميناء والحريق الذي شب فيه يوم ١١ يوليو.

وفى وسط هذه العزلة كانت أدواته فى الرد على الثوار محدودة للغاية، وكان عليه ان يبحث عن وسيلة أكثر فعالية، وفى تلك الظروف عاد «بشارة تقلا» من الأراضى السورية التى قد كان قد خرج اليها مع سليم فى أعقاب الشغب الدموى، وبعد أن أوقف صدور الاهرام فى ٥ يونيو عام ١٨٨٢.

وتحوط بهذه العودة علامة استفهام كبيرة.. هل عاد الرجل من تلقاء ذاته أم بناء

على دعوة وصلته من توفيق؟

فى تقديرنا أن بشارة قد عاد باتفاق مع الخديو الأمر الذى ترجعه دلالات عديدة..من بين تلك الدلالات أن الخطر الذى كان قد هرب منه صاحبا الاهرام كان ما زال متربصا ، فالميناء قد تحول الى خرائب، والثوار قد نجحوا فى منع وصول المياه العذبة إليه بعد أن أوقفوا جريان ترعة المحمودية، والقوة الثورية لم تكن بعد قد تعرضت للمخاطر الجسيمة التى تعرضت لها بعد نزول القوات الانجليزية فى بورسعيد.

من بينها أيضا أن أحد الاخوين فقط جاء الى الاسكندرية، وهو بشارة، مما يشير الى التحسب للخطر، ثم أن الاخ الاصغر الذى وصل كان الاقرب الى توفيق، سواء بحكم انه هو الذى تدخل لانقاذه عندما حبسه اسماعيل فى عام ١٨٧٩، أو بحكم انه كان مراسل الاهرام فى القاهرة ولمجح فى أن يعقد مع الخديو أوثق العلاقات التى تجعله يقبل المخاطرة، على الاقل ليرد الجميل لصديقه الجالس على العرش المهتزا

من بينها كذلك انه فور وصوله الى الاسكندرية أعاد اصدار الاهرام فى أول اغسطس دون اى استعداد صحفى حقيقى، فقد صدر العدد الاول فى شكل شديد البدائية، فى ورقة واحدة (صفحتين)، وببنط مختلف، وقد استمر فى الصدور على هذا النحر حتى تمكن بشارة من تشغيل إحدى آلات الطباعة التى تعرضت للحريق وأخذ فى اصدار الصحيفة عن مطبعة الاهرام بعد أكثر من اسبوعين من اعادة إصدارها، ولابد انه كان وراء هذه العجلة فى عودة الصدور رغبة قوية من جانب توفيق فى استخدام الاهرام فى الحرب حول الشرعية.

فضلا عن كل ذلك فان مقومات توزيع الصحيفة كانت غير متوافرة بالمرة الامر الذى يشى به هذا الاعلان الطريف الذى جاء فى العدد ١٤٢٢ الصادر فى ١٨ اغسطس يشى به هذا الاعلان الطريف الذى جاء فى العاملين) الكافية فى الادارة توجبنا ان ندعو المشتركين الموجودين فى ثغرنا الى تسلم الجرنال من مكتب الجريدة وهو فى المحل الارضم, من البيت سكننا الكائن على البحر بالقرب من مطبعة بناسون»!

ومما يؤكد رجحان ان تكون عودة بشارة تقلا للاسكندرية قد تحت باتفاق مع الخديو أن «الطائف» الناطقة بلسان الثورة قد أصدرت ملحقا خاصا تحت عنوان «سليم وبشارة تقلا وترفيق باشا» هاجمتهم فيه ووصفتهم بأنهم مأجورون ا

غير أن هذا الترجيح يتحول الى يقين من متابعة أعداد الاهرام بعد اعادة صدوره وحتى يوم ١٤ سبتمبر عام ١٨٨٧ . . يوم إستسلام عرابي للانجليز. .

تحول الاهرام منذ ان أعيد صدوره فى أول أغسطس عام ١٨٨٧ الى نشرة معادية للحركة الثورية، ليس فقط انطلاقا من انخيازه لتوفيق، والها ايضا لما كان قد اصابه على ايديها خلال الشهور السابقة.. انذارات ثم وقف وأخيرا حرق، ويقينا فان اصحابه

لم يروا أنهم قد فعلوا ما يستحقون عليه كل ذلك، فهم كانوا قد بذلوا جهودهم الاسترضاء الثوار، لكن دون جدوى، ولعله يكون مفهوما على ضوء كل ذلك روح الرغبة في الثأر التي تملكتهم، أو تملكت الاخ الذي سبق الى الوصول، والتي نضحت في سائر اعداد الصحيفة خلال تلك الفترة.

وقد تبنى الأهرام سياسات توفيق بشكل كامل، وهي سياسات تعددت وجوهها، الأمر الذي أصبح فيما بعد عبئا على تاريخ الجريدة (!)

من بين هذه الوجوه السعى الدائب من جانب بشارة تقلا الى شق صف الثوار وتأليبهم بعضهم على بعض، والأمثلة حفلت بها أعداد الصحيفة خلال تلك الفترة الحاسمة من التاريخ المصرى.

العدد ١٤١٦ الصادر في ٧ أغسطس جاء فيه: «بلغنا أن أحمد بك رفعت يستخدمه عرابي في انشاء (وضع) الأوامر التركية التي يستند عليها العاصى أمام الأهلين مدعيا أنه يحارب بأمر خليفة المؤمنين..» ثم يطلب من الضابط أن يترك مثل هذا ويلحق بمعسكر الخديو.

العدد ١٤٢٣ الصادر في ١٩ اغسطس يخاطب فيه المصريين ويتساءل: «الى متى تتبعون الظالم العاصى.. ارجعوا هداكم الله واتقوا ربكم وأطيعوا أولياء الأمور منكم فانهم بأمر الله يحكمون وهم أدرى منكم بمصالحكم»!

العدد ١٤٣٩ يخاطب فيه «نبهاء القوم وعمد البلاد ويحذرهم من ان يغتروا بجهل عرابى وأعوانه بل تبصروا في عواقب الأمور واعلموا ان البلاد محكوم عليها بوفاء الدين آجلا أو عاجلا وان الحق يعلو ولا يعلى عليه».. حق الخديوى طبعا؛

وجه آخر تمثل فى تبنى وجهة النظر الخديوية بتوصيف الحملة العسكرية البريطانية بأنها مجرد «تجريدة لتأديب العاصى عرابى» وانها سوف تجلو عن البلاد بمجرد تأديتها لمهمتها، وقد احتل هذا الجانب مساحات واسعة من أهرام أغسطس وسبتمبر عام ١٨٨٢.

في العدد الصادر يوم الاثنين ٢١ أغسطس وتحت عنوان «مقاصد بريطانيا» يؤكد صاحب الاهرام «ان الدولة البريطانية لا مقصد لها في الحرب الحالة الا رجوع الحالة لما كانت عليه قبل ظهور عصيان عرابي وسترينا الأيام حقيقة ذلك» (!)

أوقع من هذا عدد اليوم التالى الذى خصصت صفحته الأولى لتلك القضية، وقد تضمنت هذه الصفحة مقالا افتتاحيا تحت عنوان «انكلترة ومصر» تؤكد انها، أى انكلترة «لم تزل على مبدأها الوحيد لا تقصد غاية شخصية الما ترغب ارجاع نظام البلاد وتأييد سلطة الحضرة الخديوية» كما يتضمن ملخص الخطاب الذى ألقاه جلادستون رئيس الوزراء في مجلس العموم يرد فيه على التساؤل عما اذا كانت بلاده تنوى احتلال مصر الى أجل غير محدود: «بأن ذلك الفكر لم يخطر لنا قط ببال وان

أمرا كهذا مخالف لمبادىء ومقاصد الحكومة الانكليزية ومضاد لتعهداتنا أمام أوروبا».

انطلاقا من هذا.. ان انجلترا لم تأت الالتأييد سلطة «الحضرة الخديوية» تنشر الأهرام ديكرتو (مرسوم) خديوى يعلن فيه التصريح «لحضرة الأميرال وقومندان عموم القوات البريتانية.. بالاستيلاء على كافة النقط التي يرون لزوم اتخاذها لحركاتهم الحربية ضد العصاة، وان كل مخالفة لتلك الارادة الخديوية تعرض مرتكبيها لأشد العقوبات»!

الأهم من كل ذلك كان دور الأهرام كلسان لتوفيق في «حرب الشرعية» والتي مرت عرجلتن..

المرحلة الأولى تجريد عرابى من شرعيته القانونية، وهى الشرعبة التى استمدها من أن مناصبه التى تولاها «بارادة سنية خديوية» ارتأى توفيق ان يحرمه منها بإرادة سنية أخرى.

صدرت تلك الارادة الأخيرة يوم ٧ اغسطس عام ١٨٨٢ ونشرها الأهرام في صدر صفحته الأولى تحت عنوان «صورة ارادة سنية صادرة من الحضرة الفخيمة الخديوية الي كافة أهالي القطر المصرى» وجاء فيها:

«نحن خديو مصر نعلن أن أحمد عرابى باشا قد اجترأ على أفعال سيئة عادت على القطر المصرى والناس بالخسائر ونفرت جميع الدول من أهله وبناء على ذلك صار يعد عاصيا مستحقا للمعاقبة الشديدة شرعا وقانونا... نكرر الانذار للناس عامة والجند خاصة بأن كل من اتبع هذا العاصى واستمر في عصابته فهو آثم عند الله ولا عذر له لدنا»!

واذا كنا لا ندرى ما إذا كان بشارة تقلا قد شارك في صياغة هذه «الارادة» أم لا، بيد أن ما نطالعه أن الأهرام قد تبنى بعد ذلك توصيف عرابى بالعاصى، أى التوصيف الذي جاء في تلك الارادة.

نطالع أيضا بعد ذلك بسبعة عشر يوما وفى أهرام ٢٤ أغسطس «ارادة» أخرى يطلب فيها توفيق من «علماء وذوات وعمد ومشائخ البلاد ووجهائها وتجارها الذين نتوسم فيهم الخشية والسكينة والاخلاص الحقيقى لجانب الحكومة أن يمتثلوا لأوامرنا هذه وينظروها بعين النصيحة المحضة لصالحهم وصالح القطر ويلزموا العامة باتباعها ».

نطالع أخيرا هذه الحملة التي شنها الأهرام لتحسين صورة توفيق وان كنا لا نعتقد أنها كانت على غير قناعة محرر الصحيفة وقتئذ.. «بشارة باشا تقلا»...

تحت عنوان «اعقل وتوكل» جاء المقال الافتتاحي لأهرام ٢٣٠ أغسطس، وكان من

بين ما تضمنه مخاطبة المصريين بالقول: «أذكروا تلك الأيام الجميلة التي لزمكم فيها التوفيق من يوم تبوأ سمو الخديو توفيق أريكة الخديوية. أذكروا أيام الرخاء والبركة والعدل والاستقامة والحرية...» ولعل بشارة كان يعبر بذلك عن بعض ما في مكنون نفسه لا مكنون المصرين!

فى العدد رقم ١٤٤١ الصادر فى ٩ سبتمبر، قبل موقعة التل الكبير بأربعة أيام فحسب ، يجىء المقال الافتتاحى تحت عنوان «سمو توفيق باشا الأول خديو مصر» وقد تضمن من أسباب المديح وتلمس الأعذار للخديو على استعانته بالانجليز ما لم يتضمنه أى مقال سابق.

بيد أن هذه المرحلة على كل ما تضمنته قد أثبتت قصورا، فلعل توفيق ومعه الأهرام لم يتنبها في البداية الى أن الشرعية القانونية تفقد الجانب الأهم من أسباب فاعليتها في مواجهة الشرعية الثورية!

من ثم أخذ جميع من فى معسكر الخديوى يبحثون عن حرمان الثوار من الجانب الاهم من شرعيتهم، وكانت الشرعية الدينية التى علكها الخليفة العثمانى وحده، وفى هذا الصدد بذلت جهود سواء من جانب الخديوى أو جانب الانجليز ليصدر السلطان بيانا يعلن فيه عن عصيان عرابى، وهو ما تردد فيه الباب العالى طويلا على اعتبار أن عرابى يدافع عن الاسلام من خلال مواجهته لقوة أوروبية معتدية.

وتشير متابعة «الأهرام» الى الأهمية التي كان يعول عليها معسكر الخديوى في إصدار البيان السلطاني..

تحت عنوان البشرى يقول أهرام ٩ أغسطس: «أفادت أخبار دار الخلافة الخصوصية أن الحضرة السلطانية قبلت شروط انكلترة كلها وتوقع اليوم على اعلانها ان عرابى عاص»!

غير أن البشرى لم تتحقق وبدا القلق محسكا بتلابيب معسكر الخديوى الأمر الذى عبر عنه الأهرام الصادر في ٢٤ أغسطس تحت عنوان «العثمانية ومصر» كان مما جاء فيه المطالبة «بالاسراع الاسراع فهو لازم جدا»!

وجاء الفرج لرجال هذا المعسكر عن طريق لندن وليس عن طريق عاصمة الدولة العلية، ففي ٢٨ أغسطس عام ١٨٨٧ وبالبنط الكبير نشر الأهرام «نص البيانامة (البيان) السلطانية المعلنة عن عصيان عرابي ولكن «نقلا عن التيمس»!

وبعد مقدمة طويلة عن تطور الأوضاع انتهى البيان المذكور الى القول «أن الحضرة السلطانية تؤيد وتثبت سلطة وامتيازات الحضرة الخديوية وتحكم بعصيان عرابى وقد أصدرنا هذه البياننامة داعين الجميع للخضوع لارادتنا الشاهانية»!

وتجمع المصادر التاريخية أنه كان لهذه الارادة الشاهانية وقع الكارثة على زعامة

الثورة، حتى انها قد حاولت بكل الوسائل منع تسرب اخبارها الي صفوف المحاربين فى هذا التوقيت الجرج، بيد أنه من جانب آخر فقد نشط رجال الجديو على توصيل اخبارها بكل الوسائل للقوات المصرية المتمترسة عند التل الكبير.

واذا كانت القوات الغازية قد استعانت فضلا عن حسن التجهيز بقوة المال الذى اغدقته على القيائل اليدوية في مناطق القتال، فانها قد استعانت أيضا بالمنشور السلطانى الذى اضعف كثيرا من معنويات الرجال الذين لم يكونوا على استعداد للحرب تحت واية «عاص على دولة الخلافة» الأمر الذى أدى في النهاية الى قصور الصمود الثورى في التل الكبير وفرار عرابي الى القاهرة فيما نشرته الأهرام في عددها الصادر يوم ١٥ سبتمبر تجت عنوان «البشرى الكبرى» وجاء فيها « أن الجيش الانكليزى قبض على الهاصى عرابي»!

وكان على مصر أن تدفيع ثمن هِذه «البشري الكبرى» ومن الغريب أن الأهرام أيضا دفع جانبا من هذا الثمن!

المستسرين	القحصل	و مسراجع	•

اعاهـ الاهــرام

الـــــــــــــــاريـــخ	رقم العسند
۷ اغسطس عام ۱۸۸۲	1817
٨ اغسطس عام ١٨٨٢	1117
١٨٨٢ اغسطس عام ١٨٨٢	1871
١٨٨ اغسطس عام ١٨٨٢	1844
٢١ اقسطس عام ١٨٨٢	1878
۲۲ اغسطس عام ۱۸۸۲	1810
٢٢ إغسطس عام ١٨٨٢	1877
٧٤ أغسطس عام ١٨٨٢	1877
٢٥ اغسطس عام ١٨٨٢	4434
٢٦ اغسطس عام ١٨٨٢	1874
۲۸ اغسطس عام ۱۸۸۲	187.
٧ سيتمبر عام ١٨٨١	1274
﴾ سينتمبر عام ١٨٨٧	/33/
۱۸ سُبِتُمْبِر عام ۱۸۸۲	1231

احمد شفيق، مذكراتي في نصف قرن ج ١ ب القاهرة ١٩٣٤ .

د. سمير محمد طه، احمد عرابي ودورهِ في الحياة السياسية المصرية ، القاهرة ١٩٨٨

د. سامي عزيز، الصحافة المسرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي القاهرة ١٩٦٨

د. لطيفة سالم، صحافة الثورة العرابية ـ فصل في كتاب مصر للمصريين مائة عام على الثورة العرابية، أصدار مركز الدراسات السياسية الامرام ١٩٨٨.

الفصل الحادى والعشرون

معاكمة الدقائق الفعسة ا



■ = توفيق:

اغلال حديديه لعرابى والسيرأمام عربة حضرة الخديوية

■ = بريطانيا:

صناعة الشهداء سياسة مرفوضة

= = عرابی:

يطلب المحكمة « والاطمئنان على أخوتى المسجونين»

■ الأهرام:

جزيرة سيلان مستعمرة مصرية عاصية!

القاعة الكبيرة في نظارة الأشغال التي كان يشغلها مجلس النواب بالقاهرة والتي تم اعدادها سريعا لتكون قاعة للمحكمة، وفي تمام الساعة التاسعة من صباح يوم الأحد ٣ ديسمبر عام ١٨٨٧ دخل اعضاء المحكمة العسكرية التي كانت قد شكلت قبل ذلك بأكثر من شهرين عرسوم خديو للحكم في «الدعاوي على كل من ارتكب جرعة العصيان أو التعدى على السلطة الخديوية أو الاهانة للذات الخديوية»!

كان اول من دخل، وفقا لوصف مدير تحرير الأهرام، بشارة تقلا، الذي كان حاضرا الجلسة: «حضرة سعادتلو رؤوف باشا (رئيس المحكمة) وحضرات الأعضاء.. وجميعهم بالملابس الرسمية والنياشين الفاخرة، فجلس ثلاثة عن يين سعادة الرئيس وثلاثة عن يساره، وكان في الجهة اليمني حضرة السير تشارلس ويلسون وبعض الانجليز ومن الجهة اليسرى كتاب اسرار قنصلاتو انجلترا الجنرالية.. » وبدأت أشهر محاكمة في تاريخ مصر خلال القرن التاسع عشر بعد محاكمة الفرنسيين لسليمان الحلبى قاتل كليبر، قبل ذلك بأكثر من ثمانين عاما ،تلكم هي محاكمة زعيم الثورة احمد عرابي باشا.

ويصف عدد الأهرام في اليوم التالي.. العدد ١٥١١ الصادر يوم الاثنين ٤ ديسمبر عام ١٨٨٧ ما جرى في تلك المحاكمة فيقول: «ولما انتظم المقام امر حضرة الرئيس بإحضار عرابي فتوجه ضابط وأتى به يخفره عسكريان ببنادقهم فدخل القاعة وهو اصفر اللون وجلس فخاطبه سعادة الرئيس قائلا: احمد باشا عرابي فانتصب، فقال الرئيس: اوضحت بمجلس التحقيق انك عصيت وحملت السلاح ضد الحضرة الخديوية فهل تعترف أنت بذلك؟

«فلما انتهى حضرة الرئيس جلس عرابي ووقف المسيوبرودلي محاميه وقال باللغة الفرنسوية ان موكلي بعترف بارتكاب العصيان وانا المحامي عنه اصدق على ذلك واليكم اعلانا موقعا منه بهذا الشأن، فأخذ كاتب المجلس هذا الاعلان العربي العبارة وتلاه على الحضور: {انني اعترف بعصياني ضد الحضرة الخديوية واقر بذلك موافقة لرأى المحامي عنى ـ التوقيع: احمد عرابي المصرى}، فعند ذلك انتصب سعادة الرئيس وقال أن الحكم سيتم بعد الظهر».

ويعلق مدير تحرير الأهرام على ما رآه قائلا: «وهكذا انفضت الجلسة التي لم تستغرق من الوقت الا خمسة دقائق، تلك هي المحاكمة التي طنطنت الجرائد بأحكامها وقال بعضهم أنها ستستغرق شهرا أو شهورا فهي لم تستغرق من الزمن الا دقائق

وإذا كان «الأهرام» قد عبر عن دهشته التي لم تلبث أن تحولت إلى استُهجأن فينما

تكشف عنه اعداده التالية، فلابد وان غالبية المصريين قد اعتراهم بدورهم الكثير من اسباب الدهشة وان لم يشاركوا الاهرام استهجانه!، ولنبدأ القصة من اولها..

بعد مضى وقت قصير من القبض على «احمد عرابي» وزعماء الثورة أخذ يتبلور تياران حول مصير الرجل واخوانه.

التيار (الاول) ساد في الدوائر الخديوية، وهو التيار الذي غلبت عليه نوازع الانتقام والتي تبدت بعد إيام قليلة من القاء الرجل وصحبه في السجن. .

فبعد اربعة ايام فقط امر الخديو باخلاء منزل عرابى بحجة النية على تحويله الى مستشفى للجرحيا

فى نفس الوقت تم تحويل مبنى الدائرة السنية الى سجن والذى خصصت حجرات دوره العلوى «للمذنبين من الدرجة الاولى» وكان منهم عرابى بالطبع، والذين عانوا من الحبس الانفرادى، فضلا عن ان خدم واغوات الخديوى قاموا بتفتيشه اربع مرات «بصورة غير لائقة» على حد ما جاء فى خطاب منه الى محاميه.

وكان من المتوقع على ضرء التطورات السابقة ان ينضم «الاهرام» إلى هذا التيار فيما عبر عنه منذ اللحظة الأولى..

يقترح الأهرام فى ٢٠ سبتمبر ١٨٨٢ بمناسبة عودة «الحضرة الفخيمة الخديوية مع حضرة النظار الكبار الى العاصمة ان يغل عرابى والسامرى (الاسم الذى أطلقه الأهرام على البارودي) وبقية إخونهم بالحديد ويمشوا امام عربة الحضرة الخديوية الى مقامه الاسنى فيراهم اهل العاصمة عموما وتطيب قلوب المخلصين للحضرة الخديوية..»!

بمناسبة نقل عرابى من قشلاق عابدين الى سجن الدائرة السنية يطلع الأهرام على قرائه يوم ٦ اكتوبر واصفا عملية النقل وكيف أنه « كان محاطا بالعساكر الانكليزية مسوقا ذليلا حقيرا..»

التيار (الثانى) ساد فى الدوائر الانجليزية وكان يقوم على العمل على توفير ما اسموه «محاكمة عادلة» أو على حد تعبير الاهرام «محاكمة انصافية» لعرابى وبقية الثوار..

والفكرة الشائعة انه قد تزعم هذا التيار المستر ولفرد سكاون بلنت Blunt قطب حزب الأحرار، وهو الحزب الذى تم فى عهد احدى وزاراته احتلال مصر، وان الرجل قد نجح منذ زيارته الى القاهرة فى شتاء عام ١٨٨١ فى عقد علاقات وثيقة مع قيادة الحركة الوطنية، خاصة عرابى ومحمد عبده، وانه منذئذ كان يعبر عن وجهة نظر تلك الحركة فى الدوائر البريطانية حتى ان زعيمها اسماه «بصديق العرابيين».

الفكرة الشائعة ايضا أن الرجل قد أنبري بعد ضرب الثورة لتوفير محاكمة عادلة

لزعمائها من خلال تكليف محامين انجليز للدفاع عنهم، ونجح فعلا في تكليف اثنين من هؤلاء هما برودلي ونابيير.

ماليس شائعا موقف الحكومة البريطانية من مساعى المستر بلنت وما إذا كانت تلك المساعى قد قت بعزل عن دوائر الخارجية في لندن..

تشير الدراسات الحديثة ان المستر بلنت كان وثيق الصلة بتلك الدوائر وإن مساعيه قد قت بتنسيق معها وهو ما تتعدد الأدلة عليه ربما يكون أهمها الانذار الذي بعث به اللورد جرانفيل، وزير الخارجية البريطانية للحكومة المصرية عندما تباطأت في قبول المحامين الانجليز المكلفين بالدفاع عن عرابي، وقد جاء فيه بالحرف الواحد:

«ليس هذا أوان ظهور الحكومة المصرية بعظهر المعارضة والمانعة وان استمرارها فى الاعتراض يعرضها للخطر، وهو خطر لن تقتصر آثاره على الوزارة وحدها بل سيمتد لمركز الخديوى نفسه. وإذا لم تستجب الحكومة المصرية لمطلب الحكومة الانجليزية فى غضون ثمانية ايام من تقديم هذا الانذار فعليها أن تتحمل ما يترتب على ذلك»ا

وفيما أثبتته الأحداث فقد كان وراء هذا الموقف البريطاني اسباب سياسية وليس الادعاء بتوفير «المحاكمة العادلة»..

السبب الاول ان بريطانيا في تعاملها مع زعماء ثورات البلاد التي احتلتها لم تكن على استعداد لصناعة «الشهداء» الذين يبقون أحياء في ضمائر اممهم وغاذج تثير مخيلاتها الوطنية ، كانت هذه التعاملات تفضل اللجوء الى وسيلة اخرى، تلكم هي وسيلة ضرب الصورة البطولية .. ولآخر ملمح!

السبب الثانى أن مجربات تلك المحاكمة أتاحت الفرصة للبريطانيين لتوصيل الرسالة الأولى للنخبة الحاكمة في مصر . . تقول هذه الرسالة ان الذي اصبح يحكم في مصر هي دوائر الهوايتهول وليس دوائر عابدين. ووصلت الرسالة بأسرع مما كان يعتقد اي شخص من فيهم مدير تحرير الأهرام الذي استمر يتابع من القاهرة ما يحدث!

+++

تحت عنوان «المستر بلنت وأضاليله » يتهم الأهرام الرجل بأنه اخذ «اخيرا في دس الدسائس وبعث بمحام انجليزى فأتى العاصمة ليحامى عن عرابى» ثم يخاطبه بالقول: «بأى وجه تتقدم لهذه المحاماة الا تعلم أن لنا قانونا وبموجبه نجرى ايسمح قانونكم العسكرى بأن يكون للمجرم في المجلس العسكرى محام. فكفاك ياحضرة المستر بلنت ما اتيت من مضار»!

بعد ذلك بخمسة ايام، وفي العدد الصادر في ١٦ اكتوبر عام ١٨٨٢، يعود الاهرام لنفس المسألة حين يقول ان «بلنت الانكليزي كان في نيته ان يأتي قطرنا للمحاماة عن عرابي ولكن الحكومة لم تأذن له بذلك وقيل انها اصدرت الأمر بالقبض عليه لو أتى ولكن حضرته لم يقنط بل أرسل محامي انكليزي وزوده بما يعلم من الترهات»!

والواضح ان بشارة تقلا الذي كان مقيما في القاهرة طوال الوقت كان وثيق الاتصال بدوائر عابدين ويعبر عن مواقفها لأنه ما ان وصل الانذار البريطاني إلى تلك الدوائر حتى انبرى للهجوم على المؤسسات الانكليزية التي دافعت عن فكرة التدخل لتوفير «محاكمة انصافية»للمقبوض عليهم.

يهاجم الاهرام الصحافة الانجليزية لنشرها مايفيد أن الحكومة المصرية تسىء معاملة المحبوسين ويرى انه «افتراء مبين» ويتساءل «أين كانت هذه الجرائد يوم معاملة العصاة للمحبوسين الأبرياء»؟؟

بعد ذلك باربعة أيام يعود للهجوم ولكن على البرلمان الانجليزى هذه المرة الذى بحث قضية المحاكمة ويتهمه بأنه قد «نسى ايرلندا وأهل الزولوس (قبائل الزولو في جنوب افريقيا) وغفل عن افغانستان ووجه النظر إلى مصر واختص منها مسألة محاكمة عصاة أتوا البلاد ببلايا ورزايا عديدة»!

فى نفس الظروف وبعد أن طال الوقت فى التحقيقات نتيجة لتدخل المحامين الانجليز، وهو التدخل الذى تطلب وقتا لترجمة الكثير من اوراق القضية، يعرب الأهرام عن برمه وشكوكه، وهو ماعبر عنه بالقول: «اننا نتوقع بفروغ صبر افتتاح ابواب المجلس الحربى لنقف على مايكنه المستقبل من العجائب والغرائب، فقد سأم العالم الانتظار»!

العجائب والغرائب التى كان يتوقعها الأهرام كشف عنها بعد ذلك المحامى البريطانى الذى تولى مهمة الدفاع عن عرابى المستر برودلى فى كتاب نشره فى لندن بعد عامين من المحاكمة تحت عنوان «كيف دافعنا عن عرابى وصحبه

How We defended Arabi and his friends

والقصة مليئة بالتفاصيل وإن كان يعنينا منها هنا ثلاثة جوانب..

الجانب الأول متمثل فيما قدمه المحامون الانجليز من دفوع لهيئة التحقيق فندوا خلالها أغلب التهم التى وجهت لقادة الثورة، وكانت عشرة بدما من حادثة محاكمة قصر النيل وحتى «الاحاطة بسراى الخديو» فى الاسكندرية بهدف الاضرار به.

وفى تلك الاثناء تم التلويح للحكومة الخديوية بأن الباب العالى لن يقبل حكما بالاعدام، وهو مالاتقبله حكومة لندن ايضا لرجل عسكرى وقع فى اسر قواتها، وان محاكمة طويلة سوف تؤدى إلى «نشر غسيل السياسة القذر» فى مصر.

الجانب الثانى بدا فى ذلك التنسيق الظاهر بين ممثلى الحكومة البريطانية فى المحاكمة، المستر برودلى، والمستر بلنت، واللورد دفرين، السفير البريطاني فى

استنبول، الذى كان قد وصل وقتئذ إلى القاهرة مكلفا بمهمة محددة من وزارة الخارجية البريطانية. مهمة النظر فى ترتيب الامور المصرية بعد توقف ماأسماه البريطانيون «بالاضطرابات الاخيرة» وإن كان المسمى الدقيق لتلك المهمة «وضع السياسات البريطانية فى مصر بعد احتلالها».

وقد وصف برودلى اللورد دفرين بأنه كان يملك يدا من حديد فى قفاز من المخمل ويعترف بأنه قد استخدم هذه اليد الحديدية مع الحكومة المصرية لاملاء السياسات البريطانية فى القضية، كما أملاها فى غيرها!

وتأسيسا على هذين الجانبين جاء الجانب الثالث متمثلا في التوصل إلى ماأسماه برودلي بالتسوية Compromise ، وكانت كما ذكرها في كتابه بالنص:

«تسحب كل الاتهامات الموجهة ضد الباشوات: عرابى ومعمود سامى طلبة وعلى فهمى وعبد العال ويعقوب سامى ومحمود فهمى، فيما عدا العصيان البسيط، ويستدعى هؤلاء للمثول امام المحكمة العسكرية للاعتراف بهذه التهمة، وأن تصدر عقوبة الاعدام مصحوبة بمرسوم معدل للعقوبة إلى النفى من مصر يقرأ فورا، ويفقد المسجونون رتبهم واملاكهم بمقتضى مراسيم لاحقة، ولاتصادر أملاك زوجاتهم، وأن يتعهد المسجونون بالتوجه إلى أيه جهة من الممتلكات البريطانية المحددة لهم، ويبقون فيها حتى يسمح لهم بمغادرتها».

يقول المستر برودلى أنه كان مطلوب لنجاح التسوية الحفاظ على سريتها، وأنه أبلغ عرابى عن طبيعتها في لقاء منفرد معه في محبسه يوم ٢٩ نوفمبر، والحوار الذي أورده الرجل في كتابه يعطى بلا شك صورة زاهية للزعيم المصرى.

فهو من جانب كان يفضل المحاكمة لأنها كانت سوف تعطيه الفرصة أن يواجه متهميه وجها لوجه، وهو من جانب ثانى اهتم بمصير من اسماهم «اخوتى المسجونين» وطمأنه برودلى بأنهم سيكون لهم نفس النصيب من الرأفة، وعندما تسابل الزعيم المصرى: «هل سبق أن عاملت انجلترا عدوا مهزوما بهذه الصورة» جاحت اجابة برودلى أن نابليون قد لقى نفس المعاملة، وانتهى اللقاء بقبول عرابى بالتسوية معلقا على مسألة تجريده من النياشين والاملاك بقوله: «بالنسبة للنياشين لايعنينى أن افقدها فلم اسع لها أبدا، و أما أملاكى فليس لى شىء سوى ماخلفه أبى وهو يكاد يفى لنا بالزاد»!

المهم بالنسبة للأهرام في هذه التسوية أن كل أطرافها حافظرا على سريتها، رغم قولة برودلي بصعوبة الحفاظ على السر في الشرق، وهو حفاظ بدا في دهشة بشارة تقلا من سير المحاكمة عا كشف عن جهله قاما عا تم الاتفاق عليه رغم قربه الشديد من

دوائر القصر، وهي الدهشة التي استمرت تعتريه بعد صدور الحكم، ثم في تعليقه على القضية برمتها بعد ذلك.

فى نفس العدد رقم ١٥١١ من الاهرام الصادر فى ٤ ديسمبر عام ١٨٨٢ والذى ساق خبر المحاكمة جاء خبر الحكم الذى صدر فى نفس اليوم، ونترك لمدير تحرير الجريدة رواية ماحدث.. قال:

«ولما كانت الساعة الثالثة بعد الظهر رجعنا إلى محل المجلس ووقد العالم (الحضور) حتى بلغ عددهم نحو مائتين بينهم قليل جدا من الوطنيين، وحضر في هذه الحفلة (!) دولتلو نوبار باشا».

ويستطرد فيصف دخول هيئة المحكمة واحضار احمد عرابى الذى خاطبه رئيس المحكمة بقوله: «بناء على اعترافك بالعصيان واقرارك بحملك السلاح ضد الحضرة الخديوية لم يكن للمجلس إلا أن يصدر الحكم عليك ولقد أصدره باتفاق الآراء ويقضى على من أتى العصيان بالاعدام فالمجلس قضى بقتلك».

واستكمالا لتنفيذ بنود «التسوية» اعقب « سعادتلو رؤوف باشا » النطق بالحكم بالقول: «اننا لما رفعنا هذا الحكم إلى الحضرة الخديوية التى هى منبع الجودة والرحمة رأت أن تستبدل القصاص المذكور بقصاص آخر»، ثم ناول كاتب الجلسة أمرا خديويا نص على استبدال القصاص بنفى أحمد عرابى من «جميع ارض مصر وملحقات الحكومة المصرية وإذا رجع إلى أرض مصر فلا يعامل بالعفو بل يقتل»!

ونترك لبشارة تقلا التعبير عن انذهاله، والتوصيف من عنده، قال: «انصرف الحضور والذهول متول والأفكار مختلفة والآراء متباينة ونكتفى الآن بأن نخاطب مستر بلنت بقولنا له طب نفسا وقر عينا .. فقد انقضى الامر على ماتتمنى وتروم»!

ويلحق الرجل وصفه للمحاكمة بتقرير في اليوم التالي يصفها فيه «بالغريبة» ويتحدث عن «التأثير والانذهال الذي اصاب اهل العاصمة» وانهم سيزدادون انذهالا لما يعلموا ان محاكمة ستجرى اليوم التالي لاربعة من رؤساء العصيان هم محمود البارودي وطلبة عصمت وعبد العال حشيش ومحمود فهمي، ولاينسي في هذه المناسبة أن يعقب ساخرا من أن انتظار ثلاث أيام لحين محاكمة المجموعة الجديدة سببه «وجوب وقت كاف لاستراحة هيئة المحكمة»1

ويشير إلى انه اصبح من المعلوم مقدما الحكم الذى سيصدر على هؤلاء وعلى اربعة آخرين سيقدمون للمحاكمة فى اليوم التالى وأن هؤلاء الثمانية تقرر نفيهم مع «رئيسهم عرابى إلى جزيرة بالقرب من كلكته وهى منفى المجرمين السياسيين وسيذهبون اليها مع عائلاتهم»، ولم ينس فى هذه المناسبة أن يختم تقريره بتعليق لاذع حينما قال أن هؤلاء «سيؤلفون هناك مستعمرة مصرية عاصية»!

ولم يكن لمثل هذه الاحتجاجات أي تأثير على السير في مجريات القضية وفقا «للتسوية» التي عقدت وإلى نهايتها حيث تلقى جميع زعماء الثورة الحكم نفسه وتهيأوا لمغادرة الوطن.

وقد اتخذت كل الاحتياطات لاتمام سفر عرابي وبقية زعماء الثورة من السويس بسرية «بحيث لايكون مجتمعا بالمحطة أحد ولاأحد يقرب نحو الوابور ولا العربية الذين هم بهاولا أحد يقابلهم ولايكلمهم مطلقا وبذل كل الجهد في هذه الاجراءات حتى لايترتب عليها شوشرة ولاتجمع ناس من أصله» وفقا للتعليمات التي صدرت من الخديوي للمسئولين في السويس.

وفي ٩ يناير عام ١٨٨٣ دخلت الباخرة المقلة للثوار المصريين إلى ميناء كولمبو عاصمة جزيرة سيلان أو سرنديب كما كانت تسمى وقتذاك، التي تقرر نفيهم اليها. وفي الجزيرة التي اطلق عليها اليعض ترصيف «جنة آدم»، قضى الرجل نحو تسعة عشر عاما كانت الاحداث خلالها تتوالى على ارض الكنانة، طويت خلالها صفحة من تاريخها لتفتح صفحات اخرى مليئة بالأحداث كان الأهرام في قلبها!

• مراجع القصل الحادي والعشرون

أعداد الامرام

التاريخ	رقم العدد
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	.e3/ Po3/ 2/3/ 7/3/
\\\Y\\.\\\	1611
\\\Y\\.\\\\	1614
\\\Y\\.\\\	1614
1//-/\Y	/ / 3/
1//-/\£	/ 2/3/
1//-/\Y	/ 2/3/
\\\Y/\-/\4	743/
\\\Y/\-/YV	143/
\\\\Y/\-/Y-	143/
1444/11/14	3.0/
1444/11/14	0.0/
1444/11/14	P.0/
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	1011 1017 1017
1444\14\14 1444\14\14 1444\14\1	1010

● احمد شفيق ، مذكراتي في نصف قرن ج ١٠ القامرة ١٩٢٤

Blunt Wilfrid Scawen; Secret History of the English Occupation London 1907 Broadly, A.M. How we defended Arabi and his friends London 1884

سمير محمد طه ، آحمد عرابي وبورة في الحياة السياسية المصرية
 مركز الدراسات السياسية والاستواتيجية بالامراء; القامرة ١٩٨٦

القامرة ١٩٨٨ مصر للمصريين ـ مائة عام على الثروة العرابية.

ديوان الحياة المعاصرة

كشيان تعليان

للأعلام والبلدان والموضوعات

□ مرتب ترتيب قاموسى □ روعى ان الكلمة هى الوحدة فى الترتيب ثم الحرف الذى يليها □ (ال) التعريف تخفل ترتيبا مع بقائها وسما وتحسب اذا كانت من بنية الكلمة □ الالف المعدودة تحسب ألفين □ واو العطف تحسب فى الترتيب □ الاسماء العربية تكتب كما هى الا ذات الكنية فتقلب □ الاسماء الافرنجية تلقب باسم العائلة □ لم تذكر الالقاب الا للضرورة لعدم ذكر باقى الاسم

إعــداد :----

كمال محمد على

أحمد (باشا)، وكالة	
۲۹	
، أحمد أمين	4
۵۷، ۵۷	(Ī)
ا ۱۷۰ ماد أحمد رفعت	• • •
۱۶۲۰ ۲۲۰	الآستانه العليه
_	۱۲ سات اطبید ۲۶ ، ۸۷ ، ۹۲ ، ۱۱۳ ، ۱۷۵
أحمد شفّيق ۲۱۲	آسیا
	ر یس ۱۲۳
أحمد عرابي	آل تقلا آل تقلا
YP/, PA/, PP/,Y, /-Y, Y-Y,	ان تفر ن کلا باسمه
٥٠٢، ٨٠٧، ١٠١٠، ١٧١٥، ١٧١٧، ١٩١٩،	
. 77, 777, 777, 677, 777, 777,	ابراهيم النسوقي ٩٧
777, .77, /77, 777	
أحمد كمال (ابو الاثريين)	ابراهیم صوصه
٤٦	٧٩ ،٧٨
أديب اسحق	ابراهيم عبده
۶۱، ۸۲، ۲۵، ۳۵، ۳۵ <i>۱</i> ، ۶۸۱، ۱۲	\\\\
ادیسون، توماس	ابراهيم عرب
144	7V. · A. YA
ارانوس، دائرة	ابراهيم نافع
٥٨	٤٥
الارستقراطية	ابر الهول
۷۸، ۹۹، ۱۰۱، ۳۲۲	٤٨،٤٥
أرض الكنانة	ابو قير
ڻ مصر	. **
الارمن	ابو نظاره
۲۹، ۷۷، ۱۵۱	70, 70
اریتریا	ابر نظاره زرقا
174	١٥٣
الأزبكية	ابيشالوم
٤٦	٤٩
الأزهر	الاحتلال البريطاني
٥، ٢١، ١٥، ٥٥	٣٠،٥
أسبانيا	

```
116
                      اسماعيل، عصر
11. 01. 11. 11. 11. 17. 37. 07. 17.
                                                                    استراليا
                                                                        YE
37: 73: VP. AP. -11: 371, 701,
                                                             الاستصباح، غاز
                                179
                                                                        44
                     اسماعيل سرهنك
                                                             الاستقلال الوطني
                  الاسماعيلية (المدينة)
                                                                    استنبول
                      177.49.10
                                       . ነለጉ . ነግለ . ነደይ . ነፖው: ላ ነ . ላ - . ለለ
                    الاسماعيلية، سراي
                                                                        241
                    176,177,1.1
                                                                      الأسد
                            الاعيان
                           14.18
                                                                  ن بريطانيا
                                                           الاسطول البريطاني
الافادة والاعتبار في الامور المساهدة
                                                     ۷۰۲, ۲۱۲, ۷۱۲, ۸۱۲
       والحوادث المعاينة بأرض مصر (كتاب)
                                                               اسكندر غريب
                                29
                                                                        10
                             افريقيا
                                                          الاسكندرية (المدينة)
                         144.11.
                                       r1, 17, 37, 67, 77, 77, A7, P7,
                       إفريقيا، جنوب
                                       63, 74, 44, 64, . 4, 14, 44, 44,
                              24.
                                       ..., 111, 111, 101, 071, 771,
                          افغانستان
                              24.
                                       ٥٧١, ٧٧١، ٤٧١، ٥٨١، ٦٨١، ١٠٢،
                  الافغاني، جمال الدين
                                            7.7, 7.7, 717, 717, 717, 717
۸۱, ۹۲, ۱۵, ۵۵, ۱۱۳, ۲۲۹, ۱۵۲,
                                                           الاسكندرية، جريدة
                      XX1. PX1..1Y
                                                                      114
                            الافندية
                                                                     الاسلام
                                                                  777.A7
                                18
                          الافركاتية
                                                          اسماعيل (الخديوي)
                       A. . V4 . VA
                                       ٨, ٣١, ١٤, ٧١, ٨١. ١٥، ٢٦، ٧٢،
 الأكاديمي فرانسيز (جمعية العماء في باريز)
                                       ٣٣. ٣٥، ٤٥، ١٨، ٢٨، ٣٨، ٨٨، ٩٨،
                                       1166 . 167 . 181 . 181 . 131 . 331 .
                              177
                           اكسفورد
                                       031. F31, Y31, A31, T01, 001,
                                       1177.177 . 170 . 171 . 177 . 10V
                                       AF1, PF1, YY1, AY1, PY1, AA1.
                              الماتيا
                   14-,187,188
                                                                  Y19.19.
```

```
الاهرام، موقعة
                                                                                                                                                 الأمام الشافعي، مولد
                                                                                                                                                                                    47
                                         الاهرام الاسبوعي، جريدة
                                                                                                                                                                                امبابة
آ، ۳، ٤، ٥، ٢، ٧، ٨، ١٢، ٤١، ٥١،
                                                                                                                                                                                    ٤٦
                                                                                                                                                الامبراطورية العثمانية
۲۱، ۱۸، ۱۹، ۲۱، ۲۲، ۲۲، ۲۵، ۲۵، ۲۲،
                                                                                                                                                                          91.46
۸۲. ۲۲. ۳۳. ۵۳. ۲۳. ۷۳. ۸۳. ۶۳.
                                                                                                                                                                               امريكا
109,03,04,00,00,00,00,00,00
                                                                                                                                    ن الولايات المتحدة الامريكية
· F , YY , AY , PY , · A , IA , YA , YA ,
                                                                                                                                                          الامتيازات، نظام
AA, PA, PP, PP, YP, WP, VP, AP,
                                                                                                                                                                                    77
311, 611, 211, . 11, 171, 171,
                                                                                                                                                                  أمراض المعدة
                                                                                                                                                            ن الكاستراليجيا
171, 371, 671, 671, .77, .71, .77,
111, 771, 371, 671, 121, 731.
                                                                                                                                                                    الأمة العربية
                                                                                                                                                                                 11.
 101 , 121 , 121 , 121 , 121 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 161 , 
                                                                                                                                                     الانتيكخانة المصرية
 101, 701, 301, 001, 701, 701,
                                                                                                                                                                                     27
 171, 771, 371, 671, 771, 771,
                                                                                                                                                                               انجلترا
 ۸۲۱، ۱۲۹، ۱۷۳، ۱۷۵، ۲۷۱، ۱۲۷،
                                                        141.14.114
                                                                                                      الأهرام اليومي، جريدة
                                                                                                      131, 731, 771, 781, 781, 781,
 73, 071, 871, .81, 181, 781,
                                                                                                      ۸۸/، . ۱۹ ، ۱۹۱، ۲۰۲، ۱۱۲، . ۲۲،
 ٥٨١، ٧٨١، ٨٨١، ٩٨١، ١٩٠، ١٩١،
                                                                                                                                                                        777.177
 081, 481, 481, 881, ..., 1.7,
                                                                                                                                                                               انجلترا
 7.7. V.7. A.7. .17. 117. 717.
                                                                                                                                                                   ن ن بریطانیا
 717, 617, 817, 817, 177, 777,
                                                                                                                                                                         الاندبندان
 777, 677, 777, 777, 677, -77,
                                                                                                                                                                          17.71
                                                                     777.777
                                                                                                                                                                     انطون أديب
                                                                    الأوبراء دار
                                                                                                                                                                                Y . Y
                                                                    14, ...
                                                                                                                                                                              انكلترا
                                                                  الاوتوقراطية
                                                                                                                                                                           ن انجلترا
                                                                               ١٨٨
                                                                                                                                                                             الانيميا
                            اورلوف (قائد الاسطول الروسي)
                                                                                                                                                                                    ۸.
                                                                                  ٨٨
                                                                                                                                                                الأهرام (الاثر)
                                                                              أوروبا
                                                                                                                                                      0. . £A . £Y . £0
 ۱۲، ۱۷، ۲۶، ۲۵، ۲۵، ۸۵، ۷۷، ۸۸،
```

```
.11. 11. 12. 14. 14. .11. 111. .11.
                          94
                                  111, TTI, V31, TTI, TTI, TYI,
                   الياللوء ليله
                                                        144.147.146
اليحر الأبيض المتوسط
                                                            اورباء غرب
                                                               TO . 7
   37, PY, 07, VV, YP, KIY
                                                         أوريك (اوتيل)
                  اليحر الأحمر
                   141,174
                                                                   ٧A
                                                               اوستريا
                  البحر الاسود
                                                              ن النمسا
                         ۸۸
                                                                أوغندا
                       البرزخ
                                                                 179
                         18
                 البرلمان المصرى
                                                                ايرلندا
                                                                 24.
177, 77, 771, 174, 177, 771, 771
                                                                الطالبا
                        برلين
                                                   YI, KP, YKI, FKI
                         ٧٨
          برميل البارود الاوروبي
                                                             الايطاليون
                     ن البلقان
        برنج (عالم آثار انجليزي)
                                              (ب)
                 البرنس، سراي
                                                           الباب العالي
                برودلی (محام)
                                  ٣٨، ٩٠، ٤٤١، ٣٢١، ٨٢١، ٢٢٢، ٣٠
       777, 777, 774, 777
      بروكش، هنري (عالم الماني)
                                                    باردین (میاه معدنیة)
                                                          14, . 4, 14
                                                  البارودي، محمود سامي
                      بريتانيا
                    ن بريطانيا
                                 191, 321, 021, A21, ... Y. Y.Y.
                                            X.7, P.7, .17, 717, 777
                      بريطانيا
14. 14. 74. 74, 781. 781. 677
                                                                 ہاریز
               البستاني، بطرس
                                                              ن ہاریس
                                                         باريس (المدينة)
                        11.
                                 177 10, 00, ..., 111, 301, 771,
                      يسترس
                        Y . Y
                                                        781, 681, 581
                                                         باريس، معاهدة
                      بسمارك
```

پورسعید	۲۸، ۹۳، ۲۸۱
٥١، ٩٩، ٢٧١، ٢١٩	بشاره تقلا
البوستة الانجليزية	٥١, ٢٦, ٣١, ٣٩، ٣٥، ٣٧، ٨٣، ٢٠،
Υο	٩٠١، ١١٠، ٩٤١، ٣٥١، ٥٥١، ١٥١،
البوستة الاوربية	٥٢١، ٧٢١، ٢١٢، ٨١٢، ١٢١، ٢٢٠،
7£	777, 777, 777
البوستة الايطالية	بشير كولاري (مراسلة بالتركية)
Y 0	Y · Y
البوستة الخديوية	يعلبك
1.1	1.4
البوستة الروسية	يغداد
۲٥	1.4
البوستة الفرنسية	بل، جراهام الكسندر (مخترع التليفون)
Y	177,17.
البوستة النمساوية	البلاط الملكي
۲٥	۳۱ ۸۸ ۱۳۰
البرستة اليونانية	البلاغ (صحيفة)
Υ ο	A 1.5.11
البوسفور ، مضيق	البلغار
۸۸، ۲۶	110
البوسنة والهرسك	البلقان، شبه جزيرة س. م
۸۷ ، ۸۵	A
البورصة، شارع	البلقنه ۸۷
۲۳.	
بوغاز السويس	بلنت، ولفود سکاون ۲۲۸، ۲۲۹، ۲۳۰، ۲۳۲
ن قناه السويس 	
بولاق -	عباي
151	ن بومبای
بولكل <i>ى</i>	بناسون، مطبعة ۲۱۹
۸۲	۱۱۰ بنك الرهونات (اسكندرية)
البوليتيقا	بنك الرهومات (اسكندرية) ۲۳
71, 11, 77, 78, 181, 191, 191, 101,	···
101,101,201,701	بورس، حرکه ۲۰۳، ۱۷۷
برمباي	1 · 1 · 1 Y Y

```
140 . 144 . 40 . 45
                              تونس
 19. . 170 . 112 . 117 . 11. . 70 . 72
                                                                    البياننامة
                                                                        277
                              تويني
                               ٧٠٧
                                                                     بيت لحم
                            التيمس
                                                                       111
                            ن التايز
                                                                     البيراميد
                                                                    EN ITA
             ( つ )
                                                                      بيروت
                                        111, 111, 111, 111, 111, 111, 111,
                                                  بيمونتيل، دوفنسيكه (أفوكاتو)
                     الثلاثينات (١٩)
                                                                    V4 . V0
                 ٧٨، ٨٨، ١١١، ٨٢١
                     الثمانينات (١٩)
                                                    ( ご )
                 187.1.9.07.01
                       الثورة العرابية
٨, ١٥,٥٥، ٢٤١، ١٦٩، ١٨٥، ١٩٠،
                                                                       التاعز
                                                      717, 77, P.Y. 777
                111, 421, 221, 117
                         ثورة ١٩٥٢
                                                             التجارة (صحيفة)
              ٥، ٨٠. ١٤، ١٣٣، ١٣٢
                                            A, YY, YO, TA, TO!, PA!, - 17
                         ثورة ١٩١٩
                                                                     التجريب
                          99.4.0
                         ثورة ۱۸۸۲
                                                                الترجمة، حركة
                                                                        17
                         ثورة ١٨٧٥
                                                                       تركيا
                                                               174.94.91
                     ثورة جزيرة كريت
                                                                      تريستا
                                                            التل الكبير، موقعه
            (ج)
                                       ٢٢٢ تلخيص الابريز في تلخيص باريز
                                                                      (کتاب)
                                                       ۱۱۹ تونیق، ولی العهد
                                                            179 . 177 . 100
                   الجازيت دي تريبينو
                           17. 17
                                                         التوفيق الخيرية، جمعية
                              الجبر
                                                                 Y-1.190
```

```
140
جلادستون (رئيس وزراء بريطانيا)
                        YY.
                                                              جبرائيل رطل
                 جمعية المعارف
                الجمعية الوطنية
                                                               جبرائيل لباد
                         414
                                                                      10
           جميلة (هانم افندي)
                                                       الجبرتي، عبد الرحمن
                                                         110,119,117
                    1-1.40
                      جنة آدم
                                                              الجبل الاسود
                         277
                                                                    110
                                                                 الجراكسة
              الجهاد (صحيفة)
                                   141, 321, 421, ..., 4.7, 4.7, 2.7,
                      الجهادية
                                           جرانفيل (وزير الخارجية البريطانية)
                                                                    279
          جودت (والي سوريا)
                                                               جرجس روم
        الجوكى (جريدة فرنسية)
                                                                      10
                         177
                                                               جرجي زيدان
                                                               11. . 1. .
                         جيتو
                                                            الجرنال التلحيق
                          80
                                                           ن صدى الاهراء
                                                           الجريدة (صحيفة)
                                   جريدة الاهرام، تاريخ مصر في خمس وسبعين
                                                                سنه (کتاب)
                 الجيش المصري
                                                                     177
                   Y17.14V
                                                                    الجزائر
                                                           140.40.45
                   حارة اليهود
                                                             الجزيرة، سراي
                          30
                                                                     1.1
                   حبيب بولاد
                                                     جكمون (مثال فرنسي)
                          10
                       الحجاز
                                                              الحلاء، شارع
                        11.
                                                                      24
                    حجر رشيد
                                                                      17
                          27
```

حسنى مبارك	الحداثة
۸، ۵۵	۸, ۶
الحسين، مولد	الحرب الاهلية الامريكية
94	14
حسين حسنى	الحرب البروسية الفرنسية
14	171
الحصانة البرلمانية	الحرب الروسية التركية
186	۸۱، ۷۸، ۴۸، ۲۱، ۲۲، ۱۱۲، ۱۵۲
حضرموت	الحرب الروسية العثمانية
191	ن الحرب الروسية التركية
الحضره	الحرب العالمية الأولي
YY	178
حفظ حقرق الملة العربية، جمعية	الحرب العثمانية
110	AY
حق الاعتراض	حرب الفيل والحوت
ن القيتو	۹۳،۸۸ ،۸٥
حِقائق الاخبار في دول البحار (كتاب)	حرب الفيل والسمكة
	9.4
الحقانية، سراى مد	حرب القرم
V4 , YV	ن الحرب الروسية التركية ١٠ - حداد - تـ الـ - تـ
الحكم العثماني ۱٤	الحركة القومية العربية ١٠٧
ع. الحكماء (الاطباء)	۱۰۷ الحركة الوطنية المصرية
(1.φ21), 1.φ34, VA	اخریه الوطنیه اعظریه ۱۸
حلب	۰٫۰ حروب الشام
١.٩	مروب الشام ن الحروب المصرية العثمانية
الحماية الفرنسية	ن حروب المصرية العثمانية الحروب المصرية العثمانية
100	۸۸
الحملة الفرنسية	الحزب الوطئي
119.29.19	٧ - د د د د د د د د د د د د د د د د د د
حنين خوري	حسن الشمسي
۶۷, ۱۸٬۲۸	* Y\A
حرادث الستي <i>ن</i>	حسن موسي العقاد
10	717

```
17,10
                                                                   حوران
                     دار الكتب
                                                                    111
                   ن الكتبخانة
                                                                    حيفا
                                                              114.1.4
                        دارفور
                         179
                                                                     (خ)
داود (باشا) ناظر الجهادية والبحرية
                   1.7,7.1
                                                                   الختان
                                                                     94
                      داود یکن
                         1.1
                                                                  الخروب
                         الدب
                                                                     A.
                                                          خزائن المستغربات
                       ن ترکیا
                الدراويش، طرق
                                                                    119
                                                       خزانة علوم المصريين
                                                                ن الاهرام
  دريي (وزير الخارجية البريطاني)
                 97 .91 .9.
                                                              خليج العجم
                                                          ن الخليج الفارسي
               الدردنيل، مضيق
                                                            الخليج ألفارسي
                      94.46
                                                                191.94
               الدستور العثماني
                                                              خليل أرقش
                   171.114
                                                                    11.
                  دستور مدحت
             ن الدستور العثماني
                                                              خليل مطران
                                                     100.107.79.70
                        دسوق
                           44
                                                               خفرع، هرم
                                                                     ٤٨
                الدفتردار، منزل
                                                                    خرفو
                 دفرين (لورد)
                                                                     ٤٨
        771 . 77 . . 177
                                                          خير الدين (باشا)
                         الدلتا
                          77
                                                 ( 5 )
              دليسبس، فردناند
                     176.49
                                                       الدائرة السنية. سجن
                        دمشق
       110,118,117,1.4
                                                                    TTA
                                                               دار العلوم
                        دمياط
```

```
4.1
                    الراقعي، عبد الرحمن
                             18 . 17
                                                                         دوبلينير
                            الرأى العام
                                                                      106.164
                                  ۱۸
                                                                       دهان دهان
                      رجل اوروبا المريض
                                                                             10
                 ن الامبراطورية العثمانية
                                                                    الدواوين، حي
               رستم (متصرف جبل لبنان)
                                                                   الدولة العثمانية
                                          ٥, ١٧, ٥٣، ٨٨، ١١٠، ١١٢، ١٣١،
                                 رشيد
                                          171, 371, 331, 101, 701, 171,
                        177.77.10
                         الرقابة الثنائية
                                                                             144
                                 140
                                                                         ديكرتو
           الرقيب او حوادث مصر [كتاب]
                                                                            271
                                                                    ديوان الانشاء
                                 175
                            الرق، تجاره
                                                                              ٤
                                                     ديوان التجارة والامور الافرنكية
                                146
                               الركامو
                                                              ديوان الحياه المعاصره
                             ۵۷,۷۵
                          الرمل، سراي
                                                                   00 .A .Y .T
                                  44
                                                                        دير القمر
                         الرمل، منطقة
                                                                           111
                                                             ديزل (مخترع الماني)
                                 7.
                                الرملة
                                 44
                                                              ديلر (مخترع الماني)
                        روايال، لوكانده
                                1.1
                                                        (,)
                                روسيا
ña, pa, 1p, 7p, 4p, 411, 741,
                            14...147
                                                                 رأس التين، سراي
                         روضة الاخبار
                                                          77, 771, 771, 777
                                101
                                                                     رأس الوادي
                                روما
                                                      رؤوف (باشا) - رئيس المحكمة
                                124
                       الروم الكاثوليك
                                                                     777,777
```

```
104
                                 ۸.
                                                                    رويتر
                      السبعينات (١٩)
٨١، ٤٢. ٥٢، ٧٢، ٤٣، ٥٣، ٧٧، ٧٨,
                                                   رياض (باشا) . ناظر الحقانية
PA. P.1. . 11. 111. P11. PY1. YY1.
                                            144, 104, 124
                                                                  الريقورم
                      السبعينات (۲۰)
                                                                    114
                                                               رينا (بارجة)
                              VY.V
                                                                    115
                       الستينات (١٩)
                    177 . 47 . 70 . 17
                               سرسق
                               Y . Y
                                                     (;)
                              سرتديب
                                                                      زحله
                                277
                                                                 111.1.4
                       سعيد (الخديوي)
                                                        زعماء الاصلاح (كتاب)
                                 ٨٨
                                                                       ٥٧
                          سعيد، عصر
                                                                      زفتی
                     E7 . 77 . 7E . 7F
                                                                  177,10
                        السفير، صحيفة
                                                             الزولوس (قبائل)
                                414
                                                                      24.
                 السكك الحديدية، مصلحة
                                                              زيزينيا (تياترو)
                                177
                                                              11. 19. . . 1
                             السلاملك
                                                           زينب (مولد السيدة)
181, 781, 681, 481, 481, 881,
                                                                       ٩V
    ٢١٧ سلطان (باشا) رئيس مجلس النواب
                                4.4
                                                    ( m)
                          سليم الحموي
                            144.44
                                                                   السامري
                            سليم تقلا
                                                                  ن البارودي
٥١، ١٩، ٢٦، ٣٣، ٣٥، ٢٣، ٨٩، ٧٤،
                                                                   سان البان
٨٤، ٩٤، ٥٠، ١١٠، ١٣١، ١٣٣، ١٥١،
```

```
101, 001, 0771, PYI, -AI, AIY,
                                 A.V
                                                                           Y19
                     السيد البدوىء مولد
                                                                       سليم تكله
                       17-,174,44
                                                                      ن سليم تقلا
                          السبد البكري
                                                                 سليم داود قنواتي
                                 137
                          سبلان، جزيرة
                                                     سليم نقاش ۲۸ ، ۸۲ ، ۸۳ ، ۱۸۹
                           YTT . TTO
           سيمور (قائد الاسطول الانجليزي)
                                                                    سليمان الحلبي
                                                                           777
                                 117
                                                                سليمان الفرنساوي
                           البيوف ٢٧
                                                                           ١..
                                                                    سليمان سامى
             (ش)
                                                                           *14
                              شامپليون
                                                                          سمئود
                                                                       177,10
                                 13
                          شبت، لوكاندة
                                                                  الساورى، عمود
                                                                             44
                                 1.1
                    شبه الجزيرة الايطالية
                                                                         السودان
                              ن ایطالیا
                                                          YY1.371, PF1. K.Y
                         الشرق الاقصى
                                  Y £
            الشركة الاهلية لمياه الاسكندرية
                                                                           سوريا
                                                                     140,114
                 شركة التلغرافات الشرقية
                                                                        سوقارس
                                                                             ٤٧
              شركة سكة حديد الاسكندرية
                                                                        الببريس
                                                                 37.711,777
                                  ۲۸
                        الشريعي، بديني
                                                               السياستنامه، قانون
                     ۱۳۲ شریف (باشا)
                                                                           121
PP. -- (, Y-1, Y31, 031, 701, AA1,
                                                               السياسة (صحيفة)
```

```
Y. Y. Y. Y
                الصعيد
                                                  شریف، شارع
         177,18.,4.
                                                    Y17 .A.
                 صقلية
                                             شفيق منصور يكن
                   46
                                                   140.146
             صلاح الدين
                                                      الشوام
                   44
                         ٥١، ٧٢، ٢٥، ٥٥، ٧٧، ٨٧، ٧٩، ١١١،
            صندوق الدين
                                              111, 111, 111
             140 .114
                                                      الشويك
                  صور
                                                        111
                  1.9
                                                     شيكاغو
               الصومال
                                                   117,117
                  179
                                                  شيريس الأول
        صيدا ۱۱۶،۱۰۹
                                                     EA. EY
                                                 شيربس الثاني
(ض)
           الضياء، مجلة
                                      ( ص )
                   44
                                                     الصحافة
                                        01, 11, 00, 171, 171
(ط)
                                                  صدى الاهرام
             الطاقة الشب
                         121, 701, 301, 001, 701, Vol.
                  177
                                    771, YY1, XY1, PY1, A1
                الطباعة
                                                      الصرب
            14.17.10
                                           ١٥١ الطائف، صحيفة
                طرابلس
                                          4.7, 17, 717, 217
                  116
                                                   الطان جريدة
                                                        4.4
                طرسوس
                  1.4
                                                  طلبة عصمت
            طلعت (باشا)
                                                        277
```

```
174.174
                                 175
                                         طنطا ۱۵، ۱۸، ۹۷، ۹۹، ۹۳، ۱۲۷، ۱۲۷،
                       عبدالله ايوالسعود
                                                    171, 171, 171, 171, 171
                         101.14.10
                عبدالحميد الثاني (سلطان)
                                                                    طنوس خوري
                                                                            10
                       عبدالعال حشيش
                                                                       طه حسان
                                 277
                                                                       A . E . T
                         عبدالعال حلمي
                                                            الطهطاوي، رفاعة رافع
. T. 1 . T. - . 194 . 196 . 198, Y9Y
                                                                     140,119
              عبداللطيف البغدادي (المؤرخ)
                                                        ( 9 )
                                  29
                                                                   عابدين، بلاط
                          عبدالله النديم
                                                                       44,44
                           Y1. .Y.Y
                                                                   عابدین، سرای
                             العبرانيون
                                        TT, 3T, 0P, 1-1, 7-1, 771, 001.
                                              371, 771, 781, 781, 7.7, 7.7
                         العتبة الخضراء
                                                                  عابدين، فسحه
                                 1.1
                                                                 ن عابدين، ميدان
                           عثمان رفقي
                                                                 عابدين/ فشلاق
     101, 701, 301, 401, 401, 401
                                                                          217
                                 عدن
                                                                 عابدين، مظاهرة
                            141.46
                                                                    Y. Y . 14 .
                                العراق
                                                                  عابدين، ميدان
                     117.11.11.9
                                                          XP, YP1, XP1, Y-Y
                               العراقة
                                                                   العالم الثالث
                                4. £
                                                                          0.1
                            الفرضحال
                                                                     عباس الأول
                                101
                                                          AA . YY . Y£ , 10 , 17
                            العرقسوس
                                                               عباس حلمي الثاني
                                 ۸.
```

العروة الوثقي (ف) (ف) (م) (م) (م) (م) (م) (م) (م) (م) (م) (م
عزت (افندی) فؤاد (ملك مصر) ۱۹۳ ۲۱۱ العشرينات (۱۹) فاروق (ملك مصر) ۱۹۳،۹۸ ۸۳،۲۳۸ عصرالنهضة فرنسا
۱۹۳ ۲۱۱ العشرينات (۱۹) قاروق (ملك مصر) ٤، ۲۳، ۸۳ ۸۳ عصرالنهضة فرنسا ۴، ۱۳، ۲۵، ۲۹، ۹۹، ۹۹، ۹۸، ۹۸، ۱۰۰
العشرينات (۱۹) فاروق (ملك مصر) ٤، ٢٣، ٨٣ ع- ٢، ٢٣ فرنسا عصرالنهضة فرنسا ٩٤
٤، ٢٣، ٨٣ عصرالنهضة فرنسا عصرالنهضة المرابعة عصرالنهضة المرابع المراب
عصرالنهضة فرنسا ۹۶ ۲، ۱۳، ۹۲، ۹۲، ۹۲، ۹۲، ۹۸، ۹۸، ۹۸، ۸۰، ۹۸
عه ۱۸۰۰ می ۱۹۰۱ می ۱۹۰۱ می ۱۹۰۱ می ۱۹۰۱ می
and the test that the test the control of the contr
العطار، محمود ۱۱۳، ۱۱۹، ۱۱۹، ۱۱۹، ۱۶۳، ۱۶۳، ۱۹۳،
۲۳۱ ۳۲۱، ۲۸۱، ۲۸۱، ۲۸۱، ۲۸۱، ۲۸۱،
العقد الشمين في محاسن واخبار وبدائع آثار ٢١٧، ٢٠٧
الاقدمين من المصريين (كتاب) الفرنسيون
rs vv
عكا فسبحة عابدين
۱۱۳،۱۰۹ ن عابدین، میدان
على الكبير (بك) فقر الدم
۸۸ نالانیمیا
على فؤاد ألسطين
177
على فهمى قوتيادس
٧٨ ٢٣١ ،١٩٧
علی مبارك قوجائی، دی (رحالة فرنسی)
Y" \\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\
على يوسف الفيتو
17.1
العميد الفيجارو
ن طِه جيــرن ٢، ٣١، ٣٧
العوالم ۹۷ فير، هوارد (عالم آثار المجليزي)
٤٧
فيرمان (تاجر بريطاني)

```
- 44
                            القرن ۱۸
                                                              الفيري (تياترو)
11, 03, 73, 80, 38, 63, . 71, 171,
                                                                   1.1.44
                               146
                                                                       فيينا
                            القرن ۱۷
                                                                       124
                                ٨V
                        القرن العشرون
                       17.1.4.6
                                                     (ق)
                  القسطنطينطة (المدينة)
                                                               القاهرة (المدينة)
                           ن الآستانة
                                      17. FT, YT, AT, 03, F3, Y3, T0,
           القسطنطينية، اتفاقية (١٨٨٨)
                                      70. 1A. TA. AA. . P. 0P. 1.1, PYI,
                                41
                                      171, 731, 331, 701, 301, 071,
                         القصر العيني
                                      XF/: 0Y/: FX/: /.Y.Y.Y. Y.Y.
                                ٧4
                                       7/7, 7/7, 7/7, 7/7, 7/7, -7/7,
                          قصر العيني
                                                                       241
                                                                القاهرة، حريق
قصر النيل ۱۰۱، ۱٤۷، ۱۹۵، ۱۹۸، ۲۰۰
                                                                       Y . 0
                               14.
                                                                    القبارصة
                     قصر النيل، ثكنات
                                                                        77
                          144.141
                                                                      القدس
                     قصر النيل، حادث
                                                                       111
                               144
                                                             قرداحی، کریستین
                         القطر المصرى
                                                                        ۸١
                              ن مصر
                                                                    القرن ١٤
                         القطن المصرى
                                                                    14, 24
                           177.17
                                                         القرن الحادي والعشرين
                               القلعة
       177 . 171 . 177 . 174 . 47 . 47
                                                                    القرن ۱۹
                          قناة السويس
                                      آ، ٤، ٧٤، ٣٨، ٨٨، ٧٩، ١٠٠، ١٠١،
71, 71, 67, 73, 74, 74, . 1, . 12,
                                                       711. 111. . 71. 777
                            44.44
```

```
القناصل، ميدان
                              ۸.
                                                                        24
                            كليبر
                                                           قنطر الدكة، فسقية
                           . 444
                                                                       1.1
                           كمبردج
                                                          القومسيون العسكري
                 کندینکو (اصطبل)
                                                                 Y.1.190
                                                         القونصلاتو الفرنساوي
٣ كورتشاكوف (وزير الخارجية الروسي)
                              94
                                                                       104
                          كوردييه
                              44
                                                    (ك)
             كوكب الشرق (صحيفة)
                                                                الكاستراليجيا
                           YY.A
                           كولمبو
                                     الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث (كتاب)
                            277
                                                                    آ، ۱۲۲
                   كلوب، لوكاندة
                                                     كافيليا (عالم آثار ايطالي)
                            1.1
                     الكوميسيارية
                                                               كتبخانة باريس
                            1.1
                                                            الكتبخانة الخديوية
                           كيويس
                                                                    11.11
                             ٤٨
                                                                   الكركديه
                                                                        ٨,
                            سعاد
                                                               كريت (جزيرة)
                                                                        ٨٩
        (1)
                                                                  كفر الدوار
                                                             ٢١٧ كفر الزيات
                     لبنان (البلد)
                                                             177.178.10
                117.1.4.71
                                                                      كلكتا
                      لبنان، جبل
                                                        37, 07, 0VI, 7TY
٥١، ٥٣، ٩٠١، ١١٠، ٢٨١، ٢١٢
                                                                    الكلوروز
                  اللغة الانجليزية
```

```
٥١. ٠٨. ١٨. ٢٢١
         مارتینو، دی (قنصل عام ایطالیا)
                                                                اللغة الايتاليانية
           ماركوني (مخترع اللاسلاكي)
                                                                . 14. 171
                                                                   اللغة التركية
                          مارون نقاش
                                                                         177
                                                                   اللغة العربية
                                AY
                                                     . 4, 14, 131, 111, 141
                              مارييت
                                                                  اللغة الفارسية
                                27
                                                                         177
                               مالت
                                                                  اللغة الفرنسية
                               ١..
                               مالطة
                                                            01, . 11, 171
                                YE
                                                                  لندن (المدينة)
                              المالطي
                                         777, 777, 777
                               111
                            المالطيون
                                                                  لندن، معاهدة
                                VV
                                                                         171
                                                                اللواء (صحيفة)
                         متری موسی
                                 10
                                                                            ٨
                          مثال الاهرام
                                                                        لوبون
                              ۸، ۲۳
                      المثلثات، حساب
                                                   لويس الرابع عشر (ملك فرنسا)
                               110
                 مجاور الأزهر (كتابات)
                                                                   ليالي الانس
                                           1. 7. 1. 1. 1. 1. 1. 1. 1. 1. 1. 1. 1.
       10, 70, 70, 30, 70, 70, 10
                      مجزرة ١١ يونيو
                                                                       ليجيبت
                               717
                                                                          17
                         مجلس الأمة
                                                                ليون، ادوين دي
                ن مجلس النواب المصري
                        مجلس العموم
                 مجلس النواب المصرى
,102 ,127,172 ,177 ,177 , 301,
                      777. V.Y. YYY
                                                                المؤيد (صحيفة)
                  مجلس الوزراء المصري
                                                                       ۸، ۲۷
```

```
121, 72
                               144
                   محمد على (الوالي)
                                                           مجلس شوري النواب
                                       ۸۱، ٤٣، ۸۱، ۹۰، ۹۲۱، ۱۳۰، ۱۳۱،
31, 01, 71, 77, 77, 73, 11, 11,
                                                        107.176.177.177
            144.121.141.144
                                                              المحاكم المختلطة
                     محمد على، أسره
                           178.18
                                                                    40,14
                                                                    المحروسة
                      محمد على، عهد
                             YA . E
                                                                    ن ن مصر
محمد محمود (وكيل حزب الأحوار
                                                            المحروسة (صحيفة)
                                                                   144.14
                           الدستوريين)
                                                              المحروسة (يخت)
                               A. Y
                                                                       170
                    محمود سامي طلبه
                                                              المحكمة المختلطة
                               241
                                                                        V٩
                         محمود فهمي
                                                                محلة ابي على
                          YTY . YT
                                                                       177
                      المحمودية، ترعة
                                                                المحلة الكبري
                      719, 77, 777
                                                                   177.10
                      المحيط الاطلنطي
                                                          محمد توفيق، الخديوي
                               14.
                                        ١٣٥، ١٥٧، ١٢١، ١٣٢، ١٢٤، ١٥٥،
المدبر الانسماني والمدبر العمقلي الروحاني
                                        771, Y71, P71, 7A1, AA1, PA1,
                               (مقال)
                                        181, 481, 481, 881, 4.7, 4.4,
                                ٥٧
                                        P.Y. 017, VIY, AIY, PIY, .YY,
                        مدحت (باشا)
                                                             .777, 777, 677.
                           108.00
                                                           محمد حسنين هيكل
                مدرسة الاتحاد الاسرائيلي
                                49
                                                            محمد حسين هيكل
                         مدرسة الادارة
                                                                     £0 , V
                                 10
                                                                محمد سلطان
                        مدرسة الالسن
                                                                        12
                       119,17,10
                                                                  محمد عبده
                       مدرسة الجزويت
                                        10, 70, TO, 30, 00, FO, VO, AO,
                                 44
                                                                     444.04
                        مدرسة الحقوق
                                                                  محمد عبيد
```

```
77, 77, 87, 77, 37, 67, 77, 87,
                                                               مدرسة الراهبات
                                                                         44
03, 73, 83, 00, 00, 00, 80, 61, 60
                                                            مدرسة السبع بنات
14, 14, 64, 44, 44, 24, 29, 19,
1, 7.1, .11, 911, 111, .71,
                                                              مدرسة السيوفية
171, 731, 731, 731, 701, 301,
177 . 177 . 170 . 176 . 177 . 107
                                                                         ۸١
1. 181, 171, 1X1,7X1, 0X1,
                                                                 مدرسة القرير
7A1, VA1, PA1, -P1, 1-Y, V-Y,
                                                                         44
A.Y, P.Y, .TY, YTY, TYY, AYY,
                                                                مدرسة الليسيه
                                                                        44
               777, 771, 177, 777
                مصر الفتاه (صحيفة)
                                                                      مدريد
                                                                       116
                                ٨Y
                                                                مذابح الستين
۱۱۰
                       مصر للمصريين
                              127
                                                         مرآه الشرق (صحيفة)
                     المصرى (صحيفة)
                       المصريات، علم
                                                                     مراكش
                   09. 53. 63. 60
                                                           111, 711, 311.
               مصطفی (باشا) ، سرای
                                                                   مرج عيون
                                                                       11.
                              414
                       مصطفى كامل
                                                                المرض الاخضر
                                24
                                                                  ن الكلوروز
                                                     مركز الاهرام للترجمة والنشر
                      المطبعة الاميرية
                       ن مطبعة بولاق
                                                                     0 Y , 0
                        مطبعة الاهرام
                                                               المسألة الشرقبة
                                14
                                                                    44.48
                 المطبعة الاهلية القبطية
                                                                     مسقاط
                                                                       191
                                17
                                                        مشاهير الشرق (كتاب)
                        مطبعة بولاق
                            14.14
                                                                      11.
           المطبعة الوطنية (بالاسكندرية)
                                                                مصر (صحيفة)
                                               P1, Y1, YA, 701, PA1, .17
                                17
                       المطبعة الوهبية
                                                                مصر (القطر)
                                       7, 0, 7, 1, 1, 1, 31, 01, 11, 11,
                               17
```

```
الموسكوب، دولة
                                                         مظوم، شارع
                                                                 ٤٥
                                                          المعية السنية
            موسى بطايني
                                                                44
      المويلحي، عبد السلام
                                                               المغرب
                                                            ن مراکش
                                                        المغرب العربى
                میت غمر
                177.10
                                                         المقابلة، قانون
               الميتافيزيقا
                                                                179
                      ٥٨
                                                 المقاصد الخيرية، جمعية
        ميخائيل (الخواجة)
                                               مقامات الحريري (كتاب)
         ميخائيل شاروبيم
177, 170, 176, 178,
                                                      المقطم (صحيفة)
            ميراتي، كارلو
                     42
              الميناء الكبير
                                                              المكاري
             ن الاسكندرية
                                                                111
          ميناء مصر الأول
                                             مكتبة البلدية (الاسكندرية)
             ن الاسكندرية
                                                                 ٨٢
                                                              الماليك
( 0)
                                                                 44
                                                               المندرة
                                                                 44
                   نابليون
                                                        المنشية، ميدان
           73, 83, 717
                                                           717.77
                   نابولى
                                                          منصور يكن
                      9.4
                                                                172
            نابيير (محام)
                                                             المنصورة
             النادوره، كوم
                                                      177.171.10
                                              مورس (مخترع التلغراف)
             النخبة الحاكمة
                                                               17.
                                                              موسكو
                    ٤.٣
                                                                111
             النزهة، حديقة
```

```
44
                                 ٨٨
                                                                  النزهة، قصر
                           الهوايتهول
                                                                        177
                               279
             هومبرت الاول (ملك ايطاليا)
                                                                       النشابة
                                                                        111
                                               نقولا مسابكي (ابو الطباعين بحصر)
                            هيرودوت
                                                                         17
                                 £A
                         الهيروغليفية
                                                                       النمسا
                            13, 13
                                                                   147.146
                                                                 النهضة، عصر
                                                                         41
              ( )
                                                                  نوبار (باشا)
                                        الوابور الفرنساوي
                                                               YYY , 12A , 12Y
                               1.4
                                                                   نوبار، وزارة
                  وادي النيل (صحيفة)
                                                                   144,175
                            14.10
                                                                     نيوجرسي
                            واشنطون
                                                                        177
                               177
                                                                     نيويورك
                         الوجه البحري
                                                                        177
                               177
                                                     ( ...)
                        الوحدة الوطنية
                                ٦.
                                                     هافاس (وكالة أنباء فرنسية)
                وزارة الخارجية البريطانية
                         171.177
                  وزارة الخارجية المصرية
                                                                  الهرم الأكبر
                                                                 £4. £7. £0
                            77.77
                   وصف مصر (کتاب)
                                                               الهرميل، عثمان
                                                                        144
          الوطن (صحيفة) ٨، ٨٧، ١٥٣
                                            هرون الرشيد وابو الحسن المغفل (رواية)
                       الوقائع المصرية
                                                                         ٨٢
١١٣٠ ٤١، ١٥، ٥٥، ٦٠، ١٣١، ١٣٢،
                                                                        الهند
                           101.166
                                                     37, 18, 78, 781, 781
                                                      هنكار اسكله سي، معاهدة
                              الوقت
```

111,111	۲۵۱، ۷۵۱، ۷۷۱، ۸۷۱، ۴۷۱، ۱۸۱، ۱۸۱
يششرس	الولايات المتحدة الامريكية
٣٣	٧١. ٢٢١. ٨٨١
يثرب	ولسـلى ۲۱۳
٦.	۱۱۰ ولى النعم
يعقوب صنوع	و <i>يي الحصم</i> ن الخديو
70,70	دىلسون، تشارلس
٠ يوسف خياط	777
۲۸	ويلسوڻ، ريفرز
يوسف قريح	102.127.128
111	
یعقوب سام <i>ی</i>	(ی)
پسرپ سامی ۲۳۱	(6 /
٠،٠ اليونان، آثار	
. بیودی: ۷۶	اليازجي، ناصيف
 اليونانيون	١١٠ ، ٢٨
۰۱، ۷۷، ۸۱	11.
71,111,110	يافا

المحتويات

ولد	ضف	الاهـــرام جــريدة لا تهــرم	الــفــــــــــــــــــــــــــــــــــ
	11	تاريخ الميلاد عصر اسماعيل	الفـــمل الثـــاني
	71	محل المسلاد الاسكندرية	الفـــمل الثــالث
	۳۱	جـــريدة التـــقـــاليــــد	النف مسل الرابع
	٤٣	اهـــــرام وأهـــــرام	الفــــمل الخــــامس
	٥٣	مـــــجــــارر الازهر	الغـــصل الســادس
	Yo	اعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	الغـــمل الســابع
	۸٥	حسرب الفسيل والحسوت	الفــــمل الثـــامن
	90	ليـــالـى الأنـس	الفـــصل التـــاسع
	1.4	شـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	الفصصل العصاشصر
	117	مستغربات ومستظرفات	الفصل الحادي عشسر
,	177	بسترلسان طستسطسا	الفيصل الثياني عيشسر
	179	الـــــوزارة الأولـــــى	الفيصل الثيالث عيشسر
1	169	ممنوع البــــولوتيكا	الفصصل الرابع عسسسر
\	71	خلع الخديوى يحيي الخديوى	الغيصل الخيامس عيشس
\	٧٣	لغـــرالعــدد ١٠٠٣	الفصل السادس عشسر
\	۸۳	تداخل الاجنبيين في بر مصر	الغيصل السيابع عيشسر
١	40	من السلاملك الى الفسحة	الفصل الثامن عشسر
۲	. 0	يـوم حـــــريــق الاهـرام	الفيصل التساسع عيشسر
۲	10	الحسرب حسول الشسرعسيسة	الفصل العشرون
7	40	محاكمة الدقنائق الخمس	الفصل الواحد والعشرون
740			الكشاف التحليلي
V A	4		

رقم الايداع بدار الكتب المصرية ۲۳۲۲/ ۲۹۹۰

الترقيم الدولى I. S. B. N 977 - 13 - 0129 - 2

هذا الكتاب:

يضم هذا الكتاب الجزء الأولى من « ديوان الحياة المعاصرة » ويشمل الـ ٢١ حلقة الأولى التي نشرت في الأهرام خلال النصف الثاني من عام ١٩٩٣ نحت هذا العنوان ، والتي تعالج الفترة بين صدور الجريدة (١٨٧٨) وإنتهاء الشورة العرابية (١٨٨٢) .

ولم تصدر الرغبة في نشر هذا العمل من كاتب الديوان «الدكتور يونان لبيب رزق» من حرص فقط على توفيرها للقراء، وإنما صدرت عن رغبة في أن يتم ذلك في شكل مدروس باثبات بعض المقالات ذات الأهمية التاريخية فضلا عن الاحالة لأهم المراجع وتوفير للكشاف.

وبنوى «مركر ناربخ الأهرام» على إصدار بقية أعماله في كنب أخرى يتوخى فيها إشباع رغبة القارى، والكشف عن تلك «الجوانب المغفلة» في التاريخ المصرى المعاصر.

(0) (c) L. (6) (c) _ 0 6 الجزء الأرل ا T(6) $\mathbb{Q}(\mathbb{V})$ Mej AGART 18.A

● الغلاف والرسوم الداخلية: مكرم حذين ●

● الاشراف الفني: سمير صبحي

على قدر معلوماتنا نستطيع القول ان هذا العمل يمثل تجربة	4
	* , *
 أغير مألوفة في الكتابة التاريخية، الامر الذي يقودنا الى القول 	مقدمة
إُ أنها يمكن أن تضيف الى التجريب في الفنون مثل المسرح إ	
والسينما، تجربتنا في هذا الميدان ميدان الكتابة التاريخية.	
إ والتجريب فيما نتصوره هو طرح الرؤى الجديدة التي تقدم للفكر	
أُلانيا: أبنا في معمد في في ما من في ما الحال الأدريان	
إلانساني لونا غير معهود في فرَّعِ ما من فروع العلم او الأدب أو	,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,
إَ الفن، وهو قدِ يصيب وقد يخيب آ	4
 أ_ صحيح أن هذا الكتاب يحمل من المنهج العلمي بضعا من 	*****************
	£
إ أركانه آلمادة العلمية الاصيلة، إخضاع هذه المادة للتحليل وفقا	`
إلله أو أكثر من مدارس التحليل التآريخي، ولكنه يختلف مع ا	
أُ هذا المنهج في مناح أخرى.	
)
أ فقد جرت العادة في الكتابات العلمية على الاعتماد على	£
إلدوريات كمصدر من مصادر البحث ولكن لم تجر العادة أن ا	§
و معرود السام السا	*
تكون هذه الدوريات المصدر المحوري لعمل ما، ناهيك أن يعتمد	, , , , , , , , , , , , , , , , , , , ,
 هذا المصدر على دورية واحدة مهما بلغ من أهميتها. 	3
أ جرت العادة أيضاً عِلَى التمسكِ بالوحدة الموضوعية للدراسة إ	
و الجرف العادة الصاطبي المسلمة بالوحدة الموصوعية للدراسة	··
إفلا تتداخل المواضِيع أو تختلط، أو اخضاع فترة من الفترات إ	· a
إِ الزمنية ذات التأثير في المجرى العام لتآريخ أمة من الأمم،	
و المراجع	1
ووضِعها موضع الدراسة دون الاستغراق في موضوع بعينه منها.	
أُما ما تقدمه هذه الدراسة فهو شئ مختلف متابعة للتأريخ	
أ المصرى من خلال جريدة واحدة هي جريدة الاهرام، وفي تقديرنا	
والمستوى من حارب جريدة واحدة مي جريدة الأمراء الوحي عديرا	%
﴾ أنها تلبي للقارئ المصرى، بل والعربي، ما قد لا تكون الدراسات	p d
الاكاديمية قد نجحت في تقديمه!	,
أ فالمعلوم أن ظهور الصحافة قد أدى الى القضاء على تلك	2
	W
﴾ المرحلة من الكتبابة التباريخية المعروفية بالكتبابة الاخبارية	¥.
chronicle ، وهي الكتابة التي تقوم على تتبع الاخبار وفقا	4
الما المالله والمالله	**************************************
لتسلسلها الزمني، وهو ما حدث في مصر.	à la company de la company
🖁 يشهد بذلك بأحث امريكي (*) حين تحدث عن ميخائيل	&
" شاروبيم صاحب كتاب «الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث»	*.
الدرويم حامل المان المان على فاريح مصر العديد واحديد)	ä
، واسماعيل سرهنك صاحب كتاب «حقائق الاخبار في دول	r [§]
البحار» باعتبارهم آخر الكتاب الاخباريين chroniclers،	
و والرجلان كانا من كتاب الربع الأخير من القرن التاسع عشر	16
والرجارة عال من عناب الربع الدخير من القرن الناسع عشر	3:
إ والذي ظهرت في مستهله الصحافة الاهلية على رأسها الاهرام	[4
.(١٨٧٦_١٨٧٥).	×.
1	<u> </u>
أ بعنى آخر ان الصحافة قد احتلت مكان التاريخ الاخبارى	si
إبحكم مِا كأنت تفعله من تسجيل لشتى الاخبار السياسية	ē
والاحوال الاجتماعية، وسائر الاحداث اليومية.	; ;
والدخوان الدجيماطيم، وسائر الدخدات اليوميم.	
	4
﴿ * ﴾ انظر : جاك كرابس جونيور: كتابة التاريخ في مصر القرن	
کر بہطر دیا جا ہو اور اور اور اور اور اور اور اور اور او	>
التاسع عشر ـ دراسة في التحول الوطني (ترجمة ـ دكتور عبد	`,
إِ الوهابِّ بكر) القاهرة ١٩٩٣	*
,	<u></u>
	<u> </u>
	LOE

- İ.-

	وقد صنع هذا الاحتلال من الناحية الواقعية شكلا من اشكال غياب
·	المادة العلمية الاخبارية، فلم تعد هذه المادة متاحة بين دفتي كتاب،
	كما كان الامر من قِبل؛ بل أضحت ضمن مجلدات كبيرة محفوظة في
(a)	دور الكتب، وتحت أسوأ الظروف في كثير من الاوقات.
3	ومن ثم يأتي هذا العمل ليحقق أهدافا متعددة:
	□ أن يكون سبجلا لأهم الموضوعات التي حفلت بها الاهرام
	باعتبارها اعرق الصحف العربية (١١٨ سنة).
	□ أن يقدم رؤية بانورامية للعمل ليس من خلال قراءة الصحيفة،
	فهو ما يستطيعه اي باحث مبتدئ دون أن يكون متخصصاً في
	الدراسة التاريخية واغا من خلال استقرائها ، الامر الذي يصنع ملامح
	حقبة ضمن حقب متعددة صنعت عمر الجريدة الطويل. □ وهو في هذه الرؤية يعني بموضوعات يصعب ان تدرج ضمن
200	وهو في هذه الرويد يعني بوصوعت يصنعب أن ندرج صنعت دراسات، كبيرة أو صغيرة اعلانات أول زمن، مستغربات
	ومستظرفات، ليالى الانس. تقدم فاذجا لمثل هذه الموضوعات،
	ولكنها في نهاية الامر تصنع خطوطا من لوحة يؤدي افتقادها الي
	نقص ظاهر في أستكمالُ القسمات، قد لا تعيه الا عين خبير!
	🗖 وهو في هذه الرؤية ايضا قد مزج بين تاريخ الصحيفة والتاريخ
	المصرى، فالاهرام منذ ان صدر يومياً في بداية عام ١٨٨١ كان قد
	نضا الجانب الاكبر من ثوبه الشامي وارتبط مصيره ارتباطا وثيقا
	بالوطن المصرى رغم الاصول السورية لاصحابه، الأمر الذي تؤكده كل
8-2-2-2-2-2-2-2-2-2-2-2-2-2-2-2-2-2-2-2	الموضوعات بعد العدد ٢٠٠٣. العدد اليومي الاول.
	ومع أن فصول هذا الكتاب قد صدرت على شكل حلقات في أهرام
	يوم الخميس، بدءا من ١٥ يوليو عام ١٩٩٣، وتم ترجمة أغلبها في أُ
3	التي لا يسمح بها الحيز المتاح في كتاب قد اقتصى بعض الاصافات
	فقد اضيف الى كل فصل بعض المراجع التي استخدمت في كتابته،
	هذا فضلاً عن اعداد الاهرام التي قت الاستعانة بها ، بهدف تقديمها
	للقارئ الذي يبغى المزيد.
	تم في نفس الوقت الحياق يعض صيف حيات الاهرام أو الصيور
.,	الستخرجة من ارشيفه، ذات الصلة بالطبع بالموضوع ، وقد تم انتقاء أ
	تلك المادة العلمية تبعا لاهميتها واستشعارا بانه قد يصعب على
	القارئ المهتم العثور عليها بسهولة.
\$	هذا مع عناية خاصة بكشاف للأعلام والأماكن، فقد ارتأينا أن مثل يُ
	هذا العمل البانورامي لا يكفى لضبطه ، سواء العناوين الرئيسية أو في الفصول . المنافضول .
	العربية للقصول . ويقدم هذا العمل الجزء الأول من الديوان نأمل بعده أن نلحقه بأجزاء
	واجزاء
	والله من وراء القصد
	كاتب الديوان
7	